

مَدْرَسَةٌ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الأولى

واشتكت امرأة فتكلم الله عز وجل

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد أهلاً ومرحباً بكم في بداية جديدة ودورة جديدة ولقاء جديد وفضل من الله جديد، هيا بنا نبدأ معاً هذه المدارس الممتعة للجزء الثامن والعشرين من أجزاء القرآن والمعروف بجزء قد سمع أو بجزء المجادلة. هذا الجزء من القرآن إن شاء الله سنتناوله على دورتين متتابعتين بإذن الله سبحانه وتعالى.

جزء قد سمع عامة الناس يهابونه لأنه يحتوى على سور قد تبدو للوهلة الأولى فيها درجة من الصعوبة زي سورة المجادلة نفسها، زي سورة الممتحنة، زي سورة الطلاق، التحريم، التغابن... بعض الناس يجد صعوبة في حفظ السور وبيحس أن فيه عائق نفسي كده بينه وبين جزء قد سمع.

لكن مع بداية هذه الدورة نبشر كل هؤلاء إن شاء الله بعد الدورة دي هنسألکم او هتقولوا إن دي كان أمتع جزء من القرآن عشنا فيه، إحنا إزاي ما كناش نعرف هذه المعلومات القيمة الرائعة عن جزء قد سمع وقد إيه هو جزء نافع وجزء يرقق القلب، جزء فيه معاني ضخمة جداً: عقائد، أحكام، تربويات... يعني كالعادة هنحول كل سورة لها معاني ضخمة وإيمانيات عالية جداً، لكن محتاج إن إحنا نصبر على طلب العلم وإن إحنا نركز قوي ونحضر قلوبنا مع سماع كل موعظة وكل درس، ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والقبول منه جل في علاه.

بداية هتكون بسورة المجادلة، سورة المجادلة التي تبدأ بكلمة: {قَدْ سَمِعَ}. وده اللي خلى الجزء الثامن والعشرين يسمى {قَدْ سَمِعَ}. على عادة السلف كان ممكن يسموا السورة بأول كلمة فيها، زي ما بيسموا سورة الإسراء {سُبْحَانَ} أو يسموا سورة السجدة {الم • تَنْزِيلُ}، فكانت سورة المجادلة بيسموها {قَدْ سَمِعَ} وتسمى الجزء على اسم أول سورة منه، زي ما بنسمي تبارك، سموا جزء قد سمع.

فسورة المجادلة تسمى {قَدْ سَمِعَ}، وهنتكلم دلوقتي في أسمائها وهل هي مدنية ولا مكية، لكن هي دي هتبقى البداية. بعد كده بإذن الله تعالى هندرس سورة الحشر، ثم الممتحنة، ثم الصف، ثم الجمعة، المنافقون، التغابن، والطلاق والتحريم. يعني إن شاء الله ستكون المدارس ممتعة. إن شاء الله هنحول هذا الجزء لمتعة جميلة.

لكن الحقيقة عايز قبل ما أبدأ في سورة المجادلة اللي بتبدأ معنا بشكوى امرأة: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}، عايز أقول إن الجزء ده يعني في خيط كده هيمشي معنا في كثير من سور هذا الجزء المبارك وهو: خيط تكريم المرأة في الإسلام. الجزء ده يا جماعة فيه مشاهد عظيمة جداً من الكرامات والعطايا اللي ربنا أكرم بها المرأة في الإسلام بعد أن كانت لا شيء في الجاهلية، كما يقول عمر: «كنا لا نعد المرأة شيئاً في الجاهلية»، فصار لها أحكام ولها شأن وغضب الله لها، وأنزل لها أحكام شديدة على الرجل إذا استهان بحقوقها. هنشوف ده معنا في سورة المجادلة، هنشوف مشاهد في سورة الممتحنة في مبايعة النساء، سنشاهد هذا المشهد في سورة الطلاق وقد

إليه المرأة صار ليها حقوق هائلة في سورة الطلاق، هنشوف المشهد ده في سورة التحريم وهي بتضرب لنا أمثلة بالمرأة الصالحة: امرأة عمران وآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.

الجزء ده هيبقى حاجة ممتعة جدًا، خاصة النساء تطلع فخورة بدينها وفخورة بأنها أمة لله سبحانه وتعالى الذي أكرمها وأعزها وأعطى لها هذه الحقوق. يكفي إنه قد تكلم في عليائه بسبب امرأة اشتكت إلى ربها سبحانه وتعالى. وهنا ستنطلق بنا السورة الأولى وهي **سورة المجادلة**.

سورة "**المُجَادِلَة**" بيسموها أحيانًا "**المُجَادِلَة**" يعني المُجَادِلَة على اعتبار الجدل اللي حصل بين المرأة اللي هنتكلم عن قصتها كمان شوية وبين النبي عليه الصلاة والسلام. وتسمى "**المُجَادِلَة**" على حال المرأة اللي اشتكت، هي "**خولة بنت ثعلبة**"، تمام؟ اللي هي كانت بتجادل النبي عليه الصلاة والسلام، فسميت "**المُجَادِلَة**". فإذن السورة تسمت باسم المرأة نفسها أو بصفة المرأة اللي كانت وده كان حالها في حوارها مع النبي عليه الصلاة والسلام. وتسمى سورة **قد سمع**، وتسمى **سورة الظهار**.

طيب، هذه السورة سورة **(مدنية)** **بالاتفاق**، لا شك أن هذه السورة مدنية باتفاق جميع المفسرين.

طيب على ما تتكلم أو أي مدار سورة قد سمع؟ سورة قد سمع بتتكلم في إيه؟ يعني إيه المواضيع التي تدور حولها سورة قد سمع؟

سورة قد سمع ممكن نختصرها في أربع محاور:

المحور الأول: الكلام على قصة المرأة المجادلة، مع الكلام على أحكام الظهار في الإسلام وما ترتب عليه والكفارة.

المحور الثاني: الكلام على أحوال المنافقين وموالاته المنافقين لليهود، وكلام ربنا في هذا الشأن.

المحور الثالث: هنتكلم على آداب متعلقة بمجلس النبي عليه الصلاة والسلام من أول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ}** و **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ}** آداب متعلقة بمجالس النبي عليه الصلاة والسلام، وآداب في معاملة النبي عليه الصلاة والسلام، ومناجاة النبي عليه الصلاة والسلام.

المحور الرابع: الثناء على المؤمنين حين تبرؤوا من المشركين؟- على عكس المنافقين بقي- حين تبرؤوا من المشركين واليهود، وبيان أن حزب الله في النهاية هم المفلحون.

كده تقريبًا دي الأربع مواضيع اللي هنتكلم فيها في هذه السورة المباركة.

يلا بينا ننطلق في هذه السورة بعد ما عرفنا اسمها، وعرفنا مدنية ولا مكية، وعرفنا المواضيع اللي هنتكلم فيها. تبدأ بقوله تعالى: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}**.

خلونا نقرأ هذه السورة الطيبة المباركة. زي ما اعتدنا في دوراتنا إن إحنا بنقرأ الجزء اللي هنفسره بحيث إنه يساعد اللي عايزين يحفظوا، وأنا بقرأ بالمد المنفصل عشان غالبكم بيحفظ بالمد المنفصل. هنقرأ الصفحة الأولى لأنه إحنا النهاردة هنفسر الصفحة الأولى فقط. تمام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ • الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الْأُنثَى وَلَدَنَّهُمْ وَلَهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِمَّنْ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ • وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ • فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ • يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

بدأت هذه السورة الطيبة المباركة بقول الله تعالى: {قَدْ سَمِعَ} . وقد تأتي للتحقيق والتوكيد، {قَدْ سَمِعَ} يعني سمع الله فعلاً ما قالته هذه المرأة. تأكيد أن الله سمع هذا الكلام، وأن الله سبحانه وتعالى اعتنى بهذا الكلام. هنشوف إيه اللي حصل بعد مجادلة المرأة، إيه القصة؟ نحن برضو قاعدين نقول **المُجَادِلَةُ** و **المُجَادِلَةُ**. في ناس مش فاهمين إيه الموضوع.

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} إيه اللي حصل؟ ومين المرأة دي؟ وكانت بتجادل في إيه؟ وإيه القصة اللي كانت بتجادل فيها النبي عليه الصلاة والسلام؟ طيب، تعالوا نتعارف على المرأة.

المرأة دي هي: **خولة بنت ثعلبة**. زوجها: أوس بن الصامت، ده أخو مين؟ أخو عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه، وكلهم من الأنصار، تمام؟ فخولة بنت ثعلبة تزوجت أوس بن الصامت وهي كانت صغيرة، وعاشت معه مدة طويلة، وأنجبت منه أولاد، وكَبُرَ سنه وهي برضو كبرت، وخلاص يعني لا هي شابة ولا مثل ما كانت في البدايات، وعاشت معه وكانت كويسة معاه. لكن أوس كان سريع الغضب. خولة بتحكي على الموقف اللي حصل، فقالت للنبي عليه الصلاة والسلام: نزلت فيّ والله وفي أوس بن الصامت صدر **سورة المجادلة**:

«قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خُلُقه» يعني طباعه اتغيرت -كبر السن- عارف الناس الكبيرة ممكن طباعها يتغير شوية. «قالت: فدخل علي يوماً فراجعته في شيء فغضب، فقال: "أنتِ علي كظهر أمي". قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي. قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه». «قالت: فَوَاتَبَنِي فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف

فألقيته عني. قالت: ثم خرجتُ إلى بعض جاراتي فاستعرتُ منها ثيابًا، ثم خرجتُ حتى جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلستُ بين يديه فذكرتُ له ما لقيتُ منه، وجعلتُ أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه".

قالت: والله ما برحتُ حتى نزل في القرآن، فتغشَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه يعني من الوحي، ثم سَرَّي عنه، فقال لي: "يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك". ثم قرأ علي: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** إلى قوله: **﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**. قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مُريه فليعتق رقبة". قالت: فقلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق. قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فليصم شهرين متتابعين». قالت: فقلت: والله إنه شيخ كبير ما به من صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينًا وسقًا من تمر». قالت: فقلت: يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنَّا سنعيه بعرقٍ من تمر». قالت: فقلت: يا رسول الله وأنا سأعيه بعرقٍ آخر. قال: «قد أصبت وأحسن، اذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بآبن عمك خيرًا». قالت: ففعلت.

طيب، هذه رواية مطولة، وفي رواية ثانية هنكمل فيها بعض المشاهد، بس أنا عايز أفهم: هو إيه الموضوع؟ يعني هو عمل إيه بالضبط؟ يعني إيه ظهر منها؟ الظهار يا جماعة: هو حكم في الإسلام، وكان موجود في الجاهلية.

الظهار: أن الشخص يقول لمراته: "أنتِ علي كظهر أمي"، يقصد أنها مُحَرَّمة عليه، فيشبهها بالأم أو بجزء من الأم يحرم عليه النظر إليه.

يعني مسألة الظهار: إن رجل يشبه زوجته بالأم، أو بغير الأم من المحارم المؤبدة.

يعني إيه المحارم المؤبدة؟ يعني: الأم، الأخت، العمّة، الخالة، تمام؟

فلو شبّه امرأته بأحد محارمه المؤبدتين أو بجزء منها يحرم عليه النظر إليه، فده اسمه "ظهار".

مثال: "أنتِ علي كظهر أمي" ده اسمه ظهار. كده هو حرّمها على نفسه.

أو "أنتِ علي كظهر أختي" يقع الظهار. أو "أنتِ علي كظهر خالتي" يقع الظهار.

ومش لازم الظهر. العلماء يقولوا: أي جزء يحرم النظر إليه من هذا المحرم، يقع الظهار. يعني: لو قال لها: "أنتِ علي كبطن أمي" يقع الظهار، حتى لو قال بطن.

أو: "أنتِ علي كفخذ أختي" يقع الظهار، حتى لو لم يذكر الظهر خالص.

المهم إنه حرّمها على نفسه بهذا اللفظ.

طيب، الظهار ده قبل الإسلام كان يُعد طلاق. كان العرب يعتبروا الظهار طلاق، يعني كان موجود قبل الإسلام، لكن كان يُعتبر عند العرب طلاق مالوش حل. لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في الرواية اللي كان فيها الجدل... هو فين الجدل اللي حصل؟

رواية ثانية: أن النبي عليه الصلاة والسلام لما حكت له وقالت له: "ظاهر مني"، قال: «يا خولة، ما أراك إلا قد حُرِّمَتْ عليه»: يعني خلاص، مش هينفع ترجعي له ثاني. كانوا يعتبروا الظَّهَار في الجاهلية انفصال. عشان كده هي امتنعت منه.

يعني لما رجع، هو غضب منها لسبب ما، وبعد كده قال لها: "أنتِ علي كظهر أمي"، وبعد كده خرج، ورجع وعازب يجامعها. قالت له: "لا، والله ما تجامعني ولا تلمسني لغاية ما نسأل النبي عليه الصلاة والسلام". انظر المرأة العفيفة!! جوزها عازب يجامعها، قالت له: "لا، منعرفش الحكم إيه، لازم أتأكد من النبي عليه الصلاة والسلام". انظر إلى التحاكم إلى شرع الله!

الناس دلوقت: الموضوع يخلص، وبعد ما يخلص بيتدي يسأل: "يا ترى ده كان حلال ولا حرام؟" طب ما سألتش ليه قبلها؟ اتعود على كده: في المعاملات، في الطلاق، في الزواج، في اللبس. لا تجيبي لبس وبعد كده تسأل: حلال ولا حرام؟ "تشتغل شغلانة سنين وبعدين تسأل: "الشغلانة دي فيها مشكلة ولا مفيهاش مشكلة؟" لازم نسأل قبل، مش بعد. يعني هي ما قالتش: "طب جامعي وبعدين نسأل". لا! نسأل الأول. قالت: "والله ما تلمسني"! لدرجة إنه غضب منها فوثب عليها، فدفعته وجريت.

لدرجة إنها جريت بهدوم البيت. طب ينفع تروح للنبي عليه الصلاة والسلام كده؟ لا! امرأة عفيفة. انظر إلى حياءها! قالت: "أنا رُحْتُ لجارتي واستلفت منها هدوم". دلوقتي الست لو عندها مشكلة، ممكن تمشي في الشارع بهدومها كده عادي. بل ممكن زوجة أو بنت تطلع البلكونة تنشر بهدوم البيت من غير حجابها، وتقولك: "أنا في بيتي، اللي يبص يبص".

المرأة متخافقة مع جوزها وغضبانة، طالعة وجوزها عامل لها ظهار. انتِ دماغك في إيه ولا في إيه؟ المرأة التقية العفيفة: حجابها أهم حاجة وهي نازلة. المرأة التقية بتدور: "في حاجة باينة من كمي؟ حاجة باينة من ذراعي؟ حاجة باينة في فتحة الصدر؟ حاجة باينة من شعري؟" تتأكد من كل حاجة. قالت: "رحت لجارتي استلفت منها هدوم، ورحت للنبي عليه الصلاة والسلام". بعد كده قالت له القصة.

كان فيما قالت خولة، يعني في الجدل اللي كانت بتجادل فيه النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: «يا رسول الله -في رواية أخرى- إن أوسًا قد تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ، فلما كبرتُ ومات أهلي، ظاهر مني، جعلني عليه كأمه. يا رسول الله، إن لي منه صبية صغار. إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا»: يعني عندي منه أولاد. هي بتمهّد: يعني ارفق بيا في الحكم. عندنا أولاد صغيرين، مش عازبين البيت يتخرب.

بُصَّ المرأةُ العاقلةُ الحكيمةُ: **مش عايزة خراب بيتها**. أنا عيالي لو سبتهم معاه يضيعوا، مش هيعرف يربهم، راجل كبير. ولو فضلوا معايا، مش هعرف أصرف عليهم. **«إِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا»**. فالنبي عليه الصلاة والسلام ما عندوش حكم جديد. ده اللي نعرفه: إن الظهار انفصال تام. فقال النبي ﷺ: **"يا خولة، ما أراكِ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ"**. فقالت: يا رسول الله لا تفعل، يا رسول الله لا تفعل؛ فإني وحيدة ليس لي أهل سواه. كل أهلها ماتوا، ما لهاش حد، هبقى في الشارع، يا رسول الله لا تفعل، ليس لي أهل سواه.

شوف المرأة الحكيمة، بتبقى على بيتها، مش عايزة خراب البيوت، مش عايزة تخرب على نفسها، تفكر في حلول. وقعدت تجادله وتراجعه في الكلام وتجادله، عشان كده سُمِّيت "مُجَادِلَةٌ" و"مُجَادِلَةٌ". والنبي ﷺ يقول: **"يا خولة ما أراكِ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ"**: ما أعرفش حاجة ثانية، ما عنديش حكم ثاني.

فحينها وقفت المرأة أمام النبي ﷺ وقد انقطعت منها الأسباب، ولكن بقي لها مُسَبِّب الأسباب سبحانه وتعالى، الذي بيده كل شيء، وبيده مقادير الخلائق، ويقدر على كل شيء، ويسمع شكوى الإنسان ولو كان في جوف كهف، ولو كان في بطن حوت كيونس عليه السلام.

فلجأت إلى الله، شوف قدامها النبي ﷺ يقول لها خلاص: لا، لا، لا. قالت: أكيد في مخرج، أنا ليا مخرج، ليا مخرج. فرفعت شكواها إلى الله تعالى، فقالت: اللهم إني أشكو إليك حالي، اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقرتي إليك، اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقرتي.

فبينما هي على ذلك إذ نزل جبريل من عند رب العالمين، اهتزت السماوات لشكوى هذه المرأة خولة بنت ثعلبة، وضجت السماء، وتكلم رب العالمين سبحانه وتعالى، ونزل جبريل بكلام رب العالمين، وتلبس بالنبي ﷺ، فأخذ يغشي النبي ما يغشاه حين يتلبس به جبريل بالوحي، الذي يكون كالصلصلة، وهو من أصعب أنواع الوحي التي تكون على النبي ﷺ، ثم سُرِّي عنه وقال: **"يا خولة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك"**، ثم قرأ عليها صدر هذه السورة المباركة: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: 1)**

سبحان الله! انظر إلى المرأة حين اشتكت إلى ربها، المرأة المجادلة خولة بنت ثعلبة، اشتكت إلى الله سبحانه وتعالى، سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات. لم تيأس، لم تيأس. كيف نياأس وربنا يملك كل شيء وربنا يقدر على كل شيء؟

حال خولة بنت ثعلبة كما قال الشاعر:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ
يا من يُرجى للشدائد كلّها
ما لي سوى فقري إليك وسيلةُ
ما لي سوى قرعي لبابك حيلةُ
إن كان لا يرجوك إلا مُحسنُ
حاشا لجودك أن تُقنط عاصيّا
أنتَ المعدُّ لكل ما يُتوقَّعُ
يا من إليه المُشتكى والمَفزعُ
وبالافتقار إليك فقري أدفعُ
ولئن رددتْ فأَيُّ بابٍ أقرعُ
فالمذنبُ العاصي إلى من يرجعُ؟
الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

سبحان الله! تأمل حال هذه المرأة التي وثقت بالله سبحانه وتعالى، وهي تُجادل النبي ﷺ وتشتكي إلى الله ما فعل زوجها معها. تقول له: "يا رسول الله نثرتُ له بطني" - في بعض الروايات - "نثرتُ له بطني، وأكل شبابي، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، اللهم إني أشكو إليك". فسمع الله شكواها من فوق سبع سماوات.

تقول عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنتُ في الحجرة التي كانت فيها المُجادلة، وكان يخفي عليّ كلامها، أسمع كلامًا ويخفي عليّ كلام، وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات".

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاها في خلافته، كان ماشي مع موكب ضخم من أصحاب عمر ورجال الدولة، وبينما هو يمشي إذ نادته امرأة، فقالت: "يا عمر!" فأوقف عمر الموكب بالكامل، ونزل من على فرسه، وذهب إلى المرأة، ووقف معها طويلاً، حتى ملّ الناس. فلما رجع قالوا: يا عمر، تركت الرجال وتركنا الناس من أجل امرأة؟ قال: "أما تدرون من هذه المرأة؟ إنها خولة بنت ثعلبة التي سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات. والله لو وقفت مع عمر إلى آخر الليل لوقف معها عمر، كيف لا يقف عمر مع من سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات؟"

سبحان الله على القلوب، وتعلق القلوب بالله، كيف يغير القدر، وكيف يصنع المستقبل، وكيف يحل المشاكل. مشكلتك مش كبيرة، إنت مشكلتك أنك لا تعرف كيف تشتكي إلى الله. مشكلتك مش كبيرة، مشكلتك سهلة على ربنا، لكن أنت لا تعرف كيف تشتكي إلى الله. فتعلّموا من هذه المرأة التقية النقية الصالحة. فتأمل - رحمك الله - في هذه المرأة وشكواها إلى الله تعالى، موقف مؤثر للغاية، موقف مؤثر للغاية.

من الحاجات المؤثرة أوي:

{قَدْ سَمِعَ}: أولاً: "صفة السمع لله"

{قَدْ سَمِعَ}: إثبات صفة السمع، سمع حقيقي لله سبحانه وتعالى.

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا}.

قالوا: المجادلة هي نوع من الحوار فيه مراجعة، يعني المجادلة هو نوع خاص من الحوار، هو الحوار الذي فيه مراجعة (أخذ ورد يعني) فلما الموضوع يبقى فيه مراجعة كثيرة واحتجاج بيسموه مجادلة.

المرأة كانت بتجادل، ليه؟ عايزة تحافظ على بيتها. طب ما كان سهل جدًا تقول: خلاص مش عايزاه، إن شاء الله العيال يروحوا في داهية، اللي يتخرب بقى ويشيل الشيلة. امرأة شارية، امرأة عايزة تعيش، عايزة تكمل، بتفكر في حل مش بتفكر في خراب، رغم أن جوزها هو اللي غلطان، هو اللي غلطان طبعًا، وقال: منكراً من القول وزوراً كما سيأتي. لكن حتى لو هو غلطان، أنا مش عايزة أخرب على نفسي. عايزين البيت يكمل، عايزين مصلحة العيال، عايزة أربي عيالي.

طالما في حل، نحل. طالما في حل نحل. آه الطلاق ده إذا استحالت العشرة، لكن العشرة ممكن. أنا مش عشان موقف هنسى له كل حاجة، ده أنا أصلاً بعب عليه، بعب عليه إن هو نسي لي كل حاجة، وبعد ما أخذ كل حاجة مني وخلفت له، يظاهر مني! ما يكونش رد فعلها نفس رد الفعل بقى، ما تقولش خلاص أنا برضه هنسى له كل حاجة ويلا بقى طلاق بطلاق.

لا، امرأة حكيمة، بتشتري، ولما بقيس اللي قدامي بقيمته مش بموقف واحد، لا، ده مع عشرة عمر، ما الراجل كان كويس طول عمره معايا، مش عشان موقف واحد أنا أطلق. تمام؟ أنا بعب عليه إن هو طلقني موقف واحد، أروح أنا عاملاها. شارية، عايزة تحل. تمام؟ سبحان الله يعني.

فأخذت تجادل النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن تحافظ على بيتها. تمام؟ فسبحان الله يعني، هذه المرأة بتعلمنا درس رهيب، درس رهيب في العقيدة، درس رهيب في التوحيد، في التعلق بالله سبحانه وتعالى.

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}.

تشتكي إلى مين؟ تشتكي إلى الله!! ما أعظم توحيد هذه المرأة! واقفة بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، ولم تشتك إليه هو عليه الصلاة والسلام، بل اشتكت إلى الله، بل اشتكت إلى الله. فكان الحل لكل مشاكلها لما أحسنت الشكوى إلى الله تعالى. وهكذا، هكذا كل من يشتكي إلى الله تحل مشاكله، كل من يحسن الشكوى إلى الله تحل مشاكله.

المرأة المجادلة خولة بنت ثعلبة التي جادلت النبي عليه الصلاة والسلام في زوجها، لما انقطعت الأسباب لم تشتك إلى النبي عليه الصلاة والسلام، بل اشتكت إلى الله تعالى، فلما أحسنت الشكوى عجل لها بالحل والعلاج.

هذه المرأة تذكرني بعائشة لما اتهمت في عرضها رضي الله عنها وأرضاها. لما اتهمت في عرضها، شهر ما كانش فيه حل لمشكلة حادثة الإفك، فيئست من كل الخلق ورفعت شكوى إلى الله. قالت: اني لا أجد لي ولكم إلا كما قال أبو يوسف لبنيه: **{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}** (يوسف: 18). فنزلت الآيات على النبي عليه الصلاة والسلام ببراءة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

لما اشتكى يعقوب إلى الله قال: **{إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** (يوسف: 86). انفرجت جميع المشاكل. قال لهم: **{ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ }** (يوسف: 87)، لقوا يوسف، واجتمع الأهل، وعاد إليه بصره، وتاب الإخوة. ليه؟ لأنه اشتكى إلى الله وأحسن الشكوى.

النبي عليه الصلاة والسلام بعد رحلة الطائف - أصعب مشهد حصل في حياته - رحلة الطائف، تعرض للإيذاء والسب وذميت قدماه عليه الصلاة والسلام، بعدما اترد الرد الصعب دوت رفع شكوى إلى الله، قال: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني؟ أم إلى بعيد ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك". ومن يومها كان الفرج، بعدها على طول حصلت رحلة الإسراء والمعراج، وحصل بعدها لقاء الأنصار وإسلام الأنصار وبيعة العقبة الأولى والثانية والهجرة، وبدأ كل خير بعد شكوى صادقة إلى الله تعالى.

اشتكى إلى الله. عندك مشاكل؟ اشتكى إلى الله. عندك مشكلة؟ ارفع أكف الضراعة إلى الله. بينك وبين حل المشكلة يدين تُرفع إلى الله تعالى بصدق وبحرارة وبقلب. اعرف أن الحل بيد الله سبحانه وتعالى. تشتكى إلى الله، لم تشتك إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

رسالة إلى القبوريين اللي بيروحوا يشتكوا للمقبور، بيروحوا يشتكوا لسيدي فلان والولي فلان. تمام؟ ارفع شكواك إلى الله، هذا المقبور لا ينفعك: **{إِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنْبِئُكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ}** (فاطر: 14). من أنزل شكواه بالله حُلّت، ومن أنزلها بالناس لم تُحل.

وفي الحديث الحسن قال عليه الصلاة والسلام: "من أصابته فاقة، فأنزلها بالناس لم تُسدّ فاقته، ومن أنزلها بالله يوشك الله له برزق عاجل أو آجل."

إذا انقطعت الأسباب فلا تيأس، ما زال الذي يسمع الشكوى سميعًا بصيرًا قديرًا، سميعًا بصيرًا قديرًا. مهما تكلمنا مع الناس يظل هناك كلام لا يُقال إلا لله، فلا يسكن القلب ولا يطمئن إلا بنقل هذا الحديث إلى الله تعالى.

وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ: هي آية تنزل كالبرد على القلب عند نزول الكُرْبَات، فتعود أن تقول: "إلى الله المشتكى". وتأمل في هذه الكلمة العظيمة وانتبه لها.

يقولون: **"إياك ومن ليس له إلا الله! إياك ومن ليس له إلا الله!"**، فإن لشكواه حرارة ليست كأى شكوى، ولدعوته شأن عند الله ليس كأى دعوة، فإن من انقطعت أسبابه وتعلق بالله فتح الله له أبواباً خاصة من رحمته. فإياك أن تظلم من ليس له إلا الله.

تأمل في حالنا: ولمن نشتكى إذا نزلت بنا مصيبة؟ تجد نشتكى لكل أحد إلا الله. أول حاجة تيجي في بالنا: "يلا نزل لي حالة على انت، نزل لي بوست على انت، اكتب يا جماعة أنا عندي مش عارف إيه، الحقوني..." وتبتدي تنتظر التعاطف والكومنتات والكلام اللي فيه تعاطف معاك. والناس تهتم بيك، والاهتمام ما بيطلبش. وعازب تشوف رأي الناس في مأساتك، وما فكرتش ترفع إيدك إلى الله سبحانه وتعالى!! لما تنزل بيك مشكلة بتدور على التليفونات والناس وتشتكي، ولا فكرت إنك ترفع أكف الضراعة إلى الله. عشان كده مشكلتك ما بتتحلش. وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

ممکن واحد يقول لي: يعني أنا ما أعملش حاجة؟ تعالى بقى ودي الحِجَّة المهمة اللي عازبك تضبطها عندك: **هذه المرأة جمعت بين الأخذ بالأسباب وقوة العقيدة**. مش معنى إني بقول لك ما تشتكيش إلا إلى الله إنك لما تحصل مشكلة تقعد تشتكي لربنا وما تعملش أي حاجة. لا. هي المرأة دي عملت كده؟ لا، هي سعت، فأخذت بالأسباب. ما هي راحت للنبي عليه الصلاة والسلام وطلبت منه الحل، وقعدت تجادل، الأخذ بالأسباب. وطلبت نصحه، طلبت الحل منه، طلبت تدخله، طلبت إن هو ينصحها ويقول لها تعمل إيه؟ وهو نصحها فعلاً، قال لها: ابن عمك، وحافظي على بيتك، والكلام دوت. لكن لما انقطعت الأسباب بقى، ولم يبق سبب، هنا لجأت إلى الله سبحانه وتعالى، وعلمت أنه لن يُنجيها إلا الله سبحانه وتعالى.

يبقى إذن نتعلم من **هذه المرأة التوسط بين الشريعة والعقيدة**. الشريعة بتقول لي: خذ بالأسباب. ما أنا لو ما خدتش بالأسباب وفي أسباب أقدر آخذ بيها، يبقى أنا مقصر ومفرط. وما اتحلّتش مشكلتك، ممكن يكون بسبب إنك مقصر أصلاً، مفرط. مع الأخذ بالأسباب، قلبي متعلق بالله. انقطعت الأسباب؟ ما فيش مشكلة، الجأ إلى الله وارفع كف الضراعة، وربنا يحلّها لي. تمام، حتى لو ما فيش أسباب. سبحان الله يعني، يبقى الإنسان يتوسط بين الشريعة والعقيدة.

إن التوكل على الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب. يبقى أنا بحاول أحل، بحاول أسعى في الأسباب، متوكلًا على الله. والتوكل ده يبان إمتى؟ لما تنقطع الأسباب. لو اضطربت يبقى أنت كنت متوكل على الأسباب. لو لجأت إلى الله وحسيت إن ما فيش حاجة، "إيه المشكلة؟ ولا أي حاجة، ألبأ إلى الله"، يبقى أنت أحسنت التوكل.

من الفوائد من هذه المرأة: **إننا أحياناً نحتاج في حل مشكلتنا إلى ناصح حكيم خبير متجرد من الأهواء.** يعني شوف هي لما راحت طلبت الحل، بغض النظر حصل إيه، بس فكرة إنك لما تحصل مشكلة تروح تطلب حد حكيم يساعدك وينصحك، حاجة مهمة جداً في حياتنا. محتاجين مستشارين كثير، بس مش أي مستشار.

مش واحدة مثلاً تحصل لها مشكلة مع جوزها تروح لصاحبته اللي هي أصلاً عصبية وبتكره الرجالة وتشتكي لها! تصرف خطأ جداً إن هي تسمع نصيحة تخرب بيتها. أو حتى تروح لحد من قرايبها، بس عارفاه إن هو هيتعصب لها، ويروح يضرب جوزها! طب ما إحنا كده ما بنحلش. ربنا قال: **{قَابَعُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} (النساء: 35).**

يبقى أنا عايز اللي يصلح، مش اللي يبوظ. ما أروحش أشتكي للي يخرب بيتي، أروح أشتكي أو أجادل أو أتكلم مع حد أنا عارف إنه عاقل حكيم، هيقولي نصيحة متجردة من الأهواء. تمام. فالبيوت أحياناً بتتخرب بسبب كده، بسبب اختيار خاطئ للناصح. اختيار خاطئ للناصح اللي هو مش ناصح فعلاً، تمام؟ اختيار خاطئ للوسيط. لو كنا اخترنا وسيط أفضل، كان المشكلة زمانها في وضع أحسن بكثير من الوضع اللي إحنا وصلنا له.

تمام، سبحانه الله يعني، هذه المرأة امرأة عجيبة. تأمل في هذا المعنى الجميل، والمرأة هي بتجادل عشان تحافظ على بيتها! حكيمة! لذلك البعض يقول: عندما أوشك البيت أن ينهدم ضجت السماوات العلى. بنحاول نحافظ على البيوت قدر المستطاع ولا نتعجل أبداً الطلاق. بل في ذم للذي بيحاول يخرب بيته بسرعة؛ يعني الشخص سريع الطلاق ده اللي هو كلما مراته تعمل حاجة عليه الطلاق! عليه الطلاق! عليه الطلاق! تبقى طالق لو عملت كده، تبقى طالق لو خرجت، تبقى طالق لو رحتي لفلانة — إيه في إيه؟ للدرجة دي أنت خفيف العقل. هذا شخص خفيف العقل ينبغي أن يؤدب اللي كل حاجة بيتلاعب ببيته ويتلاعب بزوجته.

يخش بقى في فتاوى يروح يسأل بقى: وقع الطلاق ولا ما وقعش؟ ولا ده يمين يكفرها ولا ده طلاق؟ شغلانة بقى. أنت خفيف عقل! إزاي تلعب ببيتك كده وكل ما تغضب تطلق مراتك وترجعها؟ مشكلة كبيرة. أو العكس: امرأة كل صغيرة وكبيرة تطلب طلاق. النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **"أَيُّمَا امْرَأَةٍ طُلِبَتْ طَلَاقٌ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ"**. المرأة ما تستعجلش؛ مش كل مشكلة تطلب طلاق. لا الراجل يطلق عمال على بظال ولا المرأة كل مشكلة تطلب طلاق. ما إحنا كده بيوت بتتخرب على ما فيش، والناس مش وحشة. يعني لو رگزنا وهدينا هو كويس وهي كويسة، دي مشكلة حصلت كل فين وفيين؟ تمام.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: **"لا يَفَرِّقُ مُؤْمِنٌ وَمُؤْمِنَةٌ أَنْ كَرِهَ مِنْهَا خَلْقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرٌ"**. هو مين الكامل؟ ومين المثالي؟ طلقته واتزوجت واحدة غيرها هتلاقي نفس المشاكل بس من نوع ثاني.

طلقك ورحتي اتزوجتي غيره هتلاقي مشاكل من نوع ثاني. طالما الحياة ماشية نمشي البيوت. الطلاق ده حل أخير لما تستحيل العشرة تمامًا، لكن طالما في مخرج نحل. لذلك تجد هذه المرأة من الحاجات الجميلة اللي عملتها إنها لما حصلت مشكلة ما راحتش لعمامها ولا خوالها؛ هي مش عايزة حد — هي أصلاً، احنا قلنا أهلها ماتوا — ما راحتش لحد يروح بقى: "تعال لي بقى وهات لي حقي من جوزي واضربه". راحت لحد يساعدها؟

الحاجات اللي لاحظناها في الرواية، الحاجات العجيبة اللي أنا بتعجب منها في المرأة إنّ لما النبي عليه الصلاة والسلام عرض عليها الكفارة — اللي هنشرحها كمان شوية — قالت له: "هو ما يقدرش؟ ما عندوش رقبة". قال لها: "طب يصوم شهرين". قالت له: "ما يقدرش يصوم شهرين". قال لها: "طب يطعم ستون مسكيناً". قالت له: "ما عندوش فقير". قال لها: "طب أنا هساعده". فالمساعدة بتاعة النبي عليه الصلاة والسلام اللي هو العزق من التمر دوت ما كانتش كفاية، ما كانتش هتكفي طعام ستون مسكيناً. قالت له: "أنا كمان هساعده" — يعني كمان ساعدته من فلوسها علشان يكفر عن الظهار دوت وعشان الدنيا تمشي — يعني في الآخر هي دفعت. سبحان الله يعني، هي المظلومة وهو اللي غلط فعلاً، بس هي "أنا عايزة البيت يكمل".

طب تقول لي: هو دلوقتي النبي عليه الصلاة والسلام قعد يقول لها اتقي الله ابن عمك، شيخ كبير، طب ليه قال لها كده؟ ما هو المفروض يعني هي فعلاً المظلومة، فالنبي عليه الصلاة والسلام بيفكر: هو مين يقدر يحل؟ أنا دلوقتي مش بفكر مين غلطان، مين يقدر يحل؟ هو الراجل مش هيمانع دلوقتي إن هو يحل، بس أنا دلوقتي في واحد سريع الغضب والمرأة واضح إنها عندها حكمة وشاريه، فهو ممكن يقول لها: "معلش اصبري عليه، ما تزعليش منه، إحنا بنحاول نحل".

الصلح يا جماعة مبني على التنازل، مش على الحقوق! ممكن يكون واحد منهم غلطان وأقول للثاني: "معلش عديها". هتقول لي: "وازاى؟ ما جبتيش له حقه؟" هي تتحلّ كده. ده الحل؛ إحنا بنصلح ولا بنجيب حقوق؟ نجيب حقوق نروح المحكمة. نجيب حقوق يبقى ده اسمه تقاضي بقى. لكن بنصلح يبقى الصلح مبني على التنازل. النبي عليه الصلاة والسلام قالها معلش عديها، الرجل شيخ كبير وأنت تعرفي نصبر عليه. وكمان قبل منها أن تساعد في الكفارة. فالصلح غير التقاضي: **التقاضي يكون بالعدل كل واحد ياخذ حقه، لكن الصلح مبني على التغافل والتسامح والتنازل. فلما نقعد قاعدة صلح ما تبقاش عايزة تاخدي حقك كله ولا أنت تاخد حقك كله. تمام؟ امرأة بتحل.**

لكن الجميل في المشهد كله برضه إننا بنشوف قد إيه الإسلام أكرم المرأة؟ شوف الأحكام اللي هتيجي دي كلها إكرام للمرأة. ازاي الراجل يقول لك كده؟ ازاي الراجل يقول لمراته: "أحرم مراتي على نفسي"؟ ده يتعاقب عقوبة شديدة. بعد ما كان الظهار ده ما لهش حل، وبعد ما كان الظهار ده بيتعمل مئات المرات، لا خلاص انتهى الكلام. ده الكلام ده منكر وزور ويتعاقب الرجل على الكلمة دي. المرأة مش لعبة ومش كل ما تغضب تحرمها على نفسك. تعال بقى شوف هيحصل فيك إيه؟

قال: {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا}، وأتخمت الآية الجميلة دي بالاسمين الي تعلق بيهم القلب: {اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}، يتعلق القلب بالله سبحانه وتعالى.

وبعد كده بدأت بقى الأحكام — أحكام الظهار. وإحنا شرحنا يعني إيه الظهار؟ الي عمل الظهار ده الي هو حَرَم امرأته على نفسه بأن شبهها بأحد محارمه المؤبّدت زي الأم زي الأخت زي الخالة؛ شبهها بيها قال: "أنتِ عليّ كأمي". يعني لو قال لها "أنتِ عليّ كأمي" يقع الظهار، مش لازم يقول ظهر خالص حتى. أو لو قال لها "أنتِ كأمي" يقع الظهار برده إذا نوى بالظهار طبعًا. أو قال لها "أنتِ كأختي" أو قال لها "أنتِ كظهر أختي" أو قال لها "أنتِ كبطن خالتي" المهم وصف جزء من محرم له مؤبّدة لا يحلّ له النظر إليه — هنا حرمت عليه المرأة عشان الكلمة دي وده حكم الظهار.

طيب يترتب على حكم الظهار إيه؟ **أولاً هو حرام ومنكر**. ده مبدئيًا هذا إثم. إذن، الزوج الي قال الكلمة دي بينه وبين الله توبة. توبة يحتاج يتوب بقى بينه وبين الله. موضوع بقى عشان يتوب يعني الكفارة دي عشان موضوع الجماع وإن يرجع لزوجته، لكن في أصلاً منكر حصل.

عشان كده ربنا قال: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا آلِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ}.

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ} : إنت ليه بتقول على زوجتك إنها أمك؟ أولا هي مش أمك، أنت ليك أم واحدة. ده كذب، ده زور، ده بهتان، ده ظلم للمرأة. تمام؟ ده كذب، ده تحريم ما أحله الله، ده إيذاء لمسلمة.

{مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا آلِي وَلَدْنَهُمْ} : وانظر كيف غضب الله للمرأة من كلمة هذا الرجل {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} : منكر، حرام، زور، كذب؛ هي ليست الأم، هذا إيذاء، هذا تعدّ، هذا كذب، هذا تحريم ما أحله الله {لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا}.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ} : يا سلام شوف لغاية هنا تحس إن ربنا غضب وربنا سبحانه وتعالى يتوعد، وتحس إن الموضوع قفل، وسبحان الله مرة واحدة يتفتح: {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ}، كأنه بيمهد إن في حل.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ} : بعض العلماء قال خاطرة هنا جميلة: قال عفو غفور كمان لو إن إنسان قال هذه الكلمة ولا يقصد الظهار. تقول لي إزاي؟ هو في حد بيقول الكلمة دي لا يقصد الظهار؟ أه، كتير جدًا. ممكن واحد مثلاً قال لمراته عايز يقول لها إن هي بتعمل له كل حاجة وبتساعده قال لها: "أنا بحس إنك كأمي" — زي أمي، صح؟ هو مش قصده ظهار. هو قصده يعني في الحنية والرعاية والكلام ده. أو مثلاً في أزواج بيقول لزوجته يا ماما، ليه بيقول لها يا ماما؟ علشان يعود ولاده على كلمة "يا ماما" ويعودهم يحترموا ماما، فهو نفسه بيقول لها "يا ماما".

طيب هل ده ظهار؟ الإجابة: لا، ليه؟ **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"**، وهو لم ينو الظهار بالكلمة دي فلا يقع ظهار.

طيب هل هذه الكلمة جيدة؟ نقول أيضاً لا. ما ينبغي لرجل أن يقول لزوجته "يا أمي" ولا يقول لها "يا ماما" — حتى لو عايز تربي أولادك على احترام الأم ما تقولش لزوجتك "يا ماما"، قل لها: "قولوا لماما يا ماما". أنت قل لها "يا زوجتي" أو "يا حبيبتي" أو باسمها، ليه تقول لها "يا ماما"؟ هذه الكلمة في الشرع ليها أحكام. يعني فما ينبغي أن تستعمل بهذه الطريقة حتى لو بدون قصد لظهار، فلا يصح إن واحد يقول لزوجته "يا أمي" أو "يا ماما" — الأفضل أن نتجنب تماماً المصطلح ده بين الزوجين. تمام؟ فما يقولهناش "يا أمي" ولا "يا ماما" ولا بتاع والكلام ده. يقول لها أي ألقاب ثانية على سبيل التقدير والاحترام.

اه، دي تدخل في قول تعالى: **{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ}**، يعني ربنا بيعفو ويسامح لو حد يعني قال الكلمة دي وما كانش قصده ظهار — ربنا بيعفو ويغفر — لكن ما ينبغي أن تُقال. وبرضه إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ بتمهد لي جاي الي هو الحل بقي.

بعد كده قال: **{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**.

إيه اللي بيحصل هنا؟ اللي بيحصل هنا الحل. بس أنا عايزك تلاحظ حاجة: لاحظ طريقة القرآن في التعامل مع حاجة زي كده عشان نتعلم نعمل إيه مع الناس دي؛ واحد زوج مستهتر قال لمراته الكلمة دي، أو زوج ثاني مستهتر كل شوية يقول لمراته "علي الطلاق، علي الطلاق، علي الطلاق" تبقي طالق لو عملت، تبقي طالق لو سويتي. طيب إيه الحل؟ نتعامل معاه إزاي؟ نتعامل معاه زي القرآن. أول حاجة نعنفه، ثاني حاجة نقول له الحل.

لاحظت أنت الترتيب: **أول حاجة التعنيف** — نقول له اللي أنت قولته ده غلط وحرام وما يرضيش ربنا، وأنت بتلعب ببيتك وأنت بتخرب على نفسك، وأنت المفروض راجل وعاقل وحكيم وما ينفعش إن أنت تبقي خفيف وكل شوية تطلق وكل شوية تلعب ببيتك؛ اقعد أنبه وعنفه، وكأن ما فيش حل في الأول. **وبعد كده أقول له: "تعال نحل"** — المفروض تعمل كده في كفارة يمين، في كفارة ظهار، في حل، وابتدي ألاقي له حل.

لكن مش على طول أقول له: أنت قلت طب تعال ده سهلة سهلة محلولة ماضية عادي، ما هيروح يطلق ثاني! وهيروح يظاهر ثاني! ما خلاص قال لك الموضوع سهل ما فيش حاجة. لكن التعنيف ده يخليه يخلي باله من كلامه.

يا جماعة البيوت بتخرب بكلمة! أنت راجل يعني راجل، يبقى ربنا أداك القوامة عشان أنت عاقل، عشان أنت تقيل، مش عاطفي زي المرأة. عشان كده المرأة ما فيش في إيديها إن هي تطلق نفسها، تمام؟ كأصل في الشريعة، ليه؟ لأن هي عاطفية يعني عاطفية، ممكن فعلاً البيت يتخرب بسبب إن هي في لحظة عاطفة تطلق زوجها.

طب أنت خدت ليه أنت العصمة في إيدك أو الطلاق في إيدك؟ عشان أنت المفروض أعقل، اصبر، تمام؟ فلو أنت بقيت خفيف، طب ما أنت فين القوامة بقي؟ يبقى أنا الأول أعنف، أؤدب، أقول كلام جامد، وبعد كده أقول له تعال نشوف الحل.

شوف الآية الثانية بقي بتقول لنا الحل. قال تعالى: **{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا}** (المجادلة:3).
يعني إيه **{يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}**؟ يعني يريدون أن يجامعوا، يعزمون على الجماع.

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} : تحرير رقبة إيه؟ من قبل أن يتماسا. طيب يعني إيه تحرير رقبة؟ تحرير رقبة يعني زمان كان في عبيد، يبقى الحل إن أنت عندك عبد تحرره، تحرره تجعله حرًا لوجه الله، تمام؟ أو أمة يعني.

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} كده ساعتها تروح إيه؟ ممكن أنت تباشر المرأة. **{مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا}** سؤال بقي هنا مهم: يتماسا هنا اختلف العلماء فيها، هل المقصود يتماسا: الجماع ولا كمان مقدمات الجماع زي القبلة والمداعبة والملاعبة والكلام ده؟ آه، تخيل بقي هنا في كلام لأهل العلم: بعض أهل العلم قال الممنوع منه بس الجماع، أما مقدمات الجماع مش ممنوع منه. وبعض من العلماء قال: بل هو ممنوع من الجماع ومقدمات الجماع، يعني ليس له القبلة، ليس له المباشرة، ليس له التلذذ بجسدها حتى لو كان مش هيجامع. وده الأقرب والله تعالى أعلم. والأحوط كمان؛ لأن في رواية بتوحي بذلك، وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: **«ما حملك على ذلك يرحمك الله؟»** قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: **«فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله»**.

ف"لا تقربها" أيضًا سندخل في خلاف: يعني تقربها دي معناها الجماع ولا مقدمات الجماع؟ فبعض العلماء قال من الاحتياط إنه ممنوع من الجماع ومن كمان مقدمات الجماع حتى يفعل ما أمره الله سبحانه وتعالى. وده من تمام العقوبة، من تمام العقوبة. طيب، يبقى إذن لو حب هو يرجع لمقدمات الجماع والجماع يبقى ساعتها لازم الأول يكفر، مش يعمل وبعد كده يكفر، لا، لازم قبلها يكون مكفر.

طب لو عمل كده؟ لو جامع أو باشر قبل التكفير؟ يبقى آثم، فعل فعلاً محرماً، مش هنقول زنا، مش هيبقى زنا، هي زوجته، تمام؟ لكن اللي فعله ده حرام، هو آثم الآن. طيب، عليه كفارة ثانية؟ لا، هي نفس الكفارة، بس ازداد الإثم دلوقتي، يبقى محتاج توبة ثانية، وهي هي كفارة واحدة، هي نفس الكفارة. لكن يتوب من المصيبة اللي هو عملها.

{مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة:3).
{ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ} : موعظة من الله. عشان كده بيقول لك: الوعظ هو الكلام اللي فيه ترهيب وترغيب، عشان الكلام كان فيه ترهيب وكده فتسميت وعظ.

{ثَوَعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ، ما تتحايلش على الشرع، تمام؟ بعض الناس يتحايل في الشرع، يدور على حد يفتيه فتوى "مشي حالك"، يروح يقول للشيخ كلام غلط أصلاً، يكذب عشان يطلع من الشيخ فتوى، يكتم إنه طلق قبل كده عشان يطلع من الشيخ فتوى. تضحك على مين؟ تضحك على ربنا؟ **{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**.

طب أنا ما فيش رقبة دلوقتي، ما فيش عبید أصلاً: **{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا}** (المجادلة:4): **صيام شهرين متتابعين**. هي دي الكفارة على الترتيب ولا على التخيير؟ لا، على الترتيب. يعني الأول: 1- **تحرير رقبة**، ما فيش رقبة، خش في اللي بعده. 2- **صيام شهرين متتابعين** من قبل أن يتماسا. بص العقوبة وصلت لإيه؟ عشان تعرف إن المرأة خدت قدر قد إيه في الإسلام: جوزها لو قال لها كلمة زي دي شهرين يصوم عشان يقدر يباشرها بس، "عشان ما حدش يتلاعب بالنساء". تمام؟

من قبل أن يتماسا: **شهرين متتابعين، شهرين هجريين يعني**، تمام؟ شهر عربي، شهرين عربيين. يصوم شهرين متتابعين، لو فصل بينهم بيوم، فطر يوم يعيد من الأول، بس فطر يوم بغير عذر، لكن إن أفطر بعذر خلاص عادي يكمل، عشان هو معذور. عذر زي إيه؟ زي مثلاً إنه أثناء الشهرين المتتابعين مرض، والمريض له أن يفطر زي لو في رمضان له أن يفطر، فافطر بسبب مرض خلاص ما فيش مشكلة، بعد ما يبقى كويس يكمل عادي مش هيعيد من الأول. أو أثناء الشهرين المتتابعين سافر، والمسافر له أن يفطر في رمضان، من باب أولى له أن يفطر في الكفارة. لما يرجع يكمل عادي مش لازم يُعيد. أو أثناء الشهرين المتتابعين -سبحان الله- صادف رمضان، يعني صام قبل رمضان فصادف رمضان. وإن كان الأولى يعني يُضبط الشهرين بعيداً عن رمضان، لكن لو حصل يصوم رمضان كله ويمتنع أول يوم في العيد طبعاً عن الصيام عشان حرام، وبعد كده من ثاني يوم في شهر شوال يكمل صيامه عادي. لكن إذا أفطر يوماً بدون عذر من الأعذار دي في الشهرين يُعيد ثاني من الأول، وما ينفعش يُباشر المرأة لغاية ما يُكمل الشهرين.

{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ} واحد لا يقدر على الصيام. يعني إيه لا يقدر على الصيام؟ مش اللي هو أصل شهرين كتير مش هقدر، لامش ده. "لا يقدر على الصيام" يعني الشخص ده ما بيصومش رمضان. مش واحد في ناس أصل إيه؟ بيعتبر "ما أقدرش" دي اللي هو إيه؟ أصل صعب. مش فكرة صعب؛ "ما تقدرش" يعني لو صُمت هيحصلك حاجة. مش اللي هو فكرة صعب، طب ما هو صعب طبعاً، ما هي دي عقوبة. لكن الصعب ده اللي هو فعلاً ما بيصومش رمضان، يعني لو هو ما بيصومش رمضان يبقى هو ما يصومش، لكن واحد بيصوم رمضان ييجي يقول لك: لا أصل دي تقيلة عليّ. طب ما أنت بتصوم رمضان أصلاً، لا عادي، لكن فعلاً **{فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ}** فعلاً لكبر سنّ أو لعجز أو لا يطيق الصيام.

يبقى الحل بقى بعد كده: 3- **يُطْعَم سَتِينَ مَسْكِينًا**: **{فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا}**.

إطعام ستين مسكينًا. طب يُطعم ستين مسكين إزاي؟ طبعا لازم ستين مسكين. هل ينفع يُطعم واحد ستين وجبة؟ لا، لازم ستين واحد مختلفين؛ لأن العدد هنا مقصود. ستين مسكين يكون مسكين يعني فقير لا يجد، تمام؟ يعمل إيه؟

حاجة من الاثنين:

1- في طريقة سهلة إن هو يعمل لهم وجبات زي اللي إحنا بناكلها في بيوتنا. تمام؟ وجبة عادية زي اللي بناكلها أو بنجيبها من المطاعم. وجبة عادية جدًا من وسط أكل الناس، الناس بتاكل إيه؟ بياكلوا رز وطبيخ، رز وطبيخ وجبة لحم، رز وطبيخ يعني حتى لو ما قدرش على لحمة مش مشكلة. الأكل الوسط اللي الناس بتاكله. عمل ستين وجبة وأطعم ستين مسكين خلاص، يبقى خلاص خلص كده، هو يباشر المرأة ويعمل اللي هو عايزه.

2- أو في حاجة تانية لو أنت عايز تعمل نواشف بقي زي رز، فول، عدس. إيه الحد الأدنى لهذا الموضوع؟ الحد الأدنى والله أعلم نصف صاع. يعني إيه نصف صاع؟ الصاع حوالي 2 كيلو وربع، يبقى نصف صاع كيلو وثمان مئلا، كيلو وثمان يعني لو طلع كيلو وربع أحوط. المهم حاجة كده يعني حوالي كيلو وربع أو أقل. شوية رز أو عدس أو فول أو أي حاجة من البقوليات المنتشرة، يدي 60 مسكين الحد ده أو أكبر منه يبقى كده خلص إطعام 60 مسكين. فيبقى هو لازم يعمل ده قبل المباشرة أو قبل الجماع.

{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا} : يبقى زي ما قلنا الواجب عليه تاني للتأكيد: إذا أراد أن يعود إلى المرأة فالموضوع بالترتيب:

1- تحرير رقبة: ما فيش رقبة يبقى...

2- صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا: شهرين متتابعين هجريين، ماينفعش يفصل بينهم إلا بعذر. عذر زي إيه؟ زي مرض أو سفر أو رمضان عرض عليه أو جاله يوم عيد، تمام؟ طيب صام شهرين متتابعين مقطّعش ما بينهم خلاص. طيب ما يقدرش يصوم هو عاجز عن الصيام يبقى عليه...

3- إطعام ستين مسكين: قلنا لازم 60 مسكين، 60 وجبة. ما ينفعش يُطعم واحد 60 وجبة؛ لأن العدد مقصود. فأما يُطعم كل مسكين وجبة من أوسط أكل الناس، وجبة زي اللي بناكلها في بيتنا أو اللي بنشترها من المطاعم، أو كل مسكين يديه نصف صاع من البقوليات زي الرز، العدس، الفول. نصف صاع يعني إيه؟ يعني حوالي كيلو وثمان أو كيلو وربع من النواشف دي. إطعام 60 مسكين لو عاجز عن الصيام وخلاص.

قال تعالى: **{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}**

يعني إيه **{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}**؟ ليه ربنا قال: **{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}**؟

لأن الحكم ده فيه اختبار للإيمان. الحكم ده فيه شدة: صيام شهرين وبتاع. طيب، ممكن واحد يقول: "أنا مش عايز، هو إيه كل ده؟ ليه؟ لا لا، أنا مش راضي. مش راضي بالحكم. مش عاجبني الحكم ده، أنا مش راضي عن حكم ربنا." آه، يبقى إذن أصل الحكم فيه اختبار، اختبار للإيمان.

وكان كل حكم من أحكام ربنا مخالف لهواك، هو اختبار لإيمانك؛ لأن أكيد الحكم ده مخالف لهوى أي رجل، صح؟ أكيد. وهنا بقى يظهر معدن الإيمان. ليس الإيمان في إن أنت تفعل ما تهواه نفسك.

مثلاً واحدة تقول لك: أنا بصلي، طب ما كلنا بنحب الصلاة. أنا بصوم، طب ما كلنا بنصوم. طب الحجاب؟ تقول لك: لا، شكلي وشعري وحلاوتي وجمالي، وربنا جميل يحب الجمال والكلام ده. الله الله الله، إيه اللي حصل؟ ما أنت كنت بتصلي وبتصومي. آه عشان ده مخالف للهوى. طب ما هو الإيمان بيظهر في مخالفة الهوى، ها؟ لما نقول لك: ما تصافحيش الرجال. لما نقول لك: الحجاب. لما نقول لك: ما تصاحبش بنت. تمام؟ لما نقول لك: ما تتفرجش على الإباحية. ما هو ده اللي مخالف للهوى. هنا يظهر الإيمان في الأحكام اللي هي بتخالف هواك.

{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا} : لتثبتوا هذا الإيمان بالله ورسوله.

{وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} : حدود الله.

{وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} : الله، هو ليه جاب سيرة الكافرين هنا؟ قال لك: اه؟ ممكن واحد يكفر بالله لو اعترض على حكم ربنا وقال لك أنا مش عايز حكم ربنا، أنا مش راضي بحكم ربنا، أنا مش عاجبني حكم ربنا يكفر.

{وَاللَّكَافِرِينَ} : أسوأ بقى أنت دخلت في مشكلة أسوأ ما عجبكش ده أنت رايح على أسوأ منه.

{وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} : كان مناسب بعد كده يذكر بقى الكافرين اللي بيحادوا الله تعالى ورسوله.

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}**.

يعني ايه الكلام ده؟ **{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ}** ... يعني ايه **{يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}**؟ "يُحَادُّونَ" جاية من الحد يعني بقى هو في حد ودين ربنا في حد تاني، سموها يُحَادُّ.

ومثلها **{يُشَاقُّ}** — **{يُشَاقُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}** **{يُشَاقُّ}** من الشق: كأن دين ربنا في شق وهو في شق آخر. وزى **{يُعَادِي}** من العدوة؛ هو في عدوى وأنتم بالعدوى الدنيا هم بالعدوى القصوى؛ هو في حنة وهم في حنة تانية. وكان هو مش عايز دين ربنا عايز بينه وبين دين ربنا مسافة. فده يُحَادُّ الله ورسوله.

وربنا بيقول على دول **{كُتِبُوا}**. ربنا بيقول على دول ايه؟ **{كُتِبُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}** — يعني ايه **{كُتِبُوا}**؟ قالوا: **{كُتِبُوا}** يعني أهينوا وأذلوا ولم يصلوا إلى مرادهم ومقصدهم؛ **{كُتِبَ}** من الكُتِبَ؛ واحد **{كُتِبَ}** يعني ايه؟ يعني ما عرفش يطلع، ما عرفش يعمل اللي هو عايزه. فبيقول لك كُتِبَ يعني أهين وأذل ولم يصل إلى مراده ولا مقصده.

{كُتِبُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} : كما فعل الله بالذين من قبلهم بعد ما عملوا الأعمال ومكروا بالإسلام وفي الآخر نصر الله المؤمنين وأعز دينه ونصر أنبياءه سبحانه وتعالى.

كما قال سبحانه وتعالى: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبُنَّ كَيْدُهُ مَا يَعِظُ}. يعني والله لو موت نفسك في حرب الإسلام ربنا سينصر دينه ورسوله. وكما قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ} - سبحانه الله.

{كُتِبُوا} — لم يصلوا إلى مرادهم. ممكن واحد يقول ايه: طب ما في كفار قتلوا الأنبياء. طب ما في مؤمن آل ياسين اتقتل، صح؟ طب ما في قصة الغلام والساحر الغلام اتقتل. خد بالك: هو مراد الكافر ايه أصلاً؟ يعني ايه غايته؟ مش غايته أنه يقتلك؟ هو عارف إنك لو متّ على دينك هتدخل الجنة — ما هيدي دي بتكتبته برضه. هو غايته أن يطالعك من دينك: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}. أدي المراد. الآية الثانية: {وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}.

يعني الغاية أن أنت ترتدّ عن دينك إن استطاعوا. يبقى اذن الغاية إن أنت ترتدّ، الغاية إن أنت تترك دينك؛ طالما أنت ثابت على دينك سواء عشت أو متّ، انتصرت أو ما انتصرتش فهو كده كُتِبَ. فهمت؟ لأن هو ما عرفش يطالع منك دينك.

والعكس ممكن تبقى أنت في رخاء وعافية وهو ما يبجيش جنبك بس قدر يطالعك من دينك: قدر يفتنك، قدر ينشر فيك العلمانية، الإباحية، دعاوى التنوير، دعاوى الإلحاد، وبقيت أنت دولة اسمها مسلمة والناس فيها اسمهم ما فيش — ما فيش حرب ولا كفار بيعتدوا علينا — بس هم أصلاً أنت عملت اللي هم عايزينه من غير ما يعتدوا عليك. والعكس ممكن تكون دولة ثانية تحت القصف صبح وليل وأهلها بيموتوا شهداء بالآلاف كل يوم لكن الكافر مكبوت منهم ما عرفش يطالع واحد من دينه. يبقى إذن، كيف نهين الكافر، نذلّه ونكبّته؟ بالثبات. إمتى تفرح الكفار فينا؟ لما تنتكسي، لما تبيع دينك، لما تغير عقيدتك، لما تغير ثوابتك.

عشان كده بنقول مؤمن آل ياسين كبّتهم؛ لأن هو مات ثابت ما عرفوش يطالعوا منه دينه وربنا دخله الجنة وانتقم بعديها من الكافرين: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ يَحْسُرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}.

الغلام والساحر: آه الغلام اتقتل في النهاية لكن مات على دينه ثابت والملك هو اللي كبّت في النهاية وآمن أهل القرية كلهم؛ خدوهم حفّزّهم في الأخاديد برضه ربنا قبض أرواحهم قبل ما يصلوا إلى النار وفي الآخر النار طلعت أكلت الملك وجنوده ودخلوا النار والمؤمنين دخلوا الجنة. يبقى مين اللي كبّت؟

{كُتِبُوا} : يبقى إذن دايماً الكفار مع المؤمنين كُتِبُوا، طالما ما عرفش يطلعك من دينك يبقى هو ما عملش حاجة.

{كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ، وربنا بيّن أن دينه ما كانش فيه سبب إنهم يكفروا، واضح بيّن. **{وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}** واضحات. لكن إنما العناد والجحود والظلم والبغي: **{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}** . **{وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}** واضحات **{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}**.

ثم قال تعالى: **{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**.
الله يوم يبعثهم جميعاً، يعني إيه "جميعاً"؟ قالوا فيها قولين: القول الأول والأقرب . جميعاً يعني يبعث الأولين والآخرين: **{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ • لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}** . سبحان الله! فالقول الأول أن "جميعاً" يعني يجمع كل الناس، كل الخلائق، الأولين والآخرين. القول الثاني "جميعاً": يعني يجمع كل واحد على حدة مهما تفرقت أجزاؤه، ف"جميعاً" هنا يجمع كل واحد مهما تفرقت أجزاؤك يجمعك سبحانه وتعالى. عموماً القولان بيكملوا بعض، والأظهر هو القول الأول.

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}: قالوا: "النَّبَأُ" أعلى من "الخبر". الخبر ممكن يكون عادي، أما النبأ فلا يكون إلا أمراً عظيماً. ولأن اللي هيتقال لهم ده سيطرتب عليه مصيرهم سماه "نبأ": **{فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}**.

قال تعالى: **{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**.

"نسوه" ليه؟ قالوا: نسوه بسبب اللامبالاة. نسوه بسبب الغفلة عن لقاء الله. نسوه بسبب تقادم الذنوب تُنسى بعضها بعضاً. المهم أنهم نسوه، لكن الله لا ينسى أبداً: **{لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى}** ، **{وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}** ، **{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ}** **{مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}**.

{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}: الحقيقة الآية دي . وإن كان السياق في الكافرين . بس أنا لازم أطلع منها فوائد كثيرة جداً:

الفائدة الأولى: تقول لك: لا تحقرن ذنباً، فالاحتقار يؤدي إلى نسيان الاستغفار. لا تحقرن ذنباً، فالاحتقار هو بداية نسيان الاستغفار. لما أستصغر الذنب مش هستغفر منه، لكن لما أعظمه هقعد أستغفر وأحل المشكلة دلوقتي. إن ما حليتتهاش دلوقتي هتيجي يوم القيامة. فحل مشاكلك أولاً بأول مع ربنا عشان تخف يوم القيامة. كل ما تذنّب استغفر على طول. لكن لو قلت "أستغفر بعدين" هتنسى، وهييجي ذنب تاني ينسيك الأولاني. عجل!! عشان كده: **"إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ"**. حاول كل نص يوم تخلّص أمورك مع ربنا. تحاسب نفسك وتتوب، وتوبتك الأفضل تكون في أذكار الصباح والمساء: تستجمع كل ذنوبك وتستغفر منها، ولو في مظالم تردها، وتعيش نص يوم بنص يوم. إن أجّلت هتنسى، وهتقابل يوم القيامة.

الفائدة الثانية: من الناس من يعدّون الطاعات، لو قلت له: الطاعات الي عملتها؟ ما شاء الله يعدها كلها. لو قلت له: عملت كم معصية النهارده؟ ما يفتكرش. مع إن الأولى يعد المعاصي مش الطاعات. أحد السلف وجد رجل قاعد يعد تسبيحاته فقال له: **يا أخي عد معاصيك، فإني أضمن لك ألا تضيع تسبيحاتك.** وكان من السلف من يعد كلامه في اليوم والليلة، يعني في آخر اليوم إن تكلم بكلمة يكتبها، ويراجع نفسه ويحاسبها ويستغفر.

إحنا بنعد الطاعات ليه؟ عشان قليلة. ومش بنعد المعاصي ليه؟ عشان كثيرة. فاللهم ارحمنا، اللهم ارحمنا. إنما نعد الطاعات لقلتها، ونخشى من عدّ المعاصي لكثرتها. فرحمك ربي، رحماك ربي. أخشى من الذي لا ينسى ذنوبك التي نسيتها، وفي نفس الوقت أرجو من الذي لا ينسى حسناتك التي نسيتها: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}**

طب لو أنا فعلاً بنسى؟ يعني بعمل ذنوب وبنسى، أعمل إيه دلوقتي؟ أعمل زي النبي ﷺ: كان يستغفر، يقول: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ شَيْئًا أَعْلَمُهُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُهُ"**. تقول: يا رب أستغفرك من الذنوب التي أعلمها والتي لا أعلمها. أو كما في الحديث: **(وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَم، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ)**، يعني أستغفر مما يعلم الله، مش مما أعلم أنا. أنا بنسى، وربنا ما بينساش. تقول: "يا رب اللهم إني أستغفرك مما تعلم من ذنوبي، لا مما أعلم من ذنوبي". أو تقول لنفسك: "اللهم إني أستغفرك مما أعلم ومما لا أعلم". أو تقول: "اللهم إني أستغفرك مما تعلم أنت من ذنوبي". فده يجمع لك كل ذنوبك.

{أَخْصَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}: في العصر الحديث هذه الآية لا تسقط فقط على الذنوب الي إحنا معتادين عليها: الكلمة والنظرة، بل لا تنس بوساتك، تغريداتك، تعليقاتك التي نسيتها. كتبت ونزلت في التايم لاين بتاعك واتنسى وما حدش فاكر إنت كاتب إيه، كل ما كتبتة ستحاسب عليه: كل كومنت، كل تعليق، كل "ريأك"، كل تفاعل، كل "شير" اتنسى في التايم لاين، راح واتمسح، ممكن الأبلكيشن مسحه، لكن ربنا يذكره. بتكتب إيه في تعليقاتك؟ بتكتب إيه في بوساتك؟ بتسخر؟ بتشير إيه؟ بتنشر إيه؟ دي داخلة أصلاً في: **{أَخْصَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**. احذر أن كل ده ستلقاه يوم القيامة، فلا تكتب كلمة ولا تعلق تعليقاً إلا وأنت تعرف بما ستجيب ربك يوم القيامة إذا قال لك: عبي، لِمَ كتبت كذا؟ وَلِمَ قلت كذا؟ وَلِمَ نشرت كذا؟

تخيّل بقى الصفحة دي بس، كده طلعا منها مصالح وفوائد قد إيه؟ عايزين نعمل بيها بقى ونتدبرها قوي، ونعيد ونكرّر فيها عشان نعرف جمالها وروعيتها. ويا ريت تحفظوها، إن شاء الله نبدأ في الصفحة الثانية المرة القادمة. جزاكم الله خيراً على حسن المتابعة.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.
السلام عليكم ورحمة الله.

مَدْرَسَةٌ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الثانية

مناجاة شيطانية | الشبر حلال المشاكل

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الثاني من هذه المدرسة الطيبة المباركة، مدرسة جزء قد سمع. يمكن المرة الماضية بدأنا في **سورة المجادلة** أو **المجادلة**، على الأسماء التي ذكرناها، وفسرنا بفضل الله سبحانه وتعالى الصفحة الأولى كاملة من سورة المجادلة، وكم رأينا فيها من فوائد وثمرات.

وبهذه الطريقة سنسير في مدارس هذا الجزء القيم، إن إحنا بنقرأ الجزء اللي إحنا هناخده، وبعد كده بنبتدي نستعين بالله سبحانه وتعالى، ومن خلال التفاسير ومن خلال التأمل نحاول إن إحنا فعلاً نحول كل صفحة أو كل مجلس من مجالسنا إلى قيمة كبيرة جداً جداً، إسقاطات واقعية نحاول إن إحنا نحول القرآن إلى منهج عملي نستشعره في حياتنا، تطلع من السورة تلاقي تطبيقاً سريعاً تطبقه في حياتك. المرة الماضية أخذنا الصفحة الأولى كاملة، وانتهينا من قوله تعالى: **لَا أُخْصِلُهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**.

ونحن الآن واقفون على بداية الصفحة الثانية في سورة المجادلة، من قوله تعالى: **لَا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**. هناخد الصفحة الثانية كلها وممكن جزءاً من الصفحة الثالثة؛ لأنه متعلق بموضوع آخر آية في الصفحة الثانية. خلونا نقرأ مع بعض اللي هناخده النهاردة ونستعين بالله سبحانه وتعالى ونتوكل عليه في فهم المعاني، نسأل الله أن يفتح لنا ولكم بكل خير. اللهم آمين، اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

لَا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِاللَّيْلِ وَالْعُدُودِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالْعُدُودِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (9) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13)

هذه الآيات الكريمة من سورة المجادلة بدأت بقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}**. سبحان الله! كان هذا مناسباً للآيات التي قبلها، لما ذكر سبحانه وتعالى: **{أَخَصَّهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}**. وهذا الإحصاء يستلزم أن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، ومطلع على كل شيء، لا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى، فبيّن وأكّد سبحانه وتعالى أنه يعلم كل شيء، كل التفاصيل، حتى ما ظن الناس أنه يخفى على الله فإنه لا يخفى عليه أبداً.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7)}

النجوى — قالوا عن النجوى — هو حديث سرّ يكون بين اثنين أو أكثر من اثنين، لكنه في العادة يكون شيئاً سرّياً لا يريد الناس أن يسمعوه أو يعرفوه. وقيل: إنه سُمّي نجوى من النجوة (بالتاء المربوطة) وهي المكان المرتفع، وتُسَمّى "نجوة" أي مكان مرتفع.

ولم ذلك؟ قالوا: لأن العادة أن السريّصان عن الغير، فكأن صاحب السر يرفعه من حضيض الظهور إلى حال الخفاء، وكأنه — تحت كدا — سمعه الناس، فهو يرفعه ليكون خفياً. وقيل أيضاً: إن أصحاب النجوى يمتازون عن غيرهم، يحبّون أن يتحدثوا فيما بينهم دون أن يسمعهم أحد، فكانهم ارتفعوا عن الناس بهذه النجوى، ويشعرون بأنهم أعلى من غيرهم، فسمّيت "نجوى" من المكان المرتفع.

ولا يلزم من النجوى أن تكون بصوت منخفض، ممكن تكون بصوت عالٍ، لكن المهم أن الناس لا يفهمون ما نقول. يعني ممكن تكون بلغة أخرى، وممكن تكون بلغتنا، لكننا نتكلم بالفاظ نحن فقط الذين نفهمها. زي ما بعض الناس مثلاً يكون لهم لهجة معينة، فالناس لا تفهمها، فيتعمدون أن يتكلموا بها أمام الناس عندما يحبّون أن يقولوا شيئاً سرّاً بينهم، فلا أحد يفهم ما يقولون.

يعني لا يلزم أن تكون النجوى بصوت منخفض، قد تكون بصوت مرتفع، لكن الفكرة أن الجالس لا يفهم ما نقول، سواء غيّرنا اللغة أو الأسلوب. **النجوى — كما سيأتي — منها خير، ومنها شر، وهذا وذالك سيأتي، لكن الفكرة هنا في الآية أن الآية تركز على معنى عميق جداً.**

طبعاً ربنا بيتكلم في الحالة دي، بيقول: لو نجوى، أنا أعلمها، لو اثنان، أنا الثالث، لو أربعة، أنا الخامس: **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ}**.

إذن، النجوى ممكن تكون عدداً من الناس قاعدين مع بعض، يتناجون خمسة أو ستة أو أربعة، لكن المهم أنهم يمتازون عن الناس ويتكلمون كلاماً لا يريدون لأحد أن يعرفه، ربنا يقول: هذه الحالة، هذه النجوى، هذا الحوار الذي دار، أنا كنت معهم، وقد سمعت ما قالوا، وكتبت ما قالوا، وسيحاسبهم عليه، -فسبحان الله- هذا يجعل الإنسان يخاف!!

يعني ليس معنى أننا قاعدين وحدنا في غرفة مغلقة، أنت وصاحبك أو أنت وزميلك قاعدين في حالكم على جنب، أو اثنان في الكلية وحدهم، ويتحدثون مع بعض، لا أحد حاسس بهم أو سامعهم، وأن هذا خفي على الناس أو على الله سبحانه وتعالى، لا، بل كله كُتب، كل شيء كُتب، وكل شيء رصده الله تعالى. فليكن كل نجوى نتاجي بها تُرضي الله سبحانه وتعالى.

يعني نتعامل مع ربنا كأننا نراه، يعني لو فعلاً تجلّى لنا الله سبحانه وتعالى ورأيناه، كنا هنقول إيه؟ هو ده اللي يُقال — الحاجة اللي أنت في كلامك تقول: "لو تجلّى لي الله سبحانه وتعالى ورأيتّه، مش هقولها" — يبقى ما تقولهناش؛ لأنه بالفعل معك. يعني هو بالفعل معك سبحانه وتعالى بسمعه وبصره وإحاطته، فشيء مخيف. النجوى... أمال بقى الكلام الظاهر؟! أمال الأفعال الجلية؟! أمال لما أكون في حال كل الناس شايفاني؟! ده من باب أولى -طبعًا- على الخفاء يطلع، فكيف على الظهور سبحانه وتعالى!

الحقيقة أن الآية دي مهمة جدًا أن نتناول فيها مسألة عقدية خطيرة، أن ربنا قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ هنا المعية، ومعية دي مهم قوي نفهمها في سياقها. لاحظ أن الآية اتكلمت في أولها عن العلم وفي آخرها عن العلم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. فالآية دي واضح جدًا أنها تتحدث عن العلم، ولذلك قال السلف والمفسرون بالإجماع: إن المعية المقصود بها في هذه الآية معية العلم والإحاطة، وليست معية الذات.

ما الفرق؟ هل الله معنا — لما يكون ثلاثة هو رابعهم — بنفسه، بذاته سبحانه وتعالى، يخالطنا بذاته؟ الجواب: لا. هل هو معنا بالعلم والإحاطة؟ نعم.

فمن يسمعك ويراك، فقد صار معك علمًا وإحاطةً.

زي مثلاً لو أحد وضع جهاز تصنّت عند ناس، وقعد يسمعهم من مكان بعيد، فيقال: "كنت معكم وأنتم تتكلمون". فيصح أن يُقال عن الشخص الذي علم وأحاط أنه "كان معك".

فهل هنا المعية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، هي معية إحاطة وعلم أم ذات؟ نقول: بلا شك، وبلا خلاف بين أهل السنة، إن المعية في هذه الآية المقصود بها معية العلم والإحاطة والشهادة، وليس المقصود معية الذات. وإلا، فعقيدة أهل السنة بالإجماع أن الله سبحانه وتعالى بذاته في العلو، وأنه كما قال جل في علاه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

ودي مسألة هحتاج أن نفصل فيها بعض الشيء، لأن هذه المسألة — خصوصًا — وقع فيها نزاع بين أهل السنة وأهل البدع.

فأهل البدع يقولون: "لا، ربنا مش في العلو"، فينكرون علو الله سبحانه وتعالى، ثم يدخلون في كلام فلسفي لا يوصل إلى شيء، وليس عليه هدي السلف. أما أهل السنة قاطبة — وسننقل الإجماع على ذلك — فيقولون: إن الله سبحانه وتعالى كما قال: إنه في العلو، وإنه سبحانه وتعالى بذاته على عرشه.

استوى على عرشه كما يشاء سبحانه وتعالى، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تمام؟

وأدلة علو الله سبحانه وتعالى من الكتاب والسنة والإجماع لا تحصى. فمن الكتاب:

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، وقوله تعالى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، وقوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ}، وقوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}، وقوله عن الملائكة: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}، وقوله تعالى: {ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ} يعني في العلو أو فوق السماء، وقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، وقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، وقوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}، ما هو التنزيل؟ التنزيل من العلو، يبقى ربنا في العلو، وقوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}، وقوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}. يبقى هو إذن في العلو قطعاً. ده بعض أدلة الكتاب.

وأما أدلة السنة فهي كثيرة أيضاً، منها:

من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: قول النبي عليه الصلاة والسلام: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر»، والدليل الثالث من السنة: أن النبي عليه الصلاة والسلام في رحلة الإسراء والمعراج عُرج به إلى الله، فلو ربنا ليس في العلو أو ليس فوق عرشه أو فوق السماء، فما معنى أن النبي عُرج إلى الله سبحانه وتعالى في الحديث المشهور؟ والحديث حديث الجارية: أن النبي عليه الصلاة والسلام سأل جارية، قال لها: «أين الله؟»، قالت: «في السماء»، فقال لها: «من أنا؟»، قالت: «أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم». فقال لصاحبها: «أعتقها فإنها مؤمنة» فأثبت لها الإيمان لأنها قالت إن الله سبحانه وتعالى في السماء. ومن أدلة السنة أيضاً: أن النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع لما خطب الخطبة، رفع إصبعه إلى السماء (السبابة)، وقال: «اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد»، وهو ينظر إلى السماء لله سبحانه وتعالى.

أما لو تطرقنا لكلام أهل العلم، فأهل السنة نقلوا الإجماع على أن الله سبحانه وتعالى في العلو. فهذا الإمام المالكي ابن عبد البر رحمه الله عليه، يقول كلاماً قيماً قوياً، بيقول: أما قوله في هذا الحديث للجارية "أين الله؟"، فعلى هذا جماعة أهل السنة - وهم أهل الحديث وروايته المتفقهون فيه وسائر نقلته كلهم - يقول ما قال الله تعالى في كتابه: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، وأن الله عز

وجل في السماء وعلمه في كل مكان، وهو ظاهر القرآن في قوله تعالى: {ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ} ، وقوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} ، وقوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}. ومثل هذا كثير في القرآن، ولم يزل المسلمون إذا داهمهم أمر يقلقهم فزعوا إلى ربهم، فرفعوا أيديهم ووجوههم نحو السماء يدعونه. قال: هم مخالفون ينسبون إلى التشبيه، والله المستعان، ومن قال بما نطق به القرآن فلا عيب عليه عند ذوي الألباب. يبقى ده ابن عبد البر المالكي.

الإمام مالك نفسه قال: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان». وعن الضحاك في قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِبُهُمْ} ، قال: هو على العرش، وعلمه معهم. والإمام المزني، وهو تلميذ الشافعي، قال في وصف الله تبارك وتعالى: «هو عالٍ على عرشه في مجده بذاته، وهو قريب بعلمه من خلقه، أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور». الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى قال بعد ما ذكر أدلة على علو الله تعالى، قال: «فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سماوات، لا على ما زعمت المعطلة أن معبودهم هو معهم في منازلهم».

وقال ابن تيمية رحمه الله عليه: «هذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم سائر كلام الأئمة مملوء بما هو إما نص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليّ على كل شيء، وأنه فوق عرشه، وأنه فوق السماء»، وقال أيضًا: «ومن أكثر النظر في آثار الرسول صلى الله عليه وسلم علم بالاضطرار أنه قد ألقى إلى الأمة أن ربكم الذي تعبدونه فوق كل شيء، وعلى كل شيء، فوق العرش، فوق السماوات، وعلم أن عامة السلف كان هذا عندهم مثل ما عندهم، أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير».

وأنه لا يُنقل عن واحدٍ من السلف لفظ يدل لا نصًّا ولا ظاهرًا على خلاف ذلك، ولا قال أحدٌ منهم يومًا من الدهر – يعني من السلف – إن ربنا ليس فوق العرش، أو إن استواؤه على العرش كاستوائه على البحر تشبيهًا، يعني لا إلى غير ذلك من ترهات الجهمية، ولا مثل استوائه باستواء المخلوقين، ولا أثبت له صفة تستلزم حدوثًا أو نقصًا.

وأخيرًا قال الإمام الذهبي: الدليل على أن الله تعالى فوق العرش، وفوق المخلوقات مبينٌ لهم ومباينٌ لها، ليس بداخلٍ في شيءٍ منها، ومع ذلك علمه في كل مكان. على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين والأئمة المهدين.

إذن، الأئمة نقلوا الإجماع، فهذه المسألة فيها إجماع، المسألة انتهت، المسألة انتهت فيها إجماع للسلف، فمن قال بغير ذلك فهو مبتدع، تمام؟

لَمَّا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ
أَيُّنَ مَا كَانُوا}.

سبحانه وتعالى، الشيء بقي المخيف: {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ} ، يعني فاعدّد لهذه المسألة
جواباً. {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} -سبحانه وتعالى-.

ثم قال سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ}.
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ} المقصود اليهود.
وسياأتي البيان الآن: فيمن نزلت هذه الآية؟

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ}:

قالوا في سبب النزول: إنه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادة، يعني كان فيه
هدنة، وكانوا إذا مرّ بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى
يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم، فترك طريقهم
عليهم، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله
تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ}.

الفكرة أن اليهود كانوا يعملون هذا ليحزنوا المؤمن ويخيفوه. كانوا إذا مرّ بهم المؤمن، جلسوا مع
بعضهم وتناجوا، وهو لا يفهم ما يقولون، فطبيعي أن يخاف، لأنهم في أرضهم، وفي مشاكل في
المدينة، فإذا رآهم يتناجون، ربما ظن أنهم سيقتلونه أو يؤذونه، فكان يغيّر طريقه ويمشي، أو يرجع،
يخاف أن يدخل أرضهم.

لأن بينهم تجارة، فقد يدخل الصحابي ديار اليهود، يبيع أو يشتري منهم، فكان يخاف ويدخل عليه
الاضطراب، وكان يأخذ بعضه ويمشي، لأن السلامة لا يُعدّل بها شيء. فالنبي عليه الصلاة والسلام لما
علم أنهم يفعلون ذلك، قال لهم: ممنوع إذا رأيتم مسلماً أن تتناجوا لتخيفوه، ونهاهم عن ذلك عليه
الصلاة والسلام.

النتيجة: أنهم لم ينتهوا: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَيْمِ
وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ}. سبحان الله! يعني عادة اليهود، واليهود طول عمرهم هكذا، لو يقدر يؤذي
المؤمن بأي شيء يؤذيه، حتى بمجرد أنهم يجلسون ليوهموا المؤمن بأنهم يكيدوا به كي يشعروه
بالحزن والخوف، وهم في الحقيقة لا يفعلون شيئاً، لكن هذا ما في أيديهم. بأي طريقة يحب أن
يؤذيك! تخيل اليهود الآن لما ملكوا الإعلام وسيطروا عليه في العالم كله، كم معهم من وسائل لإحزان
المسلمين، ولنشر الفواحش، ولنقل الأخبار السيئة، والتحريض بين المسلمين، ولإيقاع الإحباط في
نفوسهم، ولنشر الأخبار التي تتحدث عن قوتهم وما عندهم من قوة، وبذلك يُحبطون معنويات
المسلمين. تخيل هذه الإمكانيات ماذا يمكن أن يفعلوا بها، إذا كانوا عندما كانوا يجلسوا اثنين أو ثلاثة

فقط، وكانوا يفعلون ذلك ليحزنوا المؤمنين! إذا كانت هذه هي العقلية اليهودية، فالله المستعان إذا ملكوا الإعلام. لذلك المؤمن ينبغي أن يفهم هذه الطريقة، ولا يُصاب بالإحباط ولا بالحزن، بل يُقاوم ذلك كما سيأتي بالتوكل على الله سبحانه وتعالى. قال: **{نُهِوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهِوا عَنْهُ}**، تمام؟

{وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}: الإثم هو المعصية عموماً، أي أنني أتكلم في شيء غلط لا يرضي الله سبحانه وتعالى، لكنها ليست متعدية، لا تؤذي غيري. ممكن نوع من الناس، شباب مثلاً، يجلسون يتكلمون في أمور محرمة: في ربا، أو قمار، أو أمور إباحية... تمام؟ فده إثم. في بقى عدوان: العدوان لما يكون بقى الكلام متعلق بشخص آخر. أنتم عايزين بقى نضرب فلان، عايزين نسرقه، وعايزين نضحك عليه، عايزين ننصب عليه، عايزين نخدعه، عايزين نعمل له مقلب.

يعني دلوقتي بقى مشكلة التناجي وصل لمرحلة سيئة؛ إن ممكن الناس تقعد تتناجي في المقابل. يقعدوا بقى مع بعض كده ويدبروا تدبيراً، وفلان ده لما ييجي هنعمل له كذا. ده كله حرام، ده يدخل في العدوان، وفيه ترويع للمسلم، وفيه إيذاء للمسلم، وفيه تنمر أحياناً، وفيه سخرية أحياناً، فضلاً بقى عن إنهم يصوروا الكلام ده وينشروه. خُذ بالك، **مش كل حاجة "تريند" تعمل زيها، تمام؟** والناس بقى تفرح بكده، والشخص الضحية ده بيبقى أضحوكة لفترة طويلة: **{فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}**.

قال: **{وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}**: العدوان بقى لما يكون التناجي كمان ممكن تؤذي به حد ثاني. يبقى الإثم في حالك، والعدوان لما يبقى متعلق بشخص آخر.

{وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}: هي معصية الرسول تشمل الإثم والعدوان، بس هو ذكر معصية الرسول خصوصاً؛ لأن في هنا معصية مباشرة للرسول ﷺ؛ لأنه هو أصلاً نهاهم عن النجوى. يعني غير الإثم والعدوان، هم مجرد العود أصلاً إلى النجوى كان فيه معصية للرسول ﷺ؛ لأن سبب النزول يقول إن النبي ﷺ نهاهم عن العودة إلى هذه النجوى فلم ينتهوا، وعادوا إلى ما يؤذي المسلمين.

{وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}.

طيب، خرينا قبل ما ننتقل نقف عند المعنى الخطير ده. المعنى ده بيقول لنا إيه؟ بيقول لنا: التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ويأتي بعدها قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَّخِذُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْقَوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}** (9) لازم نقعد بقى مع نفسنا ونحاسب نفسنا: البنات، الشباب، الكبار. لما بنقعد ونحكي، لما بنقعد ونحكي، بنحكي في إيه؟ ده التناجي، ده بقى كتير! قعدت البنات مع بعض، لما بتقعدوا بتقولوا إيه؟ نتكلم على فلانة ونتكلم على فلانة، ونقعد نحسد فلانة، ونتكلم بقى على "هنلبس إيه؟" ومع الشباب "هنعمل إيه؟". ودي تتكلم على الولد بتاعها، ودي تتكلم على "الكراش" بتاعها، وتتكلم إزاي هتوقع دي في ده، ودي تتكلم إزاي هتأذي فلانة. قعدت ستات في البيوت، إنت وجارتك، إنت وسلفتك، إنت

وأختك. لما تقعدوا مع بعض "تودودوا"، تقولوا إيه؟ نتكلم في إيه؟ نتكلم في الناس؟ نتكلم في فرح فلان؟ أم فلانة؟ إنك تجيب سيرة دي وسيرة دي؟ ولا بنعمل إيه؟ والشباب لما يقعدوا على القهوة مع بعض أو في كافيه، بيتكلموا في إيه؟ ها، بيتكلموا في البنات؟ بيتكلموا في حاجات مش كويسة؟ بيتكلموا في حاجات يعني بتحضرها للجرائم والمعاصي والحاجات الشمال دي؟ إحنا بنتناجي في إيه يا جماعة؟ ما هو الآيات دي نازلة عشاننا إحنا في الآخر، إحنا نعمل بيها. و لم نعمل بها يبقى إحنا بنقرأ إيه في القرآن؟

{إِذَا تَنَجَّيْتُمْ}: قعدت البنات، وقعدت الأمهات، وقعدت الشباب والرجال محتاجة مراجعة كتيرة جداً. لازم تعرف إن كل ده بيتسجل! ما تقولش إحنا كنا قاعدين قعدة خفيفة كده بنحرق وقت. لا، إنت بتحرق حسنات! لا، ده كان "هري"، كنا قاعدين نهري، ما كناش بنقول حاجة مفيدة، كنا بتكلم كده وخلص. لا، مفيش حاجة اسمها "اتكلم كده وخلص"، مفيش حاجة بتعدي: **{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ}**، تمام؟

فيا جماعة، قعدتوا قعدة؟ اسأل نفسك: اتكلمنا في إيه؟ تناجينا في إيه؟ في إثم؟ في عدوان؟ في معصية الرسول؟ اهرب! اترك هذا المجلس وانصرف! ما تقعدش معهم تاني! تمام؟ لما نقعد، إيه الحل بقي؟

واحد يقول لك: أنا عندي مشكلة، لما بقعد مثلاً في قعدة عائلية بيقعدوا يتكلموا في حاجات مش كويسة، وأنا مش عارف أعمل إيه؟ أمشي وأسيبهم؟ ولا أعمل إيه؟ في حل كويس أحياناً بيبقى مناسب، إنك لما تدخل على مجموعة كده وإنت عارف إن الكلام هيجيب بعضه فهنخش في حاجات غلط، حاول إنت تاخد زمام الكلام. افتح مواضيع، احكي لهم درس، احكي لهم موقف حصل لك، قول حديث، قول آية. يعني اتكلم في موضوع حتى لو مباح، بس زمام الكلام معك، وكل ما تخلص موضوع افتح موضوع تاني، تحس إنك تلهيهم في شيء على الأقل مباح إن لم يكن طاعة. بس هما لو قعدوا ساكتين شوية كده هيفتحوا في كلام مش كويس.

فالحقيقة الآية بتعاتبنا قوي، وبتقول لنا: أنتم لما بتقعدوا مع بعض، إيه الكلام اللي بنقوله؟ فاليهود نهوا عن النجوى، ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

ثم قال تعالى: **{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}**. أي الكلام ده؟ **{وَإِذَا جَاءُوكَ}**: يعني اليهود عدوا على النبي ﷺ، **{حَيَّوكَ}**: ألقوا عليك تحية. ماذا تعني **{حَيَّوكَ}**؟ التحية أصلاً عند العرب كانت: "حَيَّاكَ اللَّهُ" أو "أَحْيَاكَ اللَّهُ" — فاختصروا إلى "حَيَّاكَ" أو "حياك". وهو دعاء بالحياة الطيبة. ثم صار الاسم يطلق على أي تحية؛ فصار "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ" تحية، وصار "صباح الخير" تحية، فاطلق التحية على كل شيء.

فقال ربنا: **{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ}** — أي ألقوا عليك تحية — **{بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}**؛ ماذا يعني ذلك؟ يعني أن التحية التي أقرها الله هي "السلام": "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ"؛ والله سبحانه وتعالى سَلَّمَ على المرسلين وقال: **{وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}**. لكن اليهود كانوا يفعلون ماذا؟ الرواية تذكر عن عائشة أنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود، فقالوا: "السَّامُ عليك يا أبا القاسم" — أي: الموت عليك! لم يقولوا "السلام عليكم"، قالوها بسرعة: "السَّام عليكم"؛ أي الدعاء عليه بالموت وليس بالدعاء بالسلامة. "السَّام" يعني الموت. غضبت عائشة، قالت: "وعَلَيْكُمْ السَّام واللَّعْنَةُ". فنهاها النبي ﷺ فقال: "يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش". قالت: ألم تسمعهم يقولون "السَّام عليكم"؟ فقال ﷺ: "أو ما سمعت ما قلت؟ قلت: 'وعَلَيْكُمْ'". فأنزل الله تعالى: **{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}**. وفي رواية قالت عائشة: "عَلَيْكُمْ السَّام واللَّعْنَةُ" وغضبت جدًا. فقال ﷺ: إن الدعاء يُستجاب لنا فيهم ولا يُستجاب لهم فينا. خلاص.

طيب، نكمل الرواية الثانية ونفصل. في رواية أخرى عن أنس: بينما النبي ﷺ جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم، فردوا عليه. فقال النبي ﷺ: "هل تدرون ما قال؟" قالوا: "سلم يا رسول الله". قال: "بل قال: 'سَامَ عليكم'". فقال عليه الصلاة والسلام: ردوه فردوه فقال النبي ﷺ أقلت سام عليكم؟ قال: نعم. فقال النبي ﷺ: يعلم الصحابة: "إذا سَلَّمَ عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: 'وعَلَيْكُمْ' أي عليك كما قلت. والله كما قلت: لو قلت 'السَّام' فَيَكُونُ السَّام، لو قلت 'السَّلَام' فَيَكُونُ السلام. فأنا أَمُنُ نَفْسِي بذلك، فأقول له: 'عَلَيْكُمْ' — لماذا؟ لهذا السبب.

فالسنة: إذا كان واحدٌ من أهل الكتاب — يهودي أو نصراني — قال لك: 'السلام عليكم'، فالرد: 'وعليكم'. هذه السنة. 'وعليكم' هو ما قلته؛ فإذا قالها حرفًا: تقول 'وعليكم السلام'، هكذا كما قلت، تمام؟

الحديث فيه فوائد:

- 1- طبعًا غضب عائشة على النبي ﷺ وشدة حبها له — قامت وزعقت ودعت على اليهود — فسبحان الله.
- 2- وفي ذلك فائدة: "السَّامُ عَلَيْكُمْ". شوف اليهود كانوا يقولون "السَّام عليكم". للأسف بعض الشباب الآن، اختصارًا للتحية "السلام عليكم" يقولوها بطريقة قريبة: "سام عليكم" أو "سَمَو عليكم" — فهذه الكلمة هي التي كان يقولها اليهود. خُذْ بِأَلْكَ: رجاءً يا جماعة لا تقولوا الكلمة هذه. لا تقولوا "سامو عليكم". لأنها هي الكلمة التي كان يقولها اليهود. فقلها واضحة: "السَّلَام عليكم" — لا تلتهم اللام؛ لا تقول "سامو عليكم". اللام دي فيها حياة. قل: "السَّلَام عليكم" واضحة.
- 3- وفي هذا أيضًا أهمية إلقاء السلام أصلاً. بعض الناس يتعوّد على تحيات أخرى: يدخل على أصحابه أو يدخل المكتب فيقول "صباح الخير" أو "صباح الفل" — طيب، البنات تقول "صباح الخير يا بناويت" — هل هذه التحية حرام؟ لا ليست حرامًا، لكن المفترض نقدم السلام أولاً، ثم بعد ذلك تقول ما تريد. يعني أنت حين تدخل على مسلم لديك تحية خاصة بالإسلام فافخر بها وقلها. أما أهل

الكتاب فلا نقول لهم "السلام عليكم" إجبارًا، قد نقول لهم شيئًا آخر، لكن تحية أهل الإسلام افخر بها وقلها.

في الهاتف بعض الناس يردّون بـ"الو" فقط؛ لا تقل "الو" فقط، قل "السلام عليكم". ها هيبت لك رسالة هاي. ما تقول «السلام عليكم». فأنا داخل عليك صباح العسل. ما تقول «السلام عليكم». السلام قبل الكلام. فأنا الأول أقول «السلام عليكم». حتى لو قولت «السلام عليكم» بس يعني مش لازم بقيتها -لو قلت بقيتها تاخذ أجرًا أكبر طبعًا- لكن على الأقل لو اختصرت على «السلام عليكم» حلو. وبعد كده بقى نقول أي حاجة: صباح الخير بقى، صباح الفل، ازيكم يا جدعان — يعني نقول بقى أي تحية. بس عود نفسك: «السلام عليكم» دي ثابتة وبعد كده يا باشا أقول اللي أنت عايزه. ابدأ بالسلام ثم انتقل لأي تحية تريحك.

طيب، في الحديث ده النبي عليه الصلاة والسلام قال لنا فائدة حلوة قوي. لما قال: هم يقولوا «السلام عليكم»، بيدعوا علينا. طب هل الدعوة دي ربنا يستجيبها؟ فقال: لا. يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا. ليه؟ عشان إحنا بنرد: أنا اتظلمت فبرد المظلمة، فربنا يستجيب لي. لكن هو الظالم ربنا لا يستجيب له. طب إيه الفائدة هنا؟ الفائدة هنا فائدة خطيرة. أنا بحاول أنزل لكم القرآن على الواقع عشان تطلعوا بالدرس ده وتقولوا: «والله جزاك الله خيرًا يا شيخ علاء»، يعني حلت لنا مشاكل في حياتنا كانت تعباننا.

البعض منّا أحيانًا يبقي مظلوم، أو يبقي ما عملش حاجة في اللي قدامه، فيلاقيه بيدعي عليه. يقول له: طب يقول له مثلاً عايز ياخذ منه حاجة مش بتاعته. فقال له: مش هديها لك، بتاعتي أنا حر. فيقول له: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فيك». ربنا ياخذك، ربنا ينتقم منك، وهدي عليك. أو واحدة كده بتغل كده من جارتها ولا من قريبتها وكل ما تشوفها تدعي عليها. أو أم — للأسف — في بعض الأمهات بنتها ما عملتلاش حاجة، بس هي الأم كل شوية تدعي عليها. تقول لك: «أمي كل ما تشوفني تدعي علي». والله ما عملت لها حاجة. والله بابوس رجليها. بس هي على طول بتدعي علينا. نقول: ما تخافش. ما أخافش إزاي؟ ده أنا بترعب لما حد يدعي علي.

إذا دعا لك شخص ظلم فإن الله لا يستجيب له. واحد ظلمك وبيدعي عليك، قل له: ادع عليّ. من هنا ليوم القيامة. خليك جامد كده. النبي عليه الصلاة والسلام قال إيه؟ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم ولا قطعية رحم». الحقيقة أن الدعوة دي فيها إثم وفيها قطعية رحم كمان لو كان الطرفين رحمًا. تمام. تدعي علي ليه؟ أنا معملتلكش حاجة. وما تهددنيش إن أنت هتدعي علي، مش هخاف، بعض الناس يخاف، يقول له: لا ما تدعش عليّ، خد. لأ، لأ تعطيه وما تخافش. دعا عليك قل له: ادع عليّ. بس أنت تبقى متأكد موقفك؛ لأن أنت لو ظالم هستجاب على طول؛ لأن دعوة مظلوم لا ترد، ليس بينها وبين الله حجاب. بس ما تاخدش كلامي ده وتروح بقى تفرد صدرك. اتأكد الأول إن أنت مش ظالم، إن أنت مظلوم فعلاً في الدعوة دي وما لهوش حق يدعي عليك. لو تأكدت تمامًا إن ما لهوش

حق خالص إن يدعي عليك، قلبك جامد. ما تهددش. ما حدش يهددك بالدعاء عليك. اليهود كان بيدعوا على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى الصحابة، ربنا لم يستجيب لهم. فدي مسألة مهمة. متأكد أنها حلت عندك مشكلة كبيرة دلوقتي.

المهم بقى قالوا إيه: **{حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}**، وبعد كده بقى بيعملوا إيه: **{وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}**.

يعني إيه **{لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}**؟ بيعملوا اللي بيعملوه ده وبعد كده بيقدوا يقولوا: هو ليه ربنا مش بيعذبنا؟ مش هذا الرجل رسول؟ لو كان هذا نبي لعذبنا الله. ما إحنا قاعدين ندعي عليه وقاعدين نسبّه وقاعدين نكيد به. ها فين انتقام ربنا؟ يبقى: ده مش نبي. هو قاعد يضحك على نفسه يعني. لو كان نبي كان ربنا عذبنا. بسيطة جدًا. لو كان الراحل ده نبي، كان ربنا يعذبنا.

{لَوْلَا يُعَذِّبُنَا} : هل لا يعذبنا طالما لم يعذبنا يبقى ما فيش حاجة غلط؟ ودي خدعة، الشيطان بيخدع بها دائماً، وإحنا بنحاول ننزل القرآن على الواقع. خلاص إحنا فهمنا اليهود. تمام؟

خُذْ بِالْكُ رَبَّنَا قَالَ إِيَّاهُ بَعْدَهَا أَوَّلًا؟

قال: **{حَسَبُهُمْ جَهَنَّمُ}** : يعني لو أنا ما عاقبتهمش في الدنيا خالص، كفاية جهنم عليهم **{يَصْلَوْنَهَا فَيَنْشَأُونَ مَصِيرًا}** : دي كفاية.

إذن القرآن بيعلمنا قاعدة خطيرة: إن ممكن واحد يظلم ما يتعاقبش في الدنيا عادي. ممكن اليهود يقتلوا المسلمين، وربنا ما يعاقبهمش واحدًا واحدًا في الدنيا، أو ما يعاقبهمش العقوبة الكاملة في الدنيا، فما تشكش في ربنا، تقولش فين ربنا، فين أطفال المسلمين دول؟ مين جاب حقهم؟ لو فيه رب كان جاب حقهم. طب ما ده نفس كلام اليهود. خُذْ بِالْكُ أَبْقَى انا بنزل لك إسقاطات حساسة جدًا. هو ده نفس كلام اليهود: أنت بتقول لولا يعذبنا الله بما نقول نفس الكلام: لو كان فيه رب ما كان ينتقم من اليهود. يبقى إذن ما فيش رب — يلا نلحد.

طب ما ده كلام اليهود! طب ما القرآن بيعالج لك المشكلة دي. مش معنى إن العقوبة اتأخرت إنها مش هتحصل، مش معنى إن ربنا ما انتقمش في الوقت اللي أنت شايفه إنه مش هينتقم: **{تِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}**، **{إِنَّ اللَّهَ يُمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ}**.

مش بتاعتك، مش في حساباتك. الله حكيم سبحانه وتعالى. ممكن العقوبة تحصل في الدنيا مؤجلة، وممكن ما تحصلش في الدنيا خالص، ممكن كلها تبقى في الآخرة. مش هيفرق، المهم إن لك الآخرة. لو جت والراحل ده ما تعاقبش، يبقى فيه كلام، ومش هيحصل، لأن في الحديث: **{لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ}**، وفي سورة آل عمران: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ}** يعني استكمال الحساب هيكون يوم القيامة، مش لازم كل حاجة تخلص في الدنيا. هيموت الظالم ظالم، والمظلوم مظلوم، ما فيش حاجة خلصت. عادي.

{وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ} — أهدي. اللي أكل الميراث، ما حدش يقول: فين ربنا ما جابليش حقي ليه؟
 اليتيم اللي اتظلم في حياته كلها، الزوجة اللي جوزها طلع عينها وما جالهاش حقها في الدنيا، عادي،
 عادي هتروح فين يعني؟ **{وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ}** ! سبحان الله! فالإنسان ما يشكش في ربنا.
 هم بقى كانوا بيقولوا كده: كانوا بيقولوا لو هو رسول، ما كان ربنا ينتقم منا. فهتمم الفكرة؟
{لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}.

طيب، دي برضو حته مهمة جدًا، مدخل من مداخل الشيطان للإنسان، وهو إنه بيغره بتأخير العقوبة.
 مثلاً واحد شغال شغلانة فيها ربا، حرام، في بنك ولا حاجة، أو واحدة شغالة شغلانة بتخلع فيها
 الحجاب، يعني برضو في حاجة حرام، أو واحدة ماشية مشي بظال، أو واحد ماشي شمال. خلاص، بس
 هو في الحقيقة كل حاجة ماشية معاه كويس: الحياة تمام، أكل تمام، شرب تمام، بل رزقه أحياناً يزيد،
 صحته كويسة، وولاده كويسين، أموره ماشية زي الفل. فيقول لك: فين؟ ما الدنيا حلوة أهى! فين
 العقوبة؟ ربنا ما بيعاقبنيش أهو، يبقى أنا صح! بما إن إذاً، يبقى أنا ما بعملش حاجة غلط، فيغتر! هذا
 المغرور بتأخر العقوبة، فيظن إنه صح، ويوهمه الشيطان ويقول له: طب لو أنت غلط، ما كان ربنا
 عاقبك! ويقعد يا عيني بقى يمد له ويمد له ويمد له. ونكتشف إن ربنا مآخر له العقوبة، فمرة واحدة
 تنزل عليه. لو نزلت عليه في الدنيا، بتبقى قاسية جدًا أو قوية جدًا. فممكن تصيبه مرض شديد، ممكن
 يتهدم بنيانه كله في لحظة واحدة، زي فرعون كده. طب ما هو قعد مدة، ما فيش عقوبة، ما فيش
 عقوبة، مرة واحدة خلص كل حاجة. وممكن يموت، ويجي بقى لربنا، يكتشف إن العقوبة كلها اتأجلت
 للآخرة.

أنا مش بقيس أنا صح ولا غلط بالعقوبة جات بسرعة ولا ما جتش بسرعة؟ أنا بقيس أنا صح ولا غلط
 بالوحي. الوحي بيقول غلط؟ خلاص غلط. جات العقوبة أو ما جتش، مش دي الفكرة، هو ده
 المقياس! الوحي بيقول لي: الصح صح، الغلط غلط.
 أنت ما تضمنش: **{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}**، **{لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}**
حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا}.
 ثم قال سبحانه وتعالى: **{فَبَشِّرْ الْمَصِيرُ}**.

ثم قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَلَّجَيْتُمْ فَلَا تَتَّجِبُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَّجِبُوا بِالْإِثْرِ**
وَالْتَقَوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.
 بَص بَقَى، ربط الآية بيوم القيامة. ما قالش: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ}** بس، قال: **{الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**. الله!

{ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ}: إحساس المؤمن وارتباط المؤمن بالدار الآخرة بيضبط له الميزان في
 الحسنات والسيئات. لذلك بص الآية اللي نزلت دي: **{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى**
النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3)}.

طب إزاي ربنا عالج المشكلة دي؟ كلمتين: **{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)}**. ابن عباس رضي الله عنه يعلق على الآية دي ويقول: «كان أهل المدينة هم أخبث الناس كيلاً، حتى قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فلما نزلت المطففين صاروا أحسن الناس كيلاً.» الله الله الله! ليه؟ عشان سمعوا الكلمة اللي تخلي الواحد يتحول دي: يوم القيامة! **{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5)}**

وكل ما تعرض على نفسك معصية، قل لنفسك كده: «ألا تظن أنك مبعوث؟!» ده مش حال واحد يظن أنه يلقي الله سبحانه وتعالى ليوم عظيم: **{اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**.

العبارات دي حطها على موبايلك، على المكتب بتاعك، وعلى الحيطان، عشان ما تتفرّجش على حاجة مش كويسة، عشان ما تسمعيش أغاني، عشان ما تفتحيش الشات مع الولد وتقعى في الخطأ. طول ما أنا شايف الحاجات دي، اكتب كده: **{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5)}**. اكتبها في كل حطة في حياتك، هتلاقي أدائك مختلف تماماً. كل ما القلب يتعلق بالدار الآخرة، أدائه بيتحسن كتير جداً: **{اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**.

قال تعالى: **{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**.

إنما النجوى من الشيطان — المقصود هنا النجوى السيئة — وإلا ففي نجوى أصلاً كويسة. ربنا قال: **{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}**. إذن، مش كل النجوى منهية عنها، في نجوى أصلاً الناس قاعدين بيتناجوا بس في خير، بيدبروا عملاً اجتماعياً كويساً، بيعملوا خطة دعوية، أو بيصلحوا بين اثنين في السر من غير ما حد يحس — ما هو حلو. ففي نجوى كده كويسة جداً.

أما المقصود بالنجوى من الشيطان، فهي النجوى المحزنة، اللي زي اللي بيعملها اليهود في المسلمين، أو المنافقين، أو الناس اللي مش كويسة، يقعدوا في مجالس يكيدوا للناس، اللي بيعملوا أسحار، بيعملوا عمل، أو بيحسدوا، أو بيتكلموا في أعراض الناس، أو بينشروا إشاعات عن عرض البنات، أو كلاماً يوقع بين الراجل ومراته، أو يخططوا كيف يفرّقوا بين العيلة وبعضها. هم دول: اللي بيحسدوا، واللي بيمكروا، واللي بيحضرّوا أعمال، واللي بيعملوا أسحار. أسوأ الناس، أسوأ الناس — بنشوف مراراً!

بس ربنا بيظننا بقي. إزاي؟ أنا بقول لك، أنا جاي أحلّ لك مشاكل في صفحة واحدة! يقول لنا: **{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ}**، ليه؟ **{لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا}**.

يعني من الحاجات اللي الشيطان يحاول يحزنك بيها، إنه دايماً يخوّفك بالموضوع ده. تحسّ إن الناس بتتكلم عليك، يحسّسك دايماً بالريبة: "هم ليه بيحببوا سيرتي؟ أنا حاسس الناس بيحسدوني. أنا حاسس إن في حد عامل لي عمل. أنا حاسس إن الناس بتتكلم عليا. جارتى وجارتى الثانية بيتقابلوا،

أكيد بيتكلموا عني. شفتهم، ما استريحتش. بيتكلموا عليا بيعملوا عمل، أكيد بيحسدوني. دي بصّت لي! أكيد دي حسدتني!" ونقعد بقى في الدوامة دي. وده بيحصل كتير — كتير جدّا — خصوصًا في حياة البنات. كل شوية تفكير، كل موقف، كل نظرة، تفتكر إن الناس بيتكلموا عنها أو بيأذوها. مين اللي عمل كده؟ الشيطان!

{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ} : بيخلي المشاهد دي تطلع قدامك، ويخليك تتوهم إن في أدّى بيحصل. ليه؟ هدفه إنك تحزني، عشان تفضلي في حال الاضطراب الدائم. والاضطراب ده بيتحول لإيه؟ لإحباط، لحزن، ثم يأس، ثم خمول وكسل. عشان كده كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من إيه؟ «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل.» قالوا: ليه؟ قالوا: لأن الهم والحزن يجيبان عجزًا وكسلًا.

الإنسان لو أصابته الأحزان، يبقى قاعد محبط، مش عايز يعمل حاجة، حاسس إنه محسود، أو معمول له عمل، أو مش قادر يتحرك، ولا عنده نفس يعمل أي شيء. ليه عامل في نفسك كذا؟ الشيطان بيحزنك. طب بيحزني بايه؟ بموضوع النجوى ده. طب النجوى دي حصلت فعلاً؟ ممكن تكون حصلت وممكن لا. ممكن تكون أنت بتسيء الظن بالناس، وهم ما قالوش حاجة خالص، ولا بيتكلموا عليك، ولا بيحسدوك. بس عندك دايمًا وسوسة إن في حد بيتكلم عليك أو بيحسدك. والاحتمال الثاني: إنهم فعلاً بيتكلموا عليك أو بيحسدوك أو بيحاولوا يأذوك. طيب، في الحالة دي نعمل إيه؟

ربنا قال لنا نعمل إيه. خلّي كل ده في إيده، ما تركزش معاهم، وركّز معاه هو بس. قال تعالى: **{وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}** — واضحة جدّا! هي دي علاج نصّ مشاكلنا، بل أغلبها: **{وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}**.

طب أعمل إيه يا رب؟ أقعد أركّز مع الحاسد؟ ولا اللي اتكلم عليا؟ أخش أقول لهم ما تتكلموش عليا؟ أعمل مشاكل؟ لا. قال لك: سييهم، ولا تعبّرههم. **{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}** : يعني إيه؟ يعني حتى لو عرفت إن واحدة بتحسدك، فخدي بالك، في مية واحدة تانية بتحسدك وإنّ مش واحدة بالك منهم!

على أنت لما نزلت صورة، لما قلتي «أنا خلفت»، لما قلتي «أنا اتجوزت»، لما قلتي «فرحي كمان أسبوع» — عشرين ألف واحد عرف. نصهم بيحسدوك. انتِ خدتي بالك من واحدة ولا اتنين؟ ما خديتيش بالك ربنا صرف عنك قدّ إيه قبل كده؟ ليه؟ عشان أنتِ بتقولي أذكّرك الصبح والمساء، عشان أنتِ بتسجدي وبتدعي ربك، عشان أمك بتدعي لك، عشان أنتِ بتحصّني نفسك بالفلق والناس وكلّ يوم بتقريها كتير — مش واحدة بالك. شغلة نفسك بواحدة واتنين؟ لا، فيه ألف غيرهم. بس ربنا صرف عنّا حاجات، والله لو ربنا أطلعنا وصرف عنّا قدّ إيه مش هنصدّق. مش هنصدّق. لو كل واحد بس ربنا أطلعه في كم واحد بيتكلم عليك دلوقتي، كم واحد بيحسدك دلوقتي، مش هتعرف تعيش.

تقول لي: هي ماشية إزاي؟ أهو ربنا بيصرف. بيصرف إزاي؟ بالتوكل، بالأذكار، بالقرآن، بالرقية لي ولأولادي. وخلص، ركز مع واحد: هو في يده كل شيء.

{وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} : خلاص يا باشا، أنا همشي في حياتي: همة عالية، نفسية إيجابية، تفاؤل. أنا ما بركزش مع حد ولا ألتفت. احسدوني، اعملوا لي أسحر—تمام، تكلموا علي، ولا تشغلني. لا أركز معك، ولا أخاف منك، ولا أنت في بالي أصلاً. أنا بروح بقفل أوضتي وأتكلم مع اللي في يده كل شيء، وبعرف أخلصها مع ربي. أفهم أنا بنقذك.

عايزك تعمل زي سيدنا هود. سيدنا هود — ما هقول لك «اتحسد» — ده الناس اتفقوا على قتله قدامه. اتفقوا على قتله قدامه. قال لهم إيه؟ قال لهم: **{فَكِيدُونِي جَمِيعًا}** ؛ هاتوا أخركم. **{فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ}**. ما تقولوليش: طب إيه جايب الثقة دي منين؟ **{إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**. الله! إيه ده! إيه القوة دي!

سيدنا نوح نفس الكلام (سورة يونس): **{وَإِثْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ إِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ}** إيه جامد قوي ده! إزاي؟ أمال إحنا نخاف ليه من الناس؟ عشان إيمانك ضعيف، عشان أنت مش متوكل على الله، عشان التوحيد عندك فيه مشكلة. كل ما قوي التوحيد عندك، لم تُبال بأفعال الناس، وإنما تتركز مع واحد وتُحل مشاكلك مع واحد فقط—هو الله سبحانه وتعالى—وتمشي في الحياة ولا أبالي.

{وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

طب افرض في حسد أصابني بقي؛ بس أنت قلت لي «ما تخافش». طيب، ما في حسد أصابني قبل كده، ما في سحر حصل لي قبل كده، طيب ما أقول لك إن النبي ﷺ نفسه أتسحر؟ مش معني إني بقول لك ده إن مش هيصيبك شيء، لكن حتى الذي أصابك فهو بإذن الله برضه، مش بإذنهم هم مش لأنهم جامدين؛ لا، ربنا اللي سمح بذلك. طب أصابني لماذا؟ حاجة من الاثنين: إما لتقصير منك فربنا يعاتبك أو يعاقبك على شيء أنت عاملته غلطاً، أو مفيش تقصير منك—زي النبي عليه الصلاة والسلام أتسحر، فبالأكيد ما فيش تقصير—أو يكون له حكمة: ربنا يبتليك لحكمة، يرفع درجتك، يبتليك عشان تصبر، يُعلم الناس. كما نعلم من قصة النبي عليه الصلاة والسلام، الناس تعلموا ماذا يفعلون عند السحر. فيكون إما عقوبة على تقصير، أو حكمة.

مش معني كده إن—زي ما قلنا—مش هيصيبك شيء؛ لكن حتى ما أصابك كان بإذن الله أيضاً. فبرضه التعامل مع ربنا. فحتى لو أصابك شيء، ما تخافش من الناس؛ برضه ارجع لربك وتعامل معه كما تعامل النبي ﷺ عندما أتسحر: توجه إلى الله واكتفى بالمعوذات عليه الصلاة والسلام.

ثم قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ائْسَرُوا فَائْسَرُوا}.
قِيلَ ائْسَرُوا فَائْسَرُوا}.

الآيات دي نزلت في إيه؟ عشان دي آيات مهمة. الآيات دي كما يقول ابن كثير رحمه الله: قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر. وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مُقبلاً ظَنُّوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله تعالى أن يُفَسَّحُوا بعضهم لبعض. يعني إيه الكلام ده؟ كان الصحابة يأتون إلى مجلس النبي ﷺ مبكراً؛ فلربما جاء واحد من كبار الصحابة أو من طلبة العلم المميزين عند النبي ﷺ فكل واحد يَظُنُّ بمجلسه، ومفترض ذوقياً أن يكون للأكابر والأولى بالمجلس مثل طلبة العلم المميزين. فكان كل واحد يَظُنُّ بمجلسه ومش عايز حد يقعد جنبه وكده. «فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُفَسَّحُوا» — يعني: شفت المكان فيه سعة؟ أخوك جاي يقعد، أدي له مساحة؛ لأنه مش من حقه يوسّعك. يعني برضه الإسلام وسط في المسألة دي.

النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا». يعني بيقول لك اللي داخل ده ما يقولش الواحد: «قوم، هقعد أنا»، لا، لا يجوز لك ذلك. «أنا هنا، وأنا بقعد هنا على طول، أنت جاي متأخر، أنا مالي، أنا جيت قبلك». تمام؟ «أنا حاجز من امبارح». ما فيش حاجة اسمها «حاجز من امبارح»، اللي ييجي الأول هو اللي يقعد. لكن ممكن واحد يقول: يا جماعة بعد إذنكم تفسّحوا، بس، من غير ما أقول لواحد: قوم، ولا اقعد، ولا أشيل حد مكانه. وأقول لهم الآية يا إخوانا: {تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} ، أعطونا مساحة. فالناس من نفسها يُسْتَحَبُّ لها أن هي تتفّسح في المجلس وتدي مساحة لبعض علشان المتأخر ييجي يقعد، أو حد متأخر يطلع ياخذ ميزة المكان المتقدم.

أدب من آداب الإسلام، وسط ... لا، أنا أدبت الداخل ده صلاحية يقوم أي حد، ويقعد مكان أي حد، ويفرق بين اتنين؟ لا. ولا قلت للي قاعد، ولا حد يقومك، ولا تتحرك، والمكان مكانك. أعمل بقي بغضاء بين الناس ليه؟ الإسلام عايزنا نحب بعض، نحب بعض، وفعلاً الصدور بتنشرح: ﴿افْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، الصدور بتنشرح لما نعمل كده.

الآية دي بتعلّمنا أصلاً قاعدة خطيرة. بص: {فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} ، اسمها إيه القاعدة دي؟ الجزء من جنس العمل: تعمل حاجة، ربنا يكافئك قصادها بحاجة. النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من بنى بيتاً لله — يعني مسجداً — بنى الله له في الجنة»، وقال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ». قاعدة عظيمة، لما تعوز من ربنا يعمل معك حاجة، اعملها أنت الأول. خلص الكلام: {فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ}.

قالوا هنا: ما هو الوعد؟ بس قبل ما أقول لك هذا الوعد، إن ربنا بيعامل، وربنا أعلم بخلقه، يعلم أن البشر يَظُنُّونَ بالحقوق، البشر يَظُنُّونَ بالحقوق، ربنا قال: {وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّجَعَ} . فالإنسان بطبعه شحيح، حريص. حتى أنت هتلاقي نفسك لما تقعد في مكان مثلاً في المدرج أو في مسجد أو في درس، تروح الناس تلاقي نفسك فرشت كده، حطّيت، عملت نفسك مساحة أمان، وبتمنى ما حدش ييجي

يقعد فيها. صح؟ مش عايز حد يجي يقعد جنبك حتى لو في مكان. يعني أنت لو عملت كده، تروح أنت مستتر نفسك في النص، تحس إن هو لا الناحية دي تنفع ولا الناحية دي تنفع. ليه؟ ما تعرفش، حصلت كده تلقائيًا. النفوس شحيحة.

طيب، إيه اللي يخلي الإنسان نفس الشريحة دي تنشط للتنازل عن حق رغم الشح اللي هو مجبول فيه ومطبوع فيه؟ العرض المغربي، والمقابل القيم، والأجر الهائل. فده الحل اللي ربنا حلّ به مشكلة الأنفس الشحيحة، إنه عرض عليهم عرضًا هائلًا: **{فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ}**.

خد بالك بقى من جمال الآية دي، الآية دي فيها محذوف، إيه هو المحذوف؟

ربنا قال: **{فَأَفْسَحُوا}** يعني افسحوا في المجالس، دي مفهومة.

{يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ} في إيه؟ في المجالس؟ أكيد مش المقصود المجالس هنا. أومال يفسح في إيه؟ قالوا: هناك محذوف؛ لأن ربنا ما قالش «يفسح في إيه»، وهنا لما بيبقى فيه محذوف، يبقى المحذوف ده ربنا حذفه لغاية. إيه هي الغاية أن يُترك لك المجال واسعًا لتقدير هذا المحذوف، وتقعّد تفترض بقى: ربنا يفسح لي في إيه؟

يفسح الله لكم في الرزق؟ وارد!

يفسح الله لكم في قلوبكم؟ وارد!

يفسح الله لكم في العلم؟ وارد!

يفسح الله لكم فيحلّ لكم مشاكلكم، وبعد ما صدرك كان ضيق بسبب مشاكل، ربنا ييسر أمورك فينشرح صدرك؟ وارد!

يفسح الله لكم في الجنة فيديك مساحة أكبر في الجنة؟ وارد!

يفسح الله لكم في حياتكم، في بيوتكم، في شقتك؟ وارد!

ليه؟ عشان في محذوف، لم يُذكر متعلق الحذف، فده يدل على العموم، ويدل على أن الاحتمالات كلها واردة.

فتخيّل!! خليني أسمى لك المسابقة دي: «مسابقة التنازل عن نص متر». تخيّل! ربنا بيقول لك: لو اتنازلت لي عن نص متر، هخلي حياتك كلها نعيم. لذلك قالوا: «مجرد فسحة لا تُكَلِّفك شيئًا، وسَّعَ الله بها عليك وفرّج بها همومك». نص متر لما تيجي كده، تقول لي: أنت شفت زميلك واقف، قاعد بيدور على مكان وبتاع، وانت عارف إنك لو جيت شمال شوية، يمين شوية، هيقعد. بتقول له: «تعال يا أخ، تعال اقعد». انت عارف «تعال يا أخ تعال اقعد» دي، اللي هي النص متر اللي جيته يمين ده، ممكن يحلّ كل مشاكلك!

إيه العرض المغربي ده؟ ما هو عشان كده بقول لك: ما هو العرض المغربي حلّ الأنفس الشحّ، صح؟ فتقول لي ببساطة كده: يعني مجرد عملت كده ممكن صدري ينشرح؟ حتى أنت بتحسّها، أول جايزة: انشراح الصدر: **{يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ}** يعني يفسح لكم في صدوركم.

انت بتبقى قاعد متوتر كده، أول ما شفت الشخص عايز يقعد، تقول: «يا رب يروح بعيد عني». في الأول، كده، وتحسّ صدرك ضاق ساعتها. وبعدين تاخذ قرار، تقول: «طب ما يقعد جنبي وخلص، تعال يا أخينا». رحت انت عملت كده نص متر وقعدت. تحس إيه بعديها؟ تقول والله انبسطت، انشرح صدري.

أو أنت كنت قاعدة في مواصلة مثلاً، وقاعدة، وفي واحدة ست واقفة، ست كبيرة... وأنت لو عملت كده بس في الكرسي اللي إنت قاعدة فيه، هتقعد فيها جنبك. فإنت بقي كنت فردة وفرشة وحاطة شنطتك هنا وهنا، وقاعدة تبصي لها وهي تبص لك، وإنت صدرك ضاق، رقب قلبك كده، وقولتي طيب ما اقعدوها... تعالي يا حاجة، شلتي الشنط، وحطيتي الواد على رجلك، وقعدت فيها. حسيتي إيه بعديها؟ قلت: والله نازلة مبسوفة قوي، والله العظيم لو ما كنت قعدتها أنا كنت هنزل كارهة نفسي. هو ده، دي أول جايزة خدتها فوراً، فسح الله لك في صدرك، فدي الفكرة. وفي حاجات تانية ممكن تحصل، إن ربنا يفسح لك في العلم، يفسح لك في القبر، يفسح لك في الجنة، يفسح لك في الهداية، كله وارد. فده يعني جايزة جميلة: {يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ}.

طيب، {وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا}، انشؤوا يعني إيه؟ النشوز من الارتفاع، يقول لك: امرأة ناشز، يعني مُترفعة على زوجها. يعني إيه نشوز؟ يعني يرتفعوا. والمقصود: قوموا، يعني قوموا. لو قيل لكم انشؤوا، قوموا، هنا المقصود بها إيه؟ المقصود بها مجلس النبي عليه الصلاة والسلام — وارد — لأن السياق في مجالس النبي عليه الصلاة والسلام. ف يعني يقوموا زي النبي عليه الصلاة والسلام لما يقول: قوموا، يعني خلاص ضجر أو مثلاً أنقلتم عليه، فلمح لكم قوموا، يعني قوموا قوموا على طول.

ولا مجالس العامة ولا مجالس الناس العامة، هو أدب عام في أي مجلس، سواء مجلس علم أو مجلس كنت عند ناس. حسيت إنك تقلت، قوم لوحذك، أو الناس لمحو لك إن كفاية كده، قم بسرعة، فضلاً عن إنهم يصرحوا. هي خلاص: يا جماعة، نورتونا وجزاكم الله خيراً، يعني عشان عندنا شغل بكرة وكده... قم على طول، ما تتحرجش، ما تقولش: إيه قلة الذوق دي؟ دي حق الناس، فخليك خفيف، وأنت مفروض ذوقياً لوحذك، حسيت إنك تقلت، يعني تقلت على الشيخ، تقلت على الداعية، تقلت في زيارة، ما أنا ما أحتاجش أوصل للمرحلة دي.

لكن: {وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا}، تمام؟ فيه قول ثاني: إن {وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا} متعلق بمجلس العلم بس. يعني: إذا قيل لكم انشؤوا إلى الصلاة، يعني أنا في مجلس علم، في مسجد غالباً، فغالباً هت حضر الصلاة. ففي قول ثاني في الآية دي: إذا قيل انشؤوا، يعني إذا قيل لكم إذا حضرت الصلاة، فقوموا وصلوا، ثم عودوا إلى مجالس العلم. وهذه الفائدة للطلبة اللي بتذاكر، والطلبة اللي في المعاهد، والبنات اللي في الكليات: ساعة الصلاة نروح نصلي، حتى لو بعد المحاضرة على طول، بس نروح نصلي ونعمل جماعة. فما نخليش المذاكرة تمنعنا من الصلاة، يقول لك: أصل أنا بذاكر. لا: {وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا}.

طيب يا رب، هناخذ إيه؟
{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}: عايز أقول فائدة قبلها معلش قبل ما أقول الحته دي. أحد المتدبرين، كان بيقول كلمة جميلة جداً: يقول: «إذا كان هذا وعد الله، فيمن تفسح لأخيه في مجلس، فكيف بمن فرج كُربته وأعانه؟» والله تكتب بماء الذهب دي!
 أمال لو أنا بقي وقفت معك في كُربة، وحلّيت لك مشكلة كبيرة في حياتك، ربنا يعمل معي إيه؟ آه، ده بقي يعني: «من فرج عن مسلمٍ كُربةً من كُرب الدنيا، فرج الله عنه كُربةً من كُرب الآخرة».

نعم، بعد كده الآية بتقول لنا ميدان التنافس بقي، إيه هو ميدان التنافس؟
{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}: الله أكبر! مش درجة واحدة، **{دَرَجَاتٍ}!!**
 فيا جماعة، التنافس والأجور العالية إنما هي في العلم، وفي طلب العلم، وفي منافسة طلبة العلم. كما قال ابن المعتز: مات خُزَانُ الأموال وهم أحياء، وعاش خُزَانُ العلم وهم أموات.

{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}.
 يرفعهم في الدنيا، ويرفعهم في الآخرة. عمر رضي الله عنه وأرضاه، كان بيكلم نافع، وكان نافع جاي من ناحية مكة كده، فكان هو الأمير على مكة، فسيدنا عمر بيقول له: من تركتَ على الناس؟ يعني لما جيت، مين النائب بتاعك؟ قال: ابن أُبْرَى. هو بيقول: ابن أُبْرَى. ابن أُبْرَى ده كان عبداً فأعتق، يُسمّى مولى، كان ابن أُبْرَى عبداً ثم أعتق. فقال عمر: يعني تركتَ مكانك مولى؟ فقال: يا عمر، إنه حافظُ لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض — يعني المواريث — فقال عمر: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}.

أمال يوم القيامة بقي هيحصل إيه؟
{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.
 ثم قال تعالى مؤدباً المسلمين بأدبٍ مع النبي عليه الصلاة والسلام:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُجِئْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ}: نزلت في إيه؟
 كان الصحابة كانوا يُكثرون المسألة على النبي عليه الصلاة والسلام. كل واحد يعوز حاجة يروح يقول له، يكلمه. آه ممكن يروح يحكي له مشكلة، فأحياناً في حاجات مش مهمة، في حاجات بتتأجل، في ناس كانت بتقلّ عليه يعني. فعارف أنت لما يبقى داعية متاح أو شيخ مثلاً مش عامل حواجز بينه وبين الناس، كل واحد بقي عنده سؤال أو مسألة أو حكاية عايز يقولها له.

تخيّل بقي الرسول عليه الصلاة والسلام، تخيّل بقي انشغالاته وهمومه، يعني النبي عليه الصلاة والسلام تعب من كثر المسألة، فربنا أدّب المسلمين، قال لهم: طيب، اللي يروح بقي يكلم الرسول في حاجة يدفع صدقة قبلها، واجب!

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يعني لو واحد عنده مسألة ضرورية ومش لاقى الصدقة خلاص، "فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ". ممكن ده الوحيد اللي نتجاوز عنه.

والآية دي الحقيقة نزلت وقعدت وقت قصير جدًا، يعني الآية اللي بعديها نسخت الحكم، إنما كان تأديبًا مؤقتًا للصحابة. يعني ربنا بيّن لهم: خُذْ بِالِك، متكلّمش النبي صلى الله عليه وسلم إلا في حاجة مهمة. فلما قالهم تدفعوا صدقة بدأوا يراجعوا أنفسهم بقى: أدفع ولا مدفعش؟ أصل الموضوع مش مهم؟ لا، مش لازم. طب ما كان من الأول مش لازم. أنت كده عرفت إيه الموضوع اللي تكلمه فيه، وإيه الموضوع اللي متكلّموش فيه.

حتى قيل إن الوحيد اللي عمل بالآية دي هو "علي بن أبي طالب"، يعني زي ما بيقولوا كده إن الآية دي قعدت ساعة من النهار بس. وبعد كده الصحابة لما فهموا ما وراء الآية، الأدب اللي ربنا بيؤدّبهم به، اللي هو: خُذْ بِالِك، النبي عليه الصلاة والسلام مش أي حد، متضيّعش وقته. ده الأدب اللي بنتعلمه مع الدعاة والمشايخ والكلام ده.

﴿عَفَا عَنْهُمْ وَرَفَعَ الْحُكْمَ وَنَسَخَهُ، فَقَالَ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَتِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.﴾

شيخ الإسلام ابن تيمية أخذ من الآية دي معنى جميل أوي، قالوا: كان شيخ الإسلام إذا خرج يوم الجمعة تصدّق بما عنده في البيت من طعام، وكان يقول: "إذا كان الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصدقة إذا ناجينا الرسول عليه الصلاة والسلام، فالصدقة بين يدي مناجاة الله أفضل وأولى". لذلك كان من آداب الدعاء أن تتصدق قبل الدعاء. فطلع أن الغاية من الموضوع ده ابتلاء للصحابة بس، عشان يتعلموا الأدب مع النبي عليه الصلاة والسلام، ويظهر لهم، يعني تتميز الصفوف وتُحصّ القلوب.

الحقيقة إن الدرس النهارده كان عميقًا وقيمًا وغاليًا، عرفنا أن الإسلام فيه آداب عالية جدًا جدًا، لن تجدها في دستور ولا في قانون، ولا في العالم كله. وصلنا لدرجة أن النجوى نفسها عندنا حاجة – يا جماعة – مش موجودة في أي قانون ولا في أي دنيا.

النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ". (رواه البخاري ومسلم). قاعدين ثلاثة، مفيش اتنين يقعدوا على جنب يتكلموا والتالت ميقعدش معاهم، حتى لو مش هيتكلموا عليه. يقولك: لا، أصل ده هيحزنه. يقولك: طب قاعدين لوحدهم ليه؟ طب بيتكلموا عليا؟ حتى لو مش بيتكلموا عليا، طب وأنا قليل عشان معرفش بيقولوا إيه؟!
تخيّل ده حرام!

طب لو كنا أربعة؟ مفيش مشكلة، اتنين واتنين مش مشكلة. المشكلة لما نبقى ثلاثة بس، إن اتنين ميقعدوش ويغيظوا التالت ده، أو يقعدوا على جنب حتى لو مش متعمدين يغيظوه، ما ينفعش يتناجوا دون التالت.

قولي القانون ده موجود فين؟ في أنه أرضية أو في أنه قانون وضعي؟ الناس في الغرب بيسبوا الناس في الشوارع، مفيش قانون بيمنعهم! حريات عفنة مطلقة، والإسلام يقيد هذه الحريات بما لا يؤدي المسلم وبما يرضي الله سبحانه وتعالى.

تخيّل! وصل رُقّي أخلاق الإسلام يقولك: لو ثلاثة قاعدين، حرام اتنين يقعدوا يتودّدوا ويتوششوا والتالت مش فاهم هما بيقولوا إيه، فده يُحزنه! أيّ دين عظيم هذا؟!

ده إحنا طلّعنا من الدرس ده فعلاً فخورين بالإسلام وبآداب الإسلام، وحلّينا مشاكل كثيرة جداً بفضل الله سبحانه وتعالى في هذا الدرس.

نسأل الله القبول، ويا رب نحفظ الآيات ونحفظ السورة كويس ونسمع ونجتهد. ربنا يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال. جزاكم الله خيراً.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مَدْرَسَةُ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الثالثة

اختر فريقك | حزب الشيطان أو حزب الرحمن

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الثالث من هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدارس جزء قد سمع.

كما رأينا، بدأنا بسورة المجادلة بفضل الله سبحانه وتعالى، وخلصنا . يعني . ثلثي السورة في أول لقائين، وبقي معنا الثلث الأخير من هذه السورة الطيبة المباركة، إن شاء الله نحاول النهاردة نعمل إنجاز وننتهي من سورة المجادلة.

المرّة الماضية توقفنا عند الأدب مع النبي عليه الصلاة والسلام، اللي شوفناه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرٌ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
ثم بيّنا أن هذه الآية نُسخَت بالآية التي بعدها، وأن العمل بها لم يدم طويلاً، ونسخت بقوله تعالى:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَتٌ فَإِذْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
هنبداً إن شاء الله النهاردة بقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

وإن شاء الله نحاول النهاردة نختم السورة بإذن الله سبحانه وتعالى، فنقرأ كما تعودنا، وننتوي أن نحفظ السورة بشكل كويس جداً، ونقرأ **بمَدِّ المنفصل** عشان نساعد الناس اللي بيحفظوا بإذن الله سبحانه وتعالى.

يلا بينا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (16) لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ؕ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ؕ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ؕ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ؕ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ؕ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ؕ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)﴾

هذه الآيات الكريمة التي خُتمت بها السورة المباركة . سورة المجادلة أو سورة المجادلة . انتقلت بنا إلى المحاور الأخيرة في هذه السورة .
كنا بيتنا أن السورة فيها عدة محاور؛ منها أنها تتكلم عن أحوال المنافقين . وده سيأتي معنا في الآيات . ومن محاورها أنها تتضمن ثناءً على أهل الإيمان الذين تبرؤوا من اليهود والمشركين ولم يقعوا في أفعال المنافقين .
وهذا هو المحوران اللذان تتحدث عنهما السورة في ختامها، وهو موضوع حديثنا اليوم بإذن الله سبحانه وتعالى .
البداية بقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَغْلَمُونَ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ، المقصود بـ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أن الله سبحانه وتعالى حين يصف قوماً بالغضب، فالمقصود عادةً اليهود .
يعني أكيد الكفار كلهم غضب الله عليهم، لكن غضب الله أشد على اليهود لأنهم كانوا أصحاب علم، ومع ذلك ضلّوا على علم .

فربنا دائماً يصفهم بالغضب كما قال سبحانه وتعالى:
﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾

فالكلام هنا عن حال المنافقين مع يهود المدينة، لما كانوا يوالونهم على حساب المؤمنين .
ما معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني أنهم اتخذوهم أولياء، وناصروهم ومالؤوهم .

أنتم تعلمون أن المنافقين دائماً مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

لكن هنا السؤال: ما هي الولاية؟

يعني ما معنى تولّوا؟ ما هي الولاية؟

هنا جملة أو كلمة لازم نفهمها وهي تولّوا .

وسيأتي معنا في سورة الممتحنة قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

ما هي الولاية؟

نقول: الولاية لها معانٍ، تمام؟ يعني إيه حد يتولّى حد؟ يتولّاه يعني إيه؟

الولاية في المعنى الشرعي لها عدة صفات، منها:

أنه يحب الكافر ويكره المؤمنين، أي يصرف عبادة المحبة الشرعية لغير موضعها؛ فالمفروض أن يكون الحب في الله والبغض في الله، كما هو معلوم .

فإذا أحبَّ الكافر وكره المؤمنين، فذلك نوع من التوليّ.
فصرف المحبة الشرعية للكفار دون المؤمنين هذا من الولاية للكفار.
والصحيح أنَّ الإنسان يصرف المحبة الشرعية للمؤمنين، ويتبرأ من الكافرين، ويكرههم، ويبغض ما
هم عليه، ويبغضهم في الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى في سورة آل عمران:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

ونحن نحب ما يحبه الله، ونبغض ما يبغضه الله تعالى،
كما قال سبحانه:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

فبالتالي المؤمن إذا أراد أن يتولّى الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك يلزم منه أن يحب المؤمنين ولا يحب
الكافرين.
وسياتي معنا في آخر السورة قوله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

ومن معاني التوليّ أيضًا: النصرة، أي أن ينصر الكافر على المؤمن،
ينصر الكافر وهو ظالم للمؤمن.
أو قد يكون ينصره في حرب، تكون هناك حرب بين الكفار والمؤمنين فيعين الكفار على المؤمنين،
فلا شك أن هذه من أسوأ أنواع الولاية.
ومن الولاية أيضًا: أن يتشبه بهم، يقلدهم في كل شيء؛
في طريقة حياتهم، في شراهم، في لبسهم، في عاداتهم وتقاليدهم،
ويبغض هدي الإسلام.
فيقول مثلاً: لا لا، طريقتهم في اللبس أحسن،
طريقتهم في الأكل أفضل من السنة،
طريقتهم في السلوكيات أحسن من الآداب الإسلامية،
يريد أن ينقل التجربة الغربية تمامًا لبلاد المسلمين،
وفي نفس الوقت يستهين بالسنن، يستخف بالسنن في مقابل طريقة الكفار في الأكل والشرب
واللبس، وشكل تسريحات الشعر والترنيدات والتقليعات والموضات،
في مقابل السخرية من الحجاب، والسخرية من طريقة الأكل والشرب وآداب النوم.
بلا شك هذا من تولّى الكافرين.

ومن تولّاهم أيضًا: أن يطيعهم في معصية الله تعالى،
وطبعًا الولاء درجات؛

فقد يكون نوع من الولاية يصل إلى الكفر،

كأن يتولاهم فيحب دينهم أكثر مما يحب دين الإسلام،
فهذا قد يصل إلى الكفر.

ومثال ذلك أن يطيعهم إذا أمره بالكفر،

كأن يقولوا له: اكتب . مثلاً . مقالة تسخر فيها من الإسلام أو من النبي عليه الصلاة والسلام، فيكتب
ليرضيهم.

أو شخص من ما يسمّون "المثقفين" أو "التنويريين"،

يُطلب منه أن يعمل برنامجًا يهاجم فيه الإسلام، فيفعل ويطيعهم في الكفر، فهذه ولاية كفرية.

وقد يطيعهم أو يقلدهم في أمر ليس كفرًا لكنه معصية،

مثل: التبرج، أو طريقة لبس معينة، أو التشبه بهم في بعض العادات،

لكن دون أن يتبرأ من الإسلام، فهو يحب أن يقلد الكفار في طريقتهم.

فنقول إن هذه تدخل في المعصية،

وليس ضروريًا أن تكون كل أنواع الولاية كفرًا،

فالتولي درجات:

منه ما يصل إلى الكفر، ومنه ما يكون في حدود المعصية.

لكن عموماً منهى عن ولاية الكافرين،

قال تعالى:

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

فهذه أنواع من الولاية.

أما العكس، فالمفروض أن يصرف المؤمن الولاية للمؤمنين،

فيكون الحب الشرعي للمؤمنين،

والنصرة لأهل الإيمان،

والمنهج هو منهج الإسلام،

ويفخر بآداب الإسلام وشعائره،

ويطيع المؤمنين ولا يطيع الكافرين،

كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَطْغِ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾

ويقلّد المؤمنين، ويتخذ منهم المقرّبين والأصحاب.

فربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

فشوف كل المعاني دي في المنافقين، مثل عبد الله بن أبي بن سلول مثلاً في المدينة،
كان يتولّى بني قينقاع وبني النضير،
كيف كان يتولاهم بالنصرة والتأييد والدفاع، وكان ينصرهم على المؤمنين.
نفس الفكرة بالضبط في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾
طيب، "ما هم منكم ولا منهم" الجملة دي بتوصف مين؟

اختلف المفسرون، فالبعض قال: دي بتوصف المنافقين أنفسهم، ما هم منكم ولا منهم، يعني المنافق
ده لا هو من اليهود ولا هو من المسلمين؛ يعني لا بقى من المسلمين ولا بقى من اليهود، زي ما ربنا
قال:

(مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ).

أو تكون دي بتصف اليهود: ما هم منكم ولا منهم، يعني المنافقين تولّوا اليهود، واليهود لا هم من
المسلمين ولا هم من المنافقين، بل سيظل اليهود هم اليهود.
ولو قلنا على المعنى الثاني، فده نوع من المبالغة في ذمّهم، يعني أنت رايح تتولّى ناس لا هم منك ولا
من المسلمين!

انت بتستفيد إيه؟

ودول هيستغلوك، وعند أول الطريق هيبيعوك، وعمرهم ما هيعتبروك، فلماذا تتولاهم؟ وليه لا
تتولّى المؤمنين؟

اللي هو فعلاً لو انضمت إليهم، حزب الله هم المفلحون، ينصروك ويؤيدوك، أنت رحت لناس لا
هم منك ولا هم من المسلمين، وفي النهاية هيستغلوك للوصول إلى أغراضهم الدنيئة في حرب
الإسلام، وبعد كده ممكن تكون أنت أول واحد هيتخلصوا منه في النهاية.

ثم قال سبحانه وتعالى واصفًا المنافقين:

(وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

يعني إيه يحلفون على الكذب وهم يعلمون؟

يعني يكذبون ويحلفون على ذلك.

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ).

فدائمًا ييجوا قدام المؤمنين، قدام النبي ﷺ، يصرّحوا بالإيمان كذبًا، ولو احتاجوا يحلفوا كمان على
ذلك.

زي ما ربنا قال في أول سورة المنافقون:

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ).

بُص، قالوا نشهد هنا يعني بيحلفوا على ذلك، فعادي جدًا أول ما يحسّوا إن اللي قدامهم مش
مصدقهم، ممكن كمان يقسم بالله على هذا المعتقد، وهو يعلم أنه كذاب في ذلك.

فاليمين ده هو اللي بنسمّيه في الشرع اليمين الغموس.

اليمين الغموس هو اللي صاحبه بيحلف وهو كاذب، وهو يعلم أنه كاذب.
خد بالك من حته يعلم أنه كاذب، لأن ممكن يكون فيه احتمال تاني: إن شخصًا يحلف وهو كاذب،
لكن في الحقيقة مكش يعلم إنه بيكذب حين حلف.
مثال:

لو واحد مثلاً سألوه: انت امبارح أكلت إيه؟ فقالوا له: أكلت لحمه؟، فهو ناسي، فإكر إنه أكل فراخ،
فقال: لا، ما كلتش لحمه.

قالوا له: يا عم، انت كلت لحمه؟، قال: والله ما كلت!، وبعدها جت زوجته فكرّته: ده إحنا حطينا
وعملنا... فقال: استغفر الله، صحيح أنا افكرت إني فعلاً امبارح أكلت كذا.
مع إنه حالف من شوية، لكن ده لا إثم عليه.

ليه؟ لأنّه في الصورة كذب، لكن في الحقيقة ما كانش بيعتقد إنه كاذب لما قال الجملة دي.
الفكرة إنك تكون بتحلف خلاف الحقيقة وأنت تعلم ذلك، يعني حين أقسمت كنت عارف إنك
بتخالف الحقيقة — ده اللي بيسميه الشرع اليمين الغموس.

والنبي ﷺ اعتبره من أكبر الكبائر، لأن الإنسان بيكذب ويحلف على الكذب.

يعني إياك تحلف على كذب، لأن الموضوع عند ربنا بيتنقل في حته تانية خالص، بيروح عند ربنا في
مستوي تاني من الإثم.

لذلك سُمّي اليمين الغموس غموساً لأنه يُغمس صاحبه في النار، يعني بيدخله دركة من النار صعبة
جداً.

يُغمس صاحبه في النار.

ولذلك اليمين الغموس مالوش كفّارة.

عارفين مثلاً لو واحد حلف على حاجة في المستقبل، قال: والله هعمل كذا، وبعد كده ما عملهاش،
ده عليه كفّارة: إطعام عشرة مساكين، أو إن لم يجد يصوم ثلاثة أيام.

لكن اليمين الغموس ده حلف مش على المستقبل، ده على حاجة حصلت، وهو يعلم أنها ما حصلتش.
فمن شدّة الجرم ده، الشريعة ما عملتلوش كفّارة، لأن الموضوع أكبر من إنه يُكفّر بكفّارة.
طب إيه الحل؟

الحل توبة صادقة بينك وبين ربنا، وتكثر من الأعمال الصالحة والاستغفار، لعلّ الله يقبل منك التوبة
ويسامحك على اليمين الغموس.

الناس دي بقي بيعملوا إيه؟

يحلفون على الكذب، والمصيبة وهم يعلمون.

فالإنسان يحترس من آداب الحلفان، أولاً: لا تحلف كاذباً أبداً.

طيب لو أنا صادق؟

نقول: لا تُكثّر الحلف، لا تكثّر الحلفان، إلا لو احتجت بشدة.

غير كده، لا تكثّر الحلف.

فالمفترض إن اليمين يا جماعة يكون مُعظّماً، يعني لما أحلف به يكون الموضوع كبيراً جداً، ومش كل
شوية أحلف، حتى لو كنت صادقاً

ربنا قال: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، يعني إيه احفظوا أيمانكم؟
من معانيها: ألا تكثر الحلف.

فالميمين، ربنا قال:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: 224]
يعني مش كل حاجة تحلف.

عارف لو واحد معتاد على كثرة الحلف، هيقع في الكذب أكيد. ليه؟ لأنه مش هياخد باله، ما هو كل حاجة بيحلف، فمممكن يقول حاجة غير دقيقة أوي ويحلف برضه، فيرجع بقى يلوم نفسه.
فالصحيح إن الإنسان حتى لو كان صادقاً يُعْظَم الحلف، ولا يُكْثَر الحلف.
فيقول الله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

كمان كثرة الحلف — خد بالك — بتخلي الناس ترتاب فيك.

عارف الحاجات اللي تخلي الناس تصدقك لو حلفت؟ إنك ما تحلفش كثير.
الشخص اللي بيحلف كثير أصلاً بيحصل ريبة، يقولوا: بيحلف كثير ليه؟ هو كل شوية يحلف ليه؟
فبتجيب نتيجة عكسية، يعني الناس تعتقد إنك كذاب مش صادق.
لكن الإنسان الذي يعظم الحلف لا يحلف إلا قليلاً، دا الناس تصدقه على طول، ولو حلف الموضوع بيبقى انتهى، لأنهم عارفين من سمعته إنه لا يحلف إلا في الضرورة، ولازم الموضوع يكون كبير
عشان يحلف.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، عذاباً شديداً، ليه؟
﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 9].

عذاب شديد بقى يعني زي ما ربنا قال:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145].

أسوأ مكان في النار أعدّه الله تعالى للمنافقين، لأنهم أسوأ من الكفار؛
الكافر مُصْرَح بكفره عدو ظاهر، فأنا عارف أتعامل معاه.

المنافق ده عدو باطن، المنافق بيضرب الصف الإسلامي من الداخل، بيدّعي الإسلام، وبالتالي خطره أكبر من الكافر.

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

عملوا إيه بقى؟

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾.

يعني إيه الكلام دوت؟

اتخذوا أيمانهم جُنَّةً يعني حماية وسرّ ووقاية.

فبسبب الأيمان دي حمّوا أنفسهم.

حمّوا أنفسهم من إيه؟

حمّوا أنفسهم من حاجات كثير؛

حمّوا أنفسهم إنهم يُعاقَبوا، إزاي؟

كان ممكن مثلاً يحصل إن أحداً من المنافقين يسخر من النبي ﷺ، زي ما ورد من بعض المنافقين قال: "إنما مثلنا ومثل هذا الرجل إلا كما قال القائل: سَمَّنَ كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ"، فواحد من المؤمنين سمعه، فراح للنبي ﷺ وأخبره، فأُتي بالمنافق ده، فأقسم بالله أنه ما قالش الكلام دوت. ووردت أحداث ثانية كتير في حاجات شبه كده، وإن ربنا فضحهم في سورة التوبة: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة: 74].

لكن الشاهد إنهم كانوا ممكن يعملوا كده، يهربوا من العقوبة عن طريق الحلف الكاذب. فاللي سمعهم ما عندوش شاهد تاني، مفيش بيّنة على كلامه، فالتاني خلاص يحلف، والبيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر، فيقدر يهرب من العقوبة. فدي "جَنَّة" نوع من أنواع الحماية اللي حصلت بسبب الحلف الكاذب. ويدخل في ذلك قوله تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾، يعني أنهم حمّوا أنفسهم من أن يُعاملوا معاملة الكفار، لأن لو وُجد كافر و مُعادي فده معناه إن ممكن يبقى بينا حرب، ولو حصلت حرب تُستباح الدماء والأموال، فبهذه الأيمان عصموا دماءهم وأموالهم، وهم لا يستحقون ذلك لأنهم مش مؤمنين بالفعل، ولكنهم في الداخل كفار، لكن باستعمال الأيمان دي عملوا أنفسهم حماية من أن يُعاملوا معاملة الكفار.

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [المجادلة: 16].
يعني إيه صدّوا عن سبيل الله؟

"صدّوا عن سبيل الله" تحتل احتمالين:

الاحتمال الأول: صدّوا أنفسهم عن سبيل الله، لأنهم لما بيلاقوا الدنيا ماشية معاهم، وبيلاقوا إنهم بيحلفوا وأمورهم بتمشي وبيعاملوا معاملة المؤمنين، خلاص كده صدّوا أنفسهم عن الإيمان. هو إيه اللي بيخلي الكافر يفكر في الإيمان؟ إنه بيشوف أحوال المؤمنين فيبقى محل دعوة. لكن المنافق فتن نفسه، لأنه متواجد بين المؤمنين، وفي نفس الوقت هو مش منهم، وهم بيعتبروه منهم، ففتن نفسه بهذا النفاق، وصدّ نفسه عن الإيمان الحقيقي وعن الهداية الحقيقية. الاحتمال الثاني: صدّوا غيرهم عن سبيل الله.

إزاي؟

يعني صدّوا من يريد الإسلام عن الإسلام.

لو واحد من خارج الإسلام عايز يدخل الإسلام، فقابل واحد من المنافقين دول وقال له: عايز أدخل الإسلام، ممكن يصده، يمنعه، يخوّفه، يشوّه له صورة الإسلام، زي ما بيعملوا المنافقين اللي بيطلعوا على شاشات التلفزيون وليهم برامج، وفي نفس الوقت بيطعنوا في الإسلام، ويشوّهونه، ويهاجمونه.

طيب، واحد غير مسلم لَقِيَ إن واحداً من داخل المسلمين يُهاجم الإسلام، مش هيفكر أصلاً يخش الإسلام، يبقى همّ بيصدّوا غير المسلم عن الإسلام نفسه، ويدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

صَدُّوا الْمُؤْمِنِينَ - اللى هم بالفعل مؤمنون - عن سبيل الله، يعني عن العبادة والطاعة. فلو المؤمن جاء يجاهد يُثَبِّطُونَهُ، يقولون له: هتترك أموالك وتترك ديارك وتترك نساءك. زي ما ربنا قال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقد قالوا أيضًا عنهم:

﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

بيثبطوا المؤمنين عن النفقة، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فدائمًا كده يثبط المؤمن: "ما تروحش تصلي، خليك قاعد معنا"، "ما تلبسش الحجاب، شكلك حلو كده"، "إيه اللى عملتيه في نفسك ده؟ ليه تعملي كده؟".

عشان كده السؤال المفروض تسأله لنفسك بعد ما عرفت إن من صفات المنافقين إنهم بيعوقوا ويثبطوا ويصدوا عن سبيل الله:

هل فيك صفة من صفات المنافقين؟

خد بالك، مش لازم تبقى منافقًا خالص بمعنى الكفر، لكن يمكن فيك صفة من صفاتهم، وهي إنك دايماً تثبط الناس عن الطاعة.

فلما تلاقي اللى حواليك بينشطوا في عمل ما تقولش: "يا إخوانا خلاص خلينا قاعدين"، أو "هنروح نصلي في المسجد؟ خليكوا قاعدين، صلوا هنا وخلاص".

واحدة تقول: "أنا عايزة ألبس نقاب"، فيقال لها: "ده تشدد! هتتجوزي إزاي؟ مين هييجي لك؟ بلاش تقفلي على نفسك، خليكي انتي كده حلوة".

عايزة تلبس حجاب وهي أصلًا مش محجبة، أو عايزة تلبس خمار، تُقال لها: "هو إحنا كفار يا بنتي؟ ما إحنا مسلمين وبنصلي، وفي ناس بتقول الحجاب مش فرض"، وتبدأ تدخل في كلام غريب.

واحد عايز يحفظ قرآن، تُحبطه.

واحد عايز يطلب العلم، يُقال له: "يا عم إنت هتضيع وقتك مع الشيوخ وكل شوية في المساجد!".

إياك تكون معوقًا، إياك تكون فيك صفة من صفات المنافقين وأنت لا تدري ولا تشعر.

خليك دايماً بتشجع الناس، إنت اللى تحفزهم على الطاعة.

بل لما تشوف حدًا مريح انت اللى تساعد، رايح يصلي، ساعده، قل له: "روح صل، ما تقعدش".

واحد عايز يطلب علمًا، شجعه: "روح احفظ قرآن، ايوه وسعي لبسك، شكلك هيبقى أحلى. يا ريت تلبسي خمار، يا ريت تلبسي نقاب، ده إنت هتبقى جميلة".

حتى لو إنت مش كده على فكرة، شجع الناس على الطاعة حتى لو الطاعة دي إنت لسه ما بتعملهاش. فيه بنات جميلة، تكون واحدة لابسة حجاب مثلاً، وصاحبته انتقت، فتفرح بها جدًا، وتشجعها

جدًا، وتكون أكثر واحدة وقفت جنبها رغم إن الخطوة دي بالنسبة لها لسه بعيدة.

تمام، في واحد زميله بيقوم يصلي في المسجد، وهو ما بيصليش أصلًا، فيُخرج يقوم ويقول له:

"قوم، قوم، روح صل في المسجد وادعي لي، إن شاء الله يوم من الأيام هاجي معاكم".

خد بالك، حتى لو إنت ما بتعملش الطاعة، على الأقل ما تصدّش الناس عنها، ما تحبطش اللي بيعملها، بل كن داعماً له، وقل: "يا رب، يا رب اهديني أنا كمان وأعمل الطاعة دي". قال تعالى:

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

خد بالك من كلمة مهين، دي بتفهمك حاجة، العذاب - يا جماعة - ربنا وصف أنواعاً منه بأنها مهينة. يعني إيه عذاب مهين؟ فيه عذاب، وفيه عذاب مهين، يعني فيه عذاب يشمل إهانة. يعني مثلاً: لو أنا عايز أضرب واحد، فضربتته في صدره، دي ضربة جامدة بتوجّع، بس مش تعتبر إهانة قوي، فيها درجة بسيطة من الإهانة، لكن مش عالية. لكن لو ضربته على وجهه، الألم يمكن يكون أقل من ضربة الصدر، لكنها مهينة جداً. ففي نوع من العذاب مهين، زي ما ربنا قال عنهم:

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾،

لأن كونه يُسحب على ظهره غير على وجهه، السحب على الوجه فيه الإهانة، المقصود أنهم يُهانوا. زي ما ربنا قال:

﴿أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُونَ﴾،

دي إهانة، إنه يُقال له ذلك، بل ويُمنع من الرد. وقال سبحانه:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾،

أي تُقال لهم سخرية وتوبيخاً في النار، يُذكرون بما كانوا عليه في الدنيا: "أنت اللي كنت بتقول على نفسك عزيز؟ أنت اللي كنت كريم؟ طب دُق الآن!" فهناك درجات من الإهانة بتحصل للمنافقين في النار، نسأل الله السلامة والعافية. ثم قال سبحانه وتعالى:

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وهنا معنى جميل: هم عملوا كل ده ليه؟

عشان يحفظوا أموالهم وأنفسهم.

لكن ولا دي ولا دي هتنفعهم بشيء.

ربنا هيعاملهم بنقيض قصدهم، إنت بتحلف كذب وبتنافق عشان تحفظ أموالك ونفسك؟ طيب، ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾، أولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون. ده بيديني قاعدة عظيمة جداً، خد بالك، إحنا عايزين نطلع بقواعد برضه، وعايزين نفعل القرآن في حياتنا. ما هو الكلام على المنافق، ممكن واحد يقول لك: "هو أنا مش منافق خلاص، سلام عليكم". لا، ركز، لأنك هتطلع بقواعد دلوقتي.

من القواعد دي قاعدة بتقول: إنك لو عصيت ربنا - خلينا نقول معصية مش كفر - عصيت ربنا علشان هدف معيّن، ربنا مش هيبارك لك في الهدف ده أبداً.

هم حلفوا على الكذب علشان الأموال تعصم، علشان أنفسهم، علشان يحموا أنفسهم، فقال الله تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾.

طب أنا تنازلت عن ديني علشان شغلانة؟ ربنا مش هيبارك لك في الشغلانة.
أنا تنازلت عن مبادئ علشان بحب شخصاً؟ ربنا مش هيبارك لك فيه.
أنا ضيّعت الصلاة علشان الشغل؟ مش هيبارك لك في الشغل.
أنا تبرّجت علشان ييجي لي عريس؟ هيجي لك، بس عريس مش ملتزم، وبالتالي مش هتلاقي البركة في حياتك أبداً بسبب حاجة زي كده.
فبصّوا يا جماعة، القاعدة دي على فكرة بتريحنا.
ليه بتريحنا؟ لأنها بتخلي الاختيار سهل: أنا بقول لك اختار طاعة ربنا مهما كانت التضحيات، العاقبة للمتقين، وآخرتها جميلة.
لكن لو استعجلت، وحاولت توصل لرزقك بمعصية الله، ما تستغربش أي حاجة، بالعكس، الدنيا هتتقلب عليك، واللي كنت بتتمناه مش هيحصل، بل هيحصل عكسه عادة.
كما جاء في الحديث:

"لا يَحْمِلَنَّكُمْ استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإنما عند الله لا يُنال إلا بطاعته".
شفتوا القاعدة الجميلة اللي خدناها من الآية دي؟
قال تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

يا الله! "أصحاب النار"، يعني تخيل بقى واحد يتسمى صاحب النار، يعني ده مقيم فيها، ده ده الأساسي!
"هم فيها خالدون"، يعني لا يخرجون منها أبداً، وده يخلي الإنسان يترعب من الكفر؛ فالكفر عاقبته خلود في النار، خلود بلا موت.
فالإنسان يحمد ربنا على الإسلام، ويتمسك بالإسلام وبالطاعة والعبادة، وما تستهنش بالمعصية، لأن الكفر كانت بدايته معاصي.
كل ما تزود المعاصي، كل ما تقرب من الكفر، فخلي بينك وبين الكفر وقاية كبيرة جداً، اتق الله قدر ما تستطيع، علشان الشيطان ما يفكرش أصلاً يوصلك للحة دي.
ثم قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

هنا الكلام على إيه؟

قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾.

خلينا نقف الأول مع كلمة جميعاً دي، علشان حلوة.

يعني إيه "جميعاً"؟ فيها قولان:

القول الأول: يوم يبعثهم الله جميعاً، يعني يبعث الأولين والآخرين سبحانه وتعالى، وده تكلمنا عنه في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَبْئُتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾،

وهنا تاني بتكرر نفس الخلاف، يعني يجمع الأولين والآخرين.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

القول الثاني: يوم يبعثهم الله جميعًا، يعني يجمع كل واحد مهما تفرقت أجزاء جسده في الأرض. وقد صح في الحديث أن رجلًا حين حضرته الوفاة جمع بنيّه، فقال: "يا بَنِيَّ، إن أنا مُتُّ فأحرقوني، ثم اسحقوني حتى أكون رمادًا، ثم انتظروا يومًا شديد الريح، فاجعلوا نصفي في البر ونصف في البحر، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني". ففي يوم القيامة جمعه الله تعالى، تخيل! رماد، ونصه في البر ونصه في البحر، وجمعه الله تعالى. قال له ربه: "عبدِي، لِمَ فعلتَ ذلك؟" قال: "من الخوف منك يا رب"، فغفر الله له وأدخله الجنة. سبحان الله!

لكن الفكرة هنا إن ربنا جمعه كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. فالله يجمع كل شخص مهما تفرقت أجزاءه، ويجمع الأولين والآخرين، يوم يبعثهم الله جميعًا. يحصل إليه بقى؟

يحصل شيء غريب جدًا:

﴿فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾.

بُص الغلبان ده! بيعتقد إن الكذب هينفعه حتى أمام الله، يعني زي ما هو شايف إن الكذب نفعه في الدنيا، بيقول: ما يمكن ينفع كمان قدام ربنا! وده قمة الجرأة على الله سبحانه وتعالى.

الله يعلم السر وأخفى، الله يعلم ما تخفي الصدور، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾،

إنت هتحلف لمين؟! هتحلف لربنا؟!

وفعلًا هم بيقولوا كده، كما في سورة الأنعام:

﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾،

تخيل! يحلفوا بالله قدام الله إنهم ما كانوا مشركين!

فقال الله تعالى:

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

شيء عجيب فعلاً!

يحلفوا بالله قدام ربنا إنهم ما كانوا مشركين، ودول برضه المنافقين يعملوا نفس الفكرة، يحلفوا لله إنهم كانوا على الإيمان، سبحان الله!

الإنسان مغرور، والإنسان عجيب.

طبعًا دي إحدى المحاولات يعني. بعد كده طبعًا لما يعرفوا أن الحلف لم يروج على الله تعالى، تبدأ بقى محاولات أخرى، يقولوا مثلاً: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

يبتدوا بقى يعترفوا، يقولوا ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، فيبتدي يعترف ويظن أن الاعتراف هينفعه، وهو في الحقيقة مش هينفعه. تمام،

يقول: أنا هبقي مؤمن ومؤمن جامد وبتاع، برضو مش هينفعه، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾. بعد كده لما يعرفوا إن ما فيش أمل ومش هيرجعوا، بيتدوا يكلموا ربنا. فيطلبوا منه التخفيف أو العودة، فيقال لهم: ﴿اٰخَسُّوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ﴾. بعد كده يخشوا في محاولة بعد كده إنهم يكلموا مالك خازن النار. خلاص ربنا بيكلمهمش، ﴿وَنَادَوْا يٰمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، طب نموت! ولا دي حتى، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾.

يا الله! شيء مخيف! انقطع الكلام بينهم وبين ربنا. بدأوا يكلموا خازن النار مالك، بقي دلوقتي أملهم يموتوا بس. شوف في الأول كان بيحلفوا، بيظنوا إنهم هيسلموا ويخشوا الجنة، وبعد كده قالوا احتمال نرجع، طب يا رب قال لهم: ما تكلمونيش، وبعد كده بدأوا يكلموا مالك خازن النار إن إحنا بس نموت.

تخيل أن يكون في يوم من الأيام أقصى أحلامك أنك تموت! إياكم والمعاصي والكفر يا جماعة، إياكم والكفر، وإياكم والمعاصي فإنها بريد الكفر. هيبقى حلمه أنه يموت، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، قال لهم ولا دي، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾. هيوصل بقي لمستوى ثاني آخر احتمال، فيكلموا خزنة جهنم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾، خلاص مش هنموت، إحنا عرفنا إننا مش هنموت، بس ادعوا ربكم يخفف يومًا من العذاب، برضو دي ما فيش.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُّسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾. يا الله! صعب جدًا. شوف بقي بدأوا إيه؟ بدأوا إنهم بيحلفوا لله إنهم مش مشركين ومش منافقين، ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾، عجب والله! ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. شُف كمية التأكيدات: ألا إنهم هم الكاذبون.

ثم قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

استحوذ عليهم الشيطان إزاي؟ بأفعالهم. هم اللي جرّوه عليهم، هم اللي قالوا له: احنا زباين، اتفضل، تمكّن منا. ما هو الشيطان يا جماعة ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. عشان كده الواحد يقول لنفسه: ده شيطان، وهنعمل إيه مع الشيطان؟ الشيطان ضعيف جدًا، ما يقدرش عليك إذا أنت توكلت على الله، إذا أنت محافظ على عبادتك وطاعتك وأذكارك، ليس له مسلك منك.

الناس اللي بتقعد تخاف من الحسد والسحر طول النهار عايشين في وسوسة. اقفل الباب، اقفل الباب خالص، ولا تفكر في الموضوع ده ولا تخاف من الشيطان. في ناس دايمًا عندها خوف كبير من الشيطان فعلاً، وده غلط، غلط. المؤمن ما يخافش من الشيطان. ربنا قال كده: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾. أنت مؤمن، أنت أقوى من الشيطان بكثير.

أنتِ مستوعبة؟ أنتِ مؤمنة يا اللي بتخافي من الحسد والسحر والشيطان والجن واللبس والمس، وبتقولي: أنا حاسة، والبيت فيه حاجة، وجوزي فيه حاجة. فيه إيه؟ فيه الهلع؟ ورحت لشيخ قال لي وخوفني وقلقني! في إيه يا جماعة؟! إحنا أقوى من الشيطان بكثير جدًّا، جدًّا، إحنا معانا ربنا. بس إحنا إيماننا ضعيف. ربنا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

شُف بقى: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، عرفوا، مسهم مجرد إن الشيطان يقرب منهم، بيدوا له على دماغه، فاستعد بالله. الجأ إلى الله حتى لو زلت، حتى لو حصل حاجة، حتى لو إن شاء الله أصابك حسد لسبب ما، برضو ما تخافش من الشيطان. اتعامل مع ربنا على طول.

أزق نفسك، أزق أولادك، أزق جوزك، اقري قرآن على مية ورشي في البيت، اعلمي حماية، أذكرك صباح، أذكرك مساء، صلاة في وقتها، عبادة، ذكر كثير كثير كثير، حصني نفسك وأولادك وبيتك ودينيتك، مش هتشتكي بعد كده.

الشيطان بيستحوذ على مين؟ يقدر على مين؟ يتمكن من مين؟ من اللي بعيد، اللي قريب ما يقدرش عليه. ليس له مسلك، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. استحوذ عليهم الشيطان يعني إيه استحوذ؟

استحوذ يعني غلب عليهم، علا عليهم. يقول لك: استحوذ عليه يعني ضمه، يقول لك: استحوذ على الشيء ضمه إليه، غلب عليه، علا عليه. كل دي من معاني كلمة استحوذ. لكن استحوذ إزاي؟ هو السبب، إنت اللي عملت لنفسك كده. ﴿فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

إنت كانت أبوابك مقفلة، أنت اللي فتحت الأبواب فدخل، ما تزعلش بقى لما انت تكون دخلت ودخل خرب جوه بيتك، أنت اللي عملت في نفسك كده. عشان كده ربنا أمر المؤمنين:

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فيه؟ ربنا بينصحك بحاجة ليك انت، طول ما انت في حال من الذكر، حال من الانشغال بالله، الشيطان ما يعرفش يخشلكش.

لكن بقى انت قاعدة طول النهار مشغلة مسلسلات، مشغلة لي أفلام، تسمعي مهرجانات، تسمعي أغاني، تتفرجي على حاجات مش كويسة، وانت تتفرج لي على حاجات مش كويسة، وانت بتمشي مع ولاد، وهو بيمشي مع بنات، وبعد كده تقول لك: أنا مش عارف الشيطان بيجي لنا إزاي، والبيت فيه مشاكل، وأنا حاسة في سحر، حاسة إن في عمل، حاسة إن في لبس، حاسة إن البيت مش مضبوط. طب ما طبعًا، طبعًا البيت مش مضبوط.

أغلب الناس اللي شفتناهم الحالات اللي الشيطان فعلاً بيمسهم ولا بيعمل لهم مشاكل، نخش البيت نلاقي البيت مليان معاصي،

نقول لهم: يا جماعة، حل واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، وبعد كده نتكلم. بيحلّوها، الموضوع بيتحل لوحده. ييجوا بعد فترة يقولوا خلاص، الموضوع اتحل، ما بقيناش بنلاقي الحاجات ديت. ما خلاص، ما انت اللي فتحت الباب.

تمام، فهنا: ﴿اسْتَحْذُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾

يا الله! فانساهم! شوف بقى لما استحوذ عمل إيه! أنساهم ذكر الله. ليه؟ هو عايز، هو انت أصلاً سبب إن هو استحوذ عليك تقصيرك، بس هو عايز يضمن إن انت حتى مش هيبقى معك أي أسلحة. هيفضّيك من الأسلحة تمامًا. هو وصل لك لأن أسلحتك ضعفت، لا، ده هو عايز نزع سلاح، نزع السلاح تمامًا.

لأن طالما في احتمال ممكن في يوم من الأيام تستقوى عليه، لا، لا، عايزك تنسى ذكر الله تمامًا. ما هي بتبدأ إزاي؟ انت عملت حاجة معينة، فتحت الباب، يخش يعمل حاجات بقى، اللي هي كانت واحدة، فانت فتحت الباب، تحولت لحاجات.

تقصيرك في واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، مكن منك الشيطان، فجيب خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة.

طب ليه؟ أنا عملت في نفسي كده؟

هم استحوذ عليهم الشيطان، فبدل ما كانوا غافلين شوية عن الذكر، لا، أنساهم ذكر الله تمامًا، أنساهم ذكر الله بكل أنواع الذكر:

بالقلب، باللسان، بالجوارح.

أنساهم ذكر الله بالقلب، فجعل قلوبهم دايماً في غفلة، ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

دايماً قلبه ما يفكرش لا في الدين، ولا في الدعوة، ولا في الذكر، ولا في إصلاح نفسه.

دايماً قلبه بقى في الدنيا، في الموضة، في اللي اتجوزت، في اللي اتطلقت، في الحكايات، في الهري، ما ينشغل أبداً بالله في قلبه.

وأنساهم ذكر الله باللسان، كما قال تعالى:

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

تذكر ربنا قد إيه في اليوم؟

خد بالك، احنا بنطلع من هنا بفوايد، أنا مش عايز يبقى فيا أي صفة من صفات المنافقين، من صفات المنافقين إن هم بينسوا ذكر الله، يعني بيذكروا ربنا قليل أوي. أورد ذكرك عاملة إزاي؟

أنساهم ذكر الله بالجوارح، يعني إيه أنسى ذكر ربنا بالجوارح؟

يعني يبقى بيصلي، بس ما فيش خشوع.

الجوارح مش خاشعة.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾.

فالجوارح مش في تفاعل مع الذكر، لا بخشوع ولا بتدبر ولا بشيء.

إيه أخبارك؟

ودي مشكلة بنواجهها أحياناً في بعض الملتزمين، ودي بنسميها مشكلة "التصحر الإيماني".
التصحر من الصحرا يعني.

إيه التصحر الإيماني ده؟

التصحر الإيماني إن يبقى أخ التزم بقاله فترة أو أخت التزمت بقالها فترة، وكانت كويسة في بداية الالتزام، بعد فترة بدأ يحصل تصحر إيماني.

الأوراد قلت أوي، الصلاة بالليل قليلة جدًا، بدأنا نقطع الصلاة في وقتها، برضو ما بقتش زي الأول، تمام، ورد القرآن راح.

يحصل إيه؟

كان واحد أخضر كده، كان في الأول أخضر، بدأنا نقلل المية، بدء ييبس، ييبس وينشف، لا ليه طعم، ولا لون، ولا ريحة، بقي هش.

عارف يعني إيه هش؟ هش يعني إيه؟ يعني لو جت شوية ريح هتكسره

فإياكم وظاهرة التصحر الإيماني، قصدي التصحر في الإيمان يعني، التصحر في الالتزام، قاوم هذا التصحر.

أنا عارف ان في حالات كتير كدا، يقول لك: أنا فعلاً حاسس بكده. الحالة دي بداية الانهيار.

خد بالك، أنا بلحقك، حاول ترجع المية تاني، حاول ترجع رطوبة الزرع بتاعك، عشان ساعتها بعد ما ينشف هيتكسر على طول، وتبدأ انتكاسة رهيبة.

قاوم، كل ما وردك يقل قاوم، لازم ترجعه، ما ترضاش إنك تكون في منزلة وتنزل عنها، ده خطر.

وده اللي بنشوفه للأسف بعد كدا فظاهرة تصحر الالتزام، دي بتساوي إيه؟

بعد فترة، ييبقى الشكل: أخ ملتحي، أخت منتقبة، لكن ما فيش أمانة، ما فيش ضمير، ما تحسّش معه بإيمان،

خلل في المعاملة، خلل في السلوك، مشاكل في البيوت، ما فيش التزام جوّه البيت.

الزوجة بتشتكي من زوجها، تقول لك: شكله كان ملتزم، وهو بيشتكى من زوجته، بيقول: طلعت

مش ملتزمة. ليه؟ حصل تصحر في الالتزام لفترة طويلة، خدعنا بالشكل، وفي الآخر ما فيش التزام.

قاوم، قاوم هذه الظاهرة المريبة.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾، قال: ﴿فَأَنسَهُمُ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.

فلما انسي ذكر الله كده تبقى من حزب الشيطان.

خذ بالك بقي من الفوائد اللي هقولها لك دي عشان خطيرة:

استحوذ عليهم الشيطان. بعض الناس يعتقد إنه لما يسبب الطاعة، إنه كده حر.

يقول لك: أنا حر، الطاعة دي بتقيّدني، "افعل ولا تفعل"، لا، أنا حر، أعمل اللي أنا عايزه.

هو بيعتقد إنه لما طلع من طاعة ربنا إنه تحرر! غبي !

إنت لما طلعت من قيود الطاعة دخلت في قيود الشيطان، انت ما تحررتش، تحولت لأسير في يد من لا يرحمك.

انت في الحياة ما تحررتش، بل ذهبت إلى أشد أنواع الأسر.

استحوذ عليهم الشيطان الرجيم.

هو بيظن أنه تحرر ده ترك القيود التي تنفعه وترك التعبد لمن يريد لك الخير ويريد أن يتوب عليه،

وذهب إلى من يريد ضرره ويريد إذلاله وإهانته.

فقيود الطاعة عزّ، وقيود المعصية ذلّ.

استحوذ عليهم الشيطان، اعتقال لا يُفكّ قيده إلا بتوبة صادقة، أو سيفكّ في نار جهنم.
استحوذ عليهم الشيطان بمقدار غفلة يكون الاستحواذ.
ربنا وصف الشيطان بعدة صفات في هذه السورة، قال:

{اَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ}،

وفي سورة الأنعام قال:

{اَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ}،

وقال عن الشيطان:

{اَسْتَزَلَّاهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا}.

"اَسْتَهْوَى"، "اَسْتَزَلَّ"، "اَسْتَحْوَذَ" — يا لها من خطة محكمة!

هل فهمت خطة الشيطان؟

يوهمك، يخليك تقع في الزلل، ثم يستحوذ عليك، انتبه.

ثم قال سبحانه وتعالى:

{أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

ثم قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ}

يعني "يحادّون الله ورسوله"، "يحادّون" من الحدّ، تكلمنا عنها في أول السورة برضو،

"يحادّون" من الحدّ، يعني هو في حدّ ودين ربنا في حدّ ثاني.

يحادّون الله ورسوله، إيه بقي؟

{أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ}، الله!

ربنا كتب عليهم كده، إنهم يكونوا دائماً في حالٍ من الذلّ!

يعني دائماً خائف.

ليه؟ لأن هو دائماً خائف على ماله، خائف على نفسه، خائف من عقاب ربنا ينزل عليه في أي وقت.

ربنا يجعل الذلّ في قلبه.

زي ما النبي ﷺ قال:

«وَجُعِلَ الدُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

حتى لو هو في موطن عزّ، بس برضو جواه في قلبه ذليل.

«أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ».

أبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه.

الحسن البصري له كلمة جميلة جدّا، يقول:

"هم وإن تُقَطِّقت بهم البغال، وهملجت بهم البرازين، لا يزال ذلّ المعصية في قلوبهم أبى الله إلا أن

يُذِلَّ من عصاه".

يعني إيه تُقَطِّقت بهم البغال، وهملجت بهم البرازين؟

البرازين ده نوع من المركوبات شبه الحصان.

يعني عايز يقول بالمصطلح الحديث:
حتى لو راكبين طيارات، أو راكبين وسط الحراسة والدبابات والموتوسيكلات،
راكبين أفخر السيارات، وتُفتح لهم الأبواب وتُفرش لهم الأرض ورد،
برضو أذلة، رغم إن المشهد مشهد عزّ، لأنّ الذلّ هنا في قلوبهم.
أبى الله إلا أن يُذلّ من عصاه.

على العكس، المؤمن دائماً في عزّ،
حتى لو في سجن، حتى لو في قهر، حتى لو في قيد،
العزّ في قلبه، والذلّ في قلب اللي يعذّبه، سبحان الله!
{أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)}.
"كتب الله" يعني قضى وحكم وقدر.
{لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.
يعني إيه الكلام ده؟

يعني ربنا بيقول: بيحسم الموضوع، وده بيطمّن جدّاً أهل الإيمان، ربنا بيقول لأغلب أنا ورسلي
هذه نهاية الأمر: أن الله سيغلب، سيغلب سبحانه وتعالى،
ما حدش هيغلب ربنا.

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، قد يكون هنا في نوعاً من الإشكال ربنا بيقول
{لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} طيب ازاى في رسل قتلت مثلاً؟
وابلغ من هذه الآية قوله تعالى:

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ}،
أو قوله تعالى:

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ}.

ما يتقالش النُصرة دي في الآخرة، لا، ده هو قال في الدنيا كمان.
هنا يحصل إشكال: طب ما إحنا عندنا فترات استضعاف للمؤمنين، عندنا رُسل قُتلت، عندنا مسلمين
حصل عليهم هزائم، وللأسف قتل وتشريد وتجويع والكلام ده، إزاى الوعد ده يتحقق؟
ركز معايا:

إحنا عندنا أولاً الوعد ده تحقق بالفعل في فترات زمنية،
وعند مجموعة من الرسل، زي ما تحقق مثلاً مع سيدنا سليمان بالانتصار على أعدائه،
وسيدنا داود بالانتصار على أعدائه،

وزي سيدنا محمد ﷺ لما انتصر على أعدائه بالقوة والسيف والسنان.
فدي كده كده خلاص، دي ما فيهاش مشكلة، لأنّ في أنبياء فعلاً غلبوا أقوامهم بالقوة كمان وانتصروا
عليهم.

وفي رُسل تحقق فيهم وعد الله بأن ربنا نصرهم،
أه، مش بأيديهم، لكن هو نصرهم سبحانه وتعالى،
زي ما حصل مع سيدنا نوح، سيدنا هود، سيدنا صالح، سيدنا شعيب،
أن ربنا انتقم من أعدائهم أشد انتقام،

ورأوا هذا الانتقام سواء بالصيحة أو بالرجفة أو بالماء أو بالغرق.

قال تعالى:

{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَغْرَقْنَا}.

ما فيش إشكال في الجزئية دي، لكن الإشكال في من لم يشهد انتصار الأنبياء في حياته، أو قُتل، أو في فترات استضعاف المؤمنين الي موجودة كثير في الزمان.

هنا بيكون الجواب بكذا طريقة:

الجواب الأول:

إن وعد ربنا أن رسله تغلب، مش لازم يكون في نفس الوقت، إنما في العاقبة، يعني مآل الأمر إلى الغلبة. وقد يتأخر النصر ودي الفترات الي أنت بتسأل عليها، الي بيحصل فيها استضعاف أو قتل أولياء الله أحياناً، لكن في العاقبة، في العاقبة سينتصر الإيمان وسينتصر منهج الرسل، حتى لو قتل الرسول، سينتصر أتباعه بعد ذلك، وده يُعتبر نصراً للرسول.

زي ما ربنا قال في القرآن:

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَى مَطَهْرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ}.

تمام، "وجاعل الذين اتبعوك"، البعض قال: إزاي إذا كان النصراري ظلّوا مستضعفين بعد عيسى عليه السلام في كل فترات الحكم بعد كده، سواء حكم الرومان أو اليهود أو غيرهم؟ بعض العلماء فسروا قوله تعالى: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ}، أي أمة محمد ﷺ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام هو انتصار أتباع عيسى عليه السلام، يعني الذين على منهجه الصحيح والتوحيد وعدم التثليث.

{وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ}.

ثم هو نفسه عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، ويقول لأتباعه العلو على من عاداهم. عايز أقول إن الفكرة هنا أن الرد الأول أن الكلام على المآلات؛ أن مآلات مناهج الرسل أن الله سينصرها، وإن تأخر النصر، وكان بين الوعد ده فترات استضعاف فده أكيد لحكمة، أو بسبب تقصير من المؤمنين أنفسهم، لكن في النهاية يؤول الأمر أن ربنا يغلب، وينتصر الرسل بأنفسهم، أو ينتصر لهم الله بعد موتهم بأن ينصر منهجهم وأتباعهم.

وفي جواب ثانٍ للآية:

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

إن الغلبة والانتصار لها أنواع:

منها الانتصار باليد والسيف، أو الانتصار بإهلاك الأعداء والانتقام منهم، زي ما ضربنا أمثلة على كده. لكن هناك أنواع أخرى من الغلبة، ودي حاصلة لكل الرسل ولكل المؤمنين حتى في فترات الاستضعاف، زي إيه؟

1- انتصار الرسل وأتباع الرسل في ميادين الحجة والبرهان، زي ما ربنا قال بعد الي حصل في أحد:

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

وقال لسيدنا موسى:

{إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}.

الأعلى في إيه؟ ولسه ما حصلش حاجة! لا، أنت الأعلى دائماً، بغض النظر هيحصل إيه.

أنت الأعلى بالحجة، الأعلى بالدين، الأعلى بالبرهان.

يعني لا يمكن كافر يغلب مؤمن فاهم دينه صح في ميدان الحجة والبرهان، لأن الإيمان قامت عليه أدلة دامغة قوية تُضحض كل شبهات الكفار.

إذا المؤمن دائماً غالب في الميدان ده، أي ميدان مناظرة، أي ميدان حجة وبرهان، أي ميدان استدلال، دائماً الغالب هم الرسل وأتباع الرسل.

وفي ميدانٍ ثانٍ:

المؤمن دائماً بيغلب فيه، وهو أن ربنا يجعله يغلب في ميدان الثبات على المبادئ وانتصار المنهج. كون المؤمن ثبت على دينه وإن قُتل، وكون الرسل ثبتت على دعوتها وإن قُتلت، ما هو ده انتصار. مؤمن آل ياسين اتقتل،

بس إحنا كلنا شايفينه منتصر، لأن أول ما اتقتل:

{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}.

ربنا انتقم من قومه من بعده، واعتبر أنه من المنتصرين.

انتصر؟ نعم، انتصر بالثبات.

وكذلك الغلام في قصة الغلام والساحر والملك، لما الملك قتله في الآخر، اعتبرنا الغلام منتصراً، لأنه ثبت، وكل محاولات الملك ما قدرتش تنزع منه الإيمان، وده نوع من انتصار الله لأوليائه ورسله.

وكذلك ياسر وسمية، قتلهم أبو جهل، لكنهم انتصروا، لأنهم ثبتوا على المبادئ، وكان وعدهم الجنة. وانتصار الدعوة هو نوع من الانتصار، زي قصة الغلام، لما مجرد ما مات، آمن الناس، فده انتصار المنهج.

انتصرت الدعوة وانتشرت في النهاية رغم كيد الكافرين.

وبالتالي فانتشار الإيمان انتصار للمؤمن نفسه.

ولذلك، انت نفسك مهما كنت، إحنا بنشوف دلوقتي أهلنا في غزة وفي غيرها، إحنا بنقول إنهم منتصرون دائماً، ليه؟

منتصرون بالثبات، منتصرون بعلو المنهج، منتصرون بعزة النفس.

ودائماً عدوهم هو المهزوم مهما كان، ويذل في كل موطن، لأنه ما قدرش ينزع أهم شيء:

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.

طول ما أنت ثابت على دينك، فأنت المنتصر.

هو كده حاسس ما عملش حاجة، **{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}،**

{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا}.

يبقى أنا لما بثبت، أنا كده انتصرت. هموت على ديني، طب ما هو ده اللي أنا عايزه أصلاً، هدخل الجنة، فين الهزيمة؟ ما اتهزمتش، حتى لو أنا في زمن استضعاف، المهم الثبات على المبدأ.

والعكس بقى، العكس: طب افرض إنك ممكن، والكفار ادوك التمكن، بس بشرط إنك تكفر أو تنافق أو تهاجم الدين أو تبيع دينك. في المشهد أنت في عزّة وممكن، والكفار ادوك كل الصلاحيات، بس في الحقيقة أنت مهزوم، ده عند ربنا أنت مهزوم، ليه؟ لأنك بعت دينك، بعت مبادئك عشان توصل للسلطان.

فهمنا الفكرة؟ فإذا لو فهمت المعاني اللي أنا قلتها دي، يبقى الآية دي تحققت بالفعل، لأن ربنا كده غلب، إمّا غلب بطريقة الانتصار باليد، أو بأنه هزم الأعداء بنفسه، أو بأنه نصر منهمج الأنبياء وثبتهم على دينه، ونصر أوليائه بأنه ثبتهم رغم شدة الفتن.

تمام، نصر المنهج، نصر الدعوة، وكده كده حتى وإن تأخر النصر اللي هو المادي المباشر، كده كده العاقبة في النهاية للمؤمنين، بل في اخر الزمان كده كده سينتصر أهل الإيمان مع عيسى عليه السلام، وتكون العاقبة دائماً للمؤمنين.

فده معنى **{كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}**، ليه؟ **{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}**، قويّ طبعا سبحانه وتعالى، عزيز لا يُغلبه أحد، ولا يُغالبه، ولا يستطيع أحد أن حتى يفكر في المحاولة.

فهناك انتصار الحجة: **{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ}**.

وهناك انتصار الثبات. ابن تيمية كان بيسجن، وهو العزيز، وهم الأذلاء.

يقول: «ما يفعل أعدائي بي؟ أنا جنّتي في قلبي، بستانى في صدري، فأينما ذهبت فهو معي، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن نفوني فنفي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة».

فلما قفلوا عليه باب السجن، قال: «ضرب بيني وبينهم بسور باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله

العذاب».

الإمام أحمد قعدوا أربع خلفاء يُعذّبوه عشان يقول بخلق القرآن، فأبى أن يقول بخلق القرآن، وثبت على القول إن القرآن كلام الله غير مخلوق. ثمانية وعشرين شهراً كان يُعذّب الإمام أحمد، وفي الآخر هو اللي منتصر، وهم الأذلاء، وفي الآخر ربنا نصره ونصر المنهج ونشر منهج أهل السنة.

ثم قال سبحانه وتعالى:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

{لَا تَجِدُ قَوْمًا} يعني هنا ربنا استعمل أسلوب النفي، يعني ده مش موجود أصلاً.

ويقول لك: أسلوب النفي أبلغ من أسلوب النهي.

يعني إيه؟ يعني ممكن أقول لك مثلاً: "لا تُوادّ الكافر" — ده نهى.

بص الأسلوب التاني: "ما فيش حد أصلاً بيعمل كده".

هو قال لك مثلاً: "ما تتأخرش" — ممكن تقول لي: يمكن في ناس بيتأخروا تاني.

لكن لما يقول: "ما فيش حد هنا بيتأخر" — فدي بتبقى أقوى في إن أنا أزجرك عن الفعل.

فأسلوب النفي ده مش موجود أبلغ من أسلوب النهي.

{لَا تَجِدُ قَوْمًا} — ده مش موجود أصلاً، ما ينفعش واحد مؤمن يحب ربنا ويحب أعداء ربنا، بيحب

الرحمن ويحب أولياء الشيطان، كيف يجتمع في قلب واحد محبة الرحمن ومحبة أولياء الشيطان؟ هذا لا يكون في قلب واحد.

تمام، فالإنسان في قلبه لا يحب الكافرين، يتبرأ منهم ومن طريقتهم، ويحب الله سبحانه وتعالى. حتى وإن كنا مأمورين إننا نعامل الكفار بالبرّ والقسط، زي ما ربنا قال: **{ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ }**

البرّ والقسط مالوش علاقة بالحب. القسط يعني العدل، والبرّ يعني والمعاملة الكويسة والإحسان عادي. ممكن إنسان يعدل ويعامل جيداً من لا يحب. إحنا في حياتنا أصلاً في ناس كتير ما بنحبهمش، لكن بنعاملهم كويس لله، مثلاً يعني. ده نفس الفكرة: ما فيش داعي للتخليط، فالإحسان والمعاملة الكويسة مش معناها إن أنا راضي عنك أو بحبك، لكن أنا لا أحب من لا يحب الله سبحانه وتعالى. تمام، ربنا لا يحب الكافرين، فلا يُحبّهم بالتبعية، فلا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يعني لا يجتمع الإيمان بالله واليوم الآخر مع محبة الكافرين. **{يُؤَادُونَ مَنَ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }** هذه الآية يُقال إنها نزلت في قوله تعالى:

{ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ } — قالوا: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، لأنه قتل أباه يوم بدر. هو في يوم بدر كان أبو عبيدة بيتحاشاه أباه كان في جيش المشركين، فبيقول إنه كان بيتفادى مواجهته، ولكن سبحانه الله حصل أن جمعهم لقاء، فلم يجد أبو عبيدة بُدّاً فقتل أباه، فنزلت فيه: **{ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ }** **{ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ }**، قيل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في جيش المشركين يوم بدر، هو لم يقتل، فقد أسلم بعد كده طبعاً وحسن إسلامه. وقيل: إن أبا بكر قال: "لو رأيتك يوم بدرٍ لقتلتك"، فنزلت في قوله تعالى: **{ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ }** **{ أَوْ إِخْوَانَهُمْ }**، قيل: نزلت في مصعب بن عمير، قتل عبيد بن عمير أخاه يوم بدر. مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير في يوم بدر. **{ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }**، قيل: نزلت في عمر بن الخطاب، قتل قريباً له يوم بدر، وقيل: نزلت في حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، لأنهم قتلوا عتبة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة أيضاً يوم بدر.

وحتى بعد بدرٍ، لما حصلت قضية الأسرى، والنبي ﷺ اختار الفداء، كان لسيدنا عمر رأي. قال: "يا رسول الله، لا أرى ذلك، أرى أن تمكّني من رقبة فلانٍ لقريبٍ لعمر، وتمكّن عليّاً من عقيل، وتمكّن فلاناً من فلان، كل واحدٍ يقتل قريبه".

ثم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك: «ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادهٍ للمشركين».

سبحان الله! **{ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }**. وعشان كده ربنا عقّب على كده فقال: **{ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ }**. الله! يعني إيه "كتب"؟

"كتب" من الكتاب، ويُقال عن الكتاب كتابٌ لأنه يجمع المحتوى بتاعه. ف"كتب" يعني "جمع"، وقيل: "كتب" يعني "أثبت".

فمعناها عظيمة جدًا؛ إن كل ما أنت تُبَيِّن ولايتك لله، بتحصيل لك مكافأة،
إن ربنا يُثَبِّت الإيمان في قلبك، ويُقَوِّي الإيمان في قلبك، ويجمع لك مزيدًا من الإيمان في قلبك.
{أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} — يا الله! جميلة!

فنفس الفكرة إنك لما تكون عايز غايةً تُعصي ربنا علشانها، ربنا لا يبارك لك فيها.
والعكس: لما تُطيع ربنا وتُضحِّي من أجل الله، ربنا يُكافئك، ويزيد الإيمان في قلبك، ويجمعه لك،
ويُثَبِّته.

{كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} — لما تمشي في طريق طاعة ربنا، هيكافئك ويزيدك، ويحميك من
الشیطان.

أما التانيين، لما باعوا، **{اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ}**.
{وَأَيَّدَهُمُ رُوحٌ مِّنْهُ}، وقيل: ربنا وصف القرآن بأنه روح، كما قال تعالى:
{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}.

أي أيدهم بالقرآن، وبالإيمان، وبال دعوة، وبالعلم.
وقيل: "روح" يعني جبريل عليه السلام.

يا الله! ده معنى خطير!

إنك مؤيد من جبريل عليه السلام لما تتولَّى ربنا، وربنا يُؤيِّدك بملائكته، ومنهم جبريل عليه السلام.
{وَأَيَّدَهُمُ رُوحٌ مِّنْهُ} — معنى رهيب!

{وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} — مش جنة واحدة، بل جنات.
تجري من تحت قصورها ومساكنها، خالدين فيها.

أمان من الموت، من أعظم ما يُعَكِّر على الإنسان أيُّ متعه الموت.
فمجرد ما تفتكر إنك ممكن تموت، ما يبقاش في أي متعة في أي حاجة،
لأن ذكر الموت يهدم اللذات.

فلما يطمئن أهل الجنة أنهم لا يموتون، ذهب عنهم أكثر شيءٍ يُخيف أي إنسان.
عشان كده أول ما يدخلوا الجنة يقولوا:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}
{الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}.

ثم قال بعد ذلك — الجائزة الكبرى —:

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}، وهذه أعظم جائزة.

وقد ورد في الحديث:

أن الله يطلع على أهل الجنة فيقول:

«يا أهل الجنة، هل تريدون شيئًا أزيدكم؟»

فيقولون: "يا رب، أيُّ شيءٍ نريد وقد أدخلتنا الجنة وكذا وكذا؟"

فيقول الله لهم:

(اليوم أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم أبدًا).

يا رب، ارضَ عَنَّا يا رب،

يا رب، ارضَ عَنَّا يا رب،

يا رب، ارضَ عَنَّا يا رب.
فَتَبَيَّنَ أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَرَوْا وَجْهَهُ الْكَرِيمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
لِذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا:

{وَرَضَوَانُ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

فهنيئاً لمن رضي الله عنه ورضوا عنه، لأنهم رضوا عنه فرضي عنهم،
والجزاء من جنس العمل — قاعدة عظيمة — الجزاء من جنس العمل.
{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}
وُخِذَ بَقِيَّ قَاعِدَةٍ جَمِيلَةٍ هُنَا:

احنا قلنا الجزاء من جنس العمل: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}**
خُذْ بَقِيَّ قَاعِدَةٍ تَانِيَةٍ تَسْتَفِيدُ بِهَا فِي آخِرِ اللَّقَاءِ، بِتَقْوَلُ:
"مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ، عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ."

هنا ربنا ذكر الرضا؛ لأنه قبلها ذكر إنهم أسخطوا آباءهم وأبنائهم في سبيل الله،
فخسروا رضا الناس عنهم عشان يرضوا ربنا، وضَحَّوا برضا الناس عنهم،
لأن رضا الناس عنهم كان يستلزم إنهم يكفروا أو يعصوا.
فقالوا: لا، مش مشكلة الناس يسخطوا علينا،
فعَوَّضهم الله بأنه نفسه رضي عنهم سبحانه وتعالى، وده أعظم رضا.
"مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ، عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ."

ومن أسخط الناس في رضا الله، رضي الله عنه، ثم أَرْضَى عنه الناس.
{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} — وصفهم الله بوصفٍ جميل، الله أكبر:
{أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ}، يا بختهم بالوصف الجميل ده.
وفي النهاية قال:

{أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

وهذه بشارة بأنهم سيفلحون في الدنيا، ويفلحون في الآخرة.
وبهذا الختام الجميل، انتهينا من هذه السورة الطيبة المباركة.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.
مهم جداً بعد كل اللي عملناه إنك تحفظ السورة كويس جداً، وتراجعها كويس جداً. واجب علينا إننا
نصلي بها، صلِّ بها قيام الليل واستمتع بسورة قَدْ سَمِعَ أو المجادلة وأنت فاهمها.
شوف الفرق دلوقتي بين قبل تدبرها ومن بعد تدبرها، شوف الفرق إنك فهمتها عشان تتحمس إننا
نكمل مع بعض الجزء كله، إن شاء الله هيكون الجزء ده من أجمل أجزاء القرآن، وأسهل أجزاء القرآن
عليك.

ربنا يساعدا نعمل كده يا رب، وربنا يوفقكم لكل خير.
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

قَدْ رَسَلَهُ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الرابعة

وانتصر الله | جلاء مريد لبني النضير

الحمدُ لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.
أما بعد، أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الرابع من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدارس جزء
"قد سمع".

بفضل الله سبحانه وتعالى انتهينا في ثلاث لقاءات من مدارس **سورة المجادلة**، وكانت لقاءات طيبة
بفضل الله، ماتعة.
إن شاء الله سبحانه وتعالى سنبدأ هذه المرة في **سورة الحشر**، وأظن أنها إن شاء الله أيضاً ستأخذ منا
ثلاثة مجالس.

**سورة الحشر سورة مدنية، سورة عظيمة، رائعة، مبهرة، مليئة بالمعاني والثمرات والتربويات
والإيمانيات، فلا نتعجل الفوائد.**

إن شاء الله ستكون رحلة راقية ممتعة مع **سورة الحشر**.

كالعادة سنأخذ قراءة للجزء الذي سنتناوله بالتدبر هذه المرة، ونستعين بالله ونطلب منه العون
والمدد أن يفتح لنا القلوب، ويعيننا، ويلهمنا رُشدنا، واجعلوا نيتكم أنه مجلسٌ علمٍ ومجلسٌ ذكرٍ، وأن
يهدينا الله بالقرآن، لا أن تكون مجرد معلومات.

خلينا نقرأ معاً بمدَّ المنفصل قراءة حفص، الجزء الذي سنتناوله اليوم، مع نية أن نحفظ الآيات التي
سنتدبرها.

الآيات:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
فَأَتَتْهُمْ أَلَلُّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغُلَاءَ لَعَذَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ
أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)}

هذه الآيات الكريمة التي افتتحت بها هذه السورة الطيبة المباركة، سورة الحشر.

وسورة الحشر، هي سورة مدنية بالاتفاق، وموضوعها الأساسي يتكلم عن غزوة بني النضير،
وسنشرح هذا الموضوع باستفاضة.

لذلك كان ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه يقول: سورة الحشر هي سورة بني النضير.

أي أن من أسمائها عند الصحابة "سورة بني النضير"، لأنهم كانوا أحياناً يسمون السور بأشهر موضوع فيها.

فسورة الحشر تُسمى أيضاً سورة بني النضير.

طيب، ما موضوع السورة؟

في أولها تتحدث عن أحداث متعلقة بغزوة بني النضير، وسنشرحها بعد قليل.

الموضوع الأول إذن هو أحداث غزوة بني النضير، التي كانت بين النبي ﷺ ويهود بني النضير، وما الذي حدث في تلك الغزوة، وما سببها، وما ترتب عليها بعد ذلك من الفيء.

وهذا هو **الموضوع الثاني** الذي تناولته السورة، وهو ما ترتب على الغزوة من الأموال والغنائم التي عادت منها، وهو ما يُسمى بـ"الفيء".

وتحدث الله سبحانه وتعالى بعدها عن أحكام الفيء من قوله تعالى:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ}

ثم قال سبحانه:

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}

ثم جاءت الآيات عن فضل المهاجرين وفضل الأنصار:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}

ومن قوله تعالى:

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}

ثم تكلمت عن فضل من جاء بعدهم وكان تابعا لهم، فقال تعالى:

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}

أي: الذين كانوا على هديهم وسلامة صدور المؤمنين تجاه الصحابة.

وسنتكلم عن هذا الموضوع باستفاضة في اللقاء القادم بإذن الله تعالى.

ثم تكلمت عن **موقف المنافقين**؛ لأنَّ المنافقين كان لهم تعلقٌ بغزوة بني النضير، لأنَّ عبدَ الله بن أبي بن سلول هو الذي جعل اليهود يثبتون في أول الأمر ولا يستسلمون، وأغراهم بأنَّه سيبعث إليهم

مدداً من أربعة آلاف رجل من الناس الموالين له والتابعين له.

وكذلك أغراهم بأنَّه سيجلب لهم غطفان وبالحل لهم في الموضوع جدّاً، وفي النهاية لم يفعل شيئاً.

وقال المنافقين لهم: **{لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا}**، ثم لم يلتزم بأيّ شيءٍ

مما وعدهم به، وترك اليهود ومصيرهم مع النبي ﷺ.

فربنا بعد ذلك في الآيات **شبهه المنافقين بالشیطان**؛ لأنَّ الشيطان يعد الإنسان ويُمْنِيه، ثم في اللحظة

الأخيرة يتخلّى عنه، كما قال تعالى:

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)}

ثم خُتِمت الآيات بخاتمة السورة بمواعظ من الله سبحانه وتعالى أن يتقي الناس ربَّهم، وينظروا ماذا

أعدوا لقاء الله سبحانه وتعالى، وتحدثت عن أصحاب الجنة وأصحاب النار، ثم عن اتباع القرآن

والعمل به وأثره في القلوب، ثم خُتِمت بالثناء على الله سبحانه وتعالى:

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22)}

إلى آخر السورة.

فهذا هو مجمل الموضوعات التي دارت حولها هذه السورة الطيبة المباركة.

نرجع الآن إلى الموضوع الأول، لنعرف معنى غزوة بني النضير.

وطبعًا من حضر معنا **السيرة النبوية** سيستوعب هذا الموضوع بسهولة جدًّا، وأنصحكم أن تستمعوا إلى شرح السيرة النبوية المباركة الذي قدَّمناه؛ لأن من حضر معنا السيرة سيكون مستمتعًا وفاهمًا لكثير من هذا الكلام، وهذه السورة ستجدد فينا بعض المعاني من عبق السيرة، فستكون ممتعة لذلك السبب.

طيب، لمن لا يعرف السيرة، ما هي غزوة بني النضير؟

تعال أشرح لك:

أولًا، المدينة كان فيها ثلاث طوائف من اليهود يعيشون مع العرب منذ زمن، وكونهم يعيشون مع العرب في المدينة فيه دلالة، وهي أن اليهود كانوا يعلمون من كتبهم أن هذه المدينة مهاجر نبي آخر الزمان، فكانوا يقيمون فيها انتظارًا لهذا النبي.

سبحان الله!

ولهذا السبب عاشوا في المدينة، وكانوا دائمًا يحدثون العرب عن نبي آخر الزمان، وإذا حصلت خصومة بينهم وبين العرب، كانوا يستفتحون على الذين كفروا، أي يقولون لهم: "سيأتي نبي وسينتصر عليكم"، لأن كتبهم أخبرتهم أن هذا النبي سينتصر على العرب، كما حدث في بدر وغيرها. لكنهم كانوا يظنون أنه سيكون منهم، من بني إسرائيل، فلما تبين لهم أنه من بني إسماعيل كفروا به، كما قال الله تعالى:

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)} (البقرة)

فالمهم أن المدينة كان يسكنها ثلاث طوائف من اليهود:

بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

هؤلاء ثلاث طوائف، ولم يكن بينهم اتفاق قوي، بل كانت كل طائفة تعيش في أطراف المدينة عادة، لا في وسطها.

بنو النضير كانوا يرون أنفسهم أفضل الطوائف الثلاث، لأنهم يقولون: "نحن من نسل هارون عليه

السلام" - هكذا زعموا -، ويقولون أيضًا إنهم من الطوائف اليهودية التي لم يصبها الجلاء قط.

فاليهود تعرضوا لأزمات وابتلاءات كثيرة في التاريخ، فسلط الله عليهم بُخْتَنْصَر في زمن من

الأزمات، فأجلاهم عن فلسطين إلى العراق، وحدث ما يُعرف بـ"الأسر البابلي".

ثم في سنة 71 ميلادية سلط الله عليهم الرومان، فطردوهم مرة أخرى من بيت المقدس، وحدث

جلاء آخر، ولم يرجعوا إليه إلا سنة 1948 للأسف، حين دخلوا فلسطين، ومنذ ذلك الوقت استقروا

فيها.

فكان بنو النضير يزعمون أنهم لم يشهدوا تلك الابتلاءات، ولذلك كانوا يعدُّون أنفسهم أشرف اليهود

الثلاثة.

إذا، بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث كان لها موقفٌ خاصٌ ومصيرٌ مختلف مع النبي ﷺ.

فعندما قدّم النبي ﷺ إلى المدينة، عقد مع هذه الطوائف معاهدة، تنص على أن يكونوا مسالمين، فلا يعتدوا على المسلمين، ولا على امرأة مسلمة، ولا يخونوا العهد، ولا يُعينوا الكفار على المسلمين. كانت معاهدة طويلة بين النبي ﷺ وبين اليهود، وبالتالي، أيُّ طائفةٍ تخون هذه المعاهدة تستحق العقوبة.

والإمام (ولي الأمر) إذا نقضَ أحدُ أهل الكتاب عهده، فهو مُخَيَّرٌ فيهم بين أربعة خيارات: العفو، أو الأسر، أو الطرد (الجلاء)، أو القتل.

يعمل فيهم حاجة من الأربعة دول. ممكن يعفو، وممكن يقتل، وممكن يأسر يخليهم سبياً يعني، وممكن يطردهم من البلد. بنو قينقاع حصل منهم قصة مشهورة، حيث دخلت امرأة من المسلمين تشتري من صائغ يهودي حاجات، فاليهود عملوا حركة كده في ثيابها، فلما قامت، انكشفت عورتها، فقام رجل من المسلمين فقتل اليهودي، فقام اليهود فقتلوا المسلم، فالنبي عليه الصلاة والسلام اعتبر ده خيانة للعهد، وأجلى بنو قينقاع من المدينة.

بنو قريظة دول كانوا بعد كده آخر ناس حصل معهم مشكلة بعد أو في غزوة الأحزاب، معلوم أنهم تعاونوا مع قريش وغطفان على غزو المدينة، وكانوا متواطئين معهم، وكانوا متفقين معهم أنهم يخونوا النبي عليه الصلاة والسلام، فعرف النبي عليه الصلاة والسلام كده، فأسرهم في البداية، وبعد كده قتل جميع رجال بني قريظة.

بنو النضير بقى إيه اللي حصل معهم؟ بنو النضير حصل منهم غدر وخيانة للنبي عليه الصلاة والسلام ترتب عليها الجلاء، كما سيأتي. {وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا}، إيه هو بقى اللي حصل من بني النضير؟

هنا غزوة بني النضير، في خلاف في سبب الغزوة، إيه سبب الخلاف؟ إن فيه روايتين، بس كل رواية يعني عايزين نركّز فيها. الرواية الأشهر، وهي أن اليهود حاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام. إزاي حاولوا يقتلوه بقى؟ تعالَ أحكي لك، الموضوع بيرجع بنا لغزوة أحد، بعد غزوة أحد العرب تجرّؤوا على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى الصحابة، وطبعاً حصل ما حصل في غزوة أحد، فده أضعف المسلمين قوي، فبدأ الناس يتجرّؤوا على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى الصحابة. كان في حادثة كده اسمها حادثة بئر معونة. بئر معونة دول ناس جم للنبي عليه الصلاة والسلام قالوا له إن إحنا عايزين نسلم وكده، فابعث معنا ناس يعلمونا الإسلام، فبعث معهم سبعين صحابياً، فغدروا بهم وقتلوه، وكانت حاجة صعبة جداً.

كان في واحد من الصحابة اللي راحوا اسمه عمرو بن أمية، ده نجا من القتل، عمرو بن أمية الضمري، وهو راجع من حادثة بئر معونة عشان يخبر النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الموضوع، نام تحت شجرة في الطريق، فأتى اثنين من المشركين من بني كلاب ناموا تحت الشجرة دي أو ناموا قريب منه، فهو ظنّ عمرو بن أمية إن دول من الناس اللي قتلوا، فراح قتلهم وهم نايمين.

لما رجع للنبي عليه الصلاة والسلام اتعرّف بقى إن دول ما كانوا من الناس اللي اعتدوا على المسلمين في بئر معونة، ولكن كانوا من ناس بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام عهد وأمان،

فطبعًا ده حصل قتل بقى خلاص، فدلوقتي إيه الحل: الحل يدفعوا دية، النبي عليه الصلاة والسلام هيدفع الدية للاتنين اللي ماتوا دول.

طيب، إيه علاقة ده برضو بغزوة بني النضير؟ العلاقة إن في المعاهدة اللي النبي عليه الصلاة والسلام عاهد اليهود فيها في المدينة لما قدم للمدينة، إن إحنا نتعاون إذا حصل ديات، سواء عندنا أو ديات عندكم نتعاون في دفع الديات دي، وعلى أساس الاتفاق دوت النبي عليه الصلاة والسلام لما حصل إن عمرو بن أمية الضمري قتل الاتنين دول من بني كلاب، النبي عليه الصلاة والسلام راح لبني النضير في ديارهم، وطلب منهم الإعانة على الدية.

فاللي حصل إيه بقى؟ إن اليهود لما وصل النبي عليه الصلاة والسلام، طبعًا قالوا له: اتفضل يا أبا القاسم اجلس هنا حتى نقضي لك حاجتك، تمام، فجلس إلى جنب جدار، النبي عليه الصلاة والسلام قعد كده سند ظهره على جدار مبنى، في بيت من بيوتهم، منتظر بقى إنهم يشوفوا ويجيبوا الفلوس أو يساعده في موضوع الديات بالإبل أو كده، خلاص، وكان معه أبو بكر وعمر وبعض الصحابة. اليهود بقى راحوا وخلوا بأنفسهم، وبدأوا — سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ — إنهم يعملوا اتفاق علشان يقتلوا النبي عليه الصلاة والسلام، قالوا: دي فرصة ذهبية، وقاعد تحت الجدار، نجيب واحد يرمي حجر بس من فوق على رأسه فيقتله، فقالوا: أيكم يأخذ هذا الرحي؟ حجر ضخمة ويصعد فيلقيه على رأسه فيشدخه بها.

فقال عمرو بن جُحاش: أنا. فقال سلام بن مشكم — وكان هذا حبرًا من أحبار اليهود وفاهم كويس — قال: لا تفعلوا، لا تفعلوا، فوالله ليُخْبِرَنَّ بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينهم، ولكنهم للأسف عزموا على تنفيذ الخطة، وفعلاً رايحين ينفذوها، زي ما سلام قال، جه جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام وأخبره بما حصل من اليهود، فالنبي عليه الصلاة والسلام قام مسرعًا وطلع من بني النضير، وطلع وراه أصحابه، والنبي عليه الصلاة والسلام بعدها حاصر بنو النضير، وبعث إليهم أولًا محمد بن مسلمة:

«لا تُسَاكِنُونِي فِي الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَجَلَّتْكُمْ عَشْرًا، فَمَنْ وُجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرْبَتْ عُنُقُهُ».

وبعد كده القصة هتكمل إن اليهود في الأول كانوا هيستسلموا للنبي عليه الصلاة والسلام، جه عبد الله بن أبي بن سلول، وبعث لهم إن هو هيجيب لهم أربعة آلاف مقاتل، وهيجيب غطفان، وهيجيب أحلاف له، وهيقااتل معاهم، ومش هيسمح إنهم يتأذوا، فثبَّتُوا، وعزموا على القتال في أول الأمر. فالنبي عليه الصلاة والسلام حاصرهم، وبدأ بقى المسلمون يُخَرَّبُونَ في الجدران بتاعة الحصون عشان يخشوا لبني النضير، وبعد كده هيحصل حاجة عجيبة، إن ربنا يُلقِي في قلوبهم الرعب، ويستسلموا في الآخر للنبي عليه الصلاة والسلام، والنبي عليه الصلاة والسلام يُجْلِيهِمْ وَيُطْرِدُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ.

فسبحان الله! فالنبي عليه الصلاة والسلام لما علم إنهم في الأول كانوا عايزين يقاتلوا، بعد ما عبد الله بن أبي بن سلول ثبَّتَهُمْ، نهض وعزم على القتال، وخد علي بن أبي طالب وكان معه اللواء، وبنو النضير احتموا في الحصون في أول الأمر، فأقاموا عليها، وكانوا بيرموا المسلمين بالنبل والحجارة. وكانت البساتين والنخل بيساعدوهم على كده، النخل كان كبير، وكانوا بيستتروا بالنخل ويرموا من وراه الحجارة على المسلمين، فالمسلمون احتاجوا إنهم يحرقوا بعض النخل ده، وهنشوف الموضوع ده في قوله تعالى:

{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)}

فَحَرَّقُوا بَعْضَ النَّخْلِ دِهْ عَشَان يَغِيظُوا الْيَهُودَ، وَعَلْشَان كَانَ هَذَا يَعْوَقُهُمْ عَنْ قِتَالِ الْيَهُودِ. طَبْعًا بَنُو النَّضِيرِ، الْمُنَافِقِينَ غَدَرُوا بِهِمْ، وَبَنُو قَرِيظَةَ مَا تَعَاوَنُوا مَعَهُمْ أَصْلًا، وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إْحْنَا مَلْنَاش دَعْوَةَ بَنِي النَّضِيرِ.

النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ كَدِّهِ حَاصِرِ بَنِي النَّضِيرِ سِتْ لَيَالٍ، وَقِيلَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، يَعْنِي فِي قَوْلَيْنِ: إِنْهُمْ سِتْ لَيَالٍ، وَقِيلَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

لَمَّا لَقُوا إِنْ مَا فِيش حَدِّ مَعَهُمْ فِي النِّهَايَةِ، وَلَمْ يَأْتِ الْمُنَافِقِينَ، وَلَا الْأَحْلَافَ، وَلَا غُطْفَانَ، وَلَا بَنُو قَرِيظَةَ نَصَرُوهُمْ، أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَفِي الْآخِرِ اسْتَسْلَمُوا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَالْنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ إِنْ يَحْمِلُوا نِسَاءَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ، وَأَذْنُ لَهُمْ إِنْهُمْ يَطْلَعُوا عَلَى سِتْمَائَةِ بَعِيرٍ بَسْ، فَكَانَ كُلُّ ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ يَتَبَادَلُونَ بَعِيرًا وَاحِدًا، ثَلَاثَةُ بَيْوتَ بِالنِّسَاءِ بِالرِّجَالِ بَعِيرٍ وَاحِدٍ بَسْ، يَحْطُّوا عَلَيْهِ يَدُوبَكَ رَحْلِ الرَّكَّابِ، وَمَا يَحْمِلُوشْ شَيْءٌ مِنَ السِّلَاحِ، لَوْ طَلَعَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّلَاحِ يُقْتَلُ.

بَدَأُوا يَشِيلُوا مَعَهُمْ بِسِ الْحَاجَاتِ الَّتِي يَعْيشُوا بِهَا، وَطَرَدَهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. طَرَدَهُمْ فِينْ؟ طَرَدَهُمْ إِلَى الشَّامِ، طَرَدَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ، فَأَخَذُوا الْمَسَافَةَ دِي كُلِّهَا مِائَاتِ الْكِيلُومِتْرَاتِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ أَوْ بَيَسْمُوهَا "أَزْرَعَاتِ الشَّامِ"، وَدِهْ الَّتِي هَنْتَكَلِمُ عَنْهُ دِلُوقْتِي.

تَمَامٌ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طَبْعًا خَدَّ أَرْضَ بَنِي النَّضِيرِ كُلِّهَا، وَخَدَّ سِلَاحَ بَنِي النَّضِيرِ كُلَّهُ بَدُونِ قِتَالٍ، لِأَنَّهُ أَصْلًا مَا حَصَلْشْ قِتَالٌ، وَكَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ هِيَ دِي الْفِيءِ الَّذِي عَادَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْغَزْوَةِ دِي بَدُونِ قِتَالٍ طَبْعًا، وَخَدُّوا كُلَّ سِلَاحَ بَنِي النَّضِيرِ.

وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ كَدِّهِ هَنْشُوفَ عَمَلٍ إِيَّاهُ بِهَذَا الْفِيءِ. يَبْقَى هَذَا هُوَ الْإِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ أَوْ السَّبَبُ الْأَشْهَرُ فِي غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ.

فِي سَبَبٍ تَانِي يُرَوَّى فِي سَبَبِ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ.

طَبْعًا إْحْنَا لَوْ قُلْنَا بِالسَّبَبِ الْأَوَّلِ، الْأَوَّلُ قَبْلَ مَا نَكْمَلُ، السَّبَبُ الْأَوَّلُ دِهْ كَانَ بَعْدَ بَثْرٍ مَعُونَةٍ، بَثْرٍ مَعُونَةٍ دِي كَانَتْ سَنَةً كَامٌ؟ دِي كَانَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدٍ.

غَزْوَةُ أَحَدٍ كَانَتْ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، بَثْرٍ مَعُونَةٍ كَانَتْ بَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ غَزْوَةِ أَحَدٍ، كَانَتْ فِي صَفْرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَلَوْ قُلْنَا إِنْ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ بَثْرٍ مَعُونَةٍ، يَبْقَى بَنِي النَّضِيرِ كَانَتْ فِي أَوَائِلِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ.

السَّبَبُ التَّانِي بَيَقُولُ لَنَا إِيَّاهُ؟ بَيَقُولُ لَنَا: لَا، إِنْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ دِي حَصَلَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ.

دِهْ قَوْلُ تَانِي، قَوْلُ تَانِي إِنْهَا حَصَلَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، بِسَبَبِ إِيَّاهُ؟ بِسَبَبِ مَكَاتِبَةٍ حَصَلَتْ بَيْنَ قَرِيْشٍ وَبَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ.

قَرِيْشٌ بَعَثَتْ لِبَنِي النَّضِيرِ قَالَتْ لَهُمْ: إِنْكُمْ أَهْلُ الْحَلَقَةِ وَالْحَصُونِ، أَنْتُمْ مَعَكُمْ السِّلَاحُ، وَإِنْكُمْ لَتَقَاتِلُنَّ صَاحِبِنَا أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ.

الْيَهُودُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمُ الْكِتَابُ قَالُوا إِيَّاهُ؟ قَالُوا: إْحْنَا لَازِمٌ يَعْنِي نَقَاتِلُ هَذَا الرَّجُلَ عَلْشَانَ قَرِيْشٍ مَا تَهْجَمُشْ عَلَيْنَا، وَإْحْنَا خَايِفِينَ مِنَ الدَّوَائِرِ وَإِلَى ذَلِكَ.

فعملوا خدعة، بعثوا للنبي عليه الصلاة والسلام كأنهم عايزين يتعرفوا على الإسلام، قالوا له: ابعث ثلاثين رجلاً من أصحابك وتعال معهم، وإحنا نطلع ثلاثين من اليهود، ويحصل بينكم مناظرة، لو اقتنعوا هنخش في الإسلام.

بعد كدا راجعوا أنفسهم، فكروا، قالوا ليه نقول ثلاثين؟ ثلاثين كتير أوي، ثلاثين ده من أصحابه، ممكن ينصروه، ومش هنعرف نغدر بثلاثين واحد، فقالوا له: لا، ابعث لنا ثلاثة بس، تعال ومعك ثلاثة من أصحابك، وهنطلع لك ثلاثة من أحبار اليهود، ويحصل ما بينكم مناظرة. لو الصحابة وأنت اقنعتوا اليهود بالإسلام كلنا هنخش الإسلام. فالنبي ﷺ اعتبر دي فرصة كويسة لعلمهم يقتنعوا بالإسلام، وبالفعل أراد أن هو يتم هذا الموضوع.

كان في امرأة من بني النضير، سبحان الله، كان ابن أخيها أسلم، فارسلت إليه وأخبرته بما يمكن به اليهود، المرأة دي هي اللي أخبرت هذا المسلم بما يخطط له اليهود وما يريدون أن يفعلوه، وهذا الرجل أخبر النبي ﷺ، فالنبي ﷺ جمع الصحابة وحاصر بني النضير وقال: "إِنَّكُمْ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ"

فأبوا أن يعطوه عهداً، فقرر النبي ﷺ الحصار وبدأ الحصار، وبعد كده استمرت القصة كما سيأتي. يبقى ده الاحتمال الثاني لسبب غزوة بني النضير. بغض النظر عن الاحتمال، وإن كان الاحتمال الأول يعني أشهر كما بيّنا. لكن لو قلنا بهذا الاحتمال يبقى هنا يقولوا إن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر.

لو قلنا بدر في رمضان سنة اثنين من الهجرة، يبقى غزوة بني النضير كانت في ربيع الثاني من سنة ثلاثة من الهجرة. يبقى على القول الثاني إنها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة، وعلى القول الأول هي في السنة الرابعة من الهجرة.

الآن نحن فهمنا سبب السورة ومواضيعها وغزوة بني النضير، عشان التفاصيل دي بقى تأتي في القرآن بشكل مختلف.

شوف أنا حكيت لك الغزوة إزاي: أحداث وحصار وأيام وما إلى ذلك، طريقة القرآن في عرض الغزوات مختلفة تماماً عن طريقة السيرة.

القرآن لما بيحيي يعرض غزوة، بيعرضها من منظور القلوب، من منظور الثمرات والإيمانيات، وكأن السيرة تنظر إلى الأجساد والأحداث: "تحكي لك بقى الغزوة، وكانوا كام واحد، واتجمعوا إزاي، وحصل إيه، والأسلحة..."

القرآن ينزل في مستوى ثاني خالص، تلاقيه نازل زي الأشعة تحت الحمراء كده، يجيب لك مشهد أنت مش بتشوفه:

مشهد القلوب، مشهد الأحوال، مشهد الصدق، مشهد الرعب، ويكلمك على حاجة تانية، على صفات الله، وإزاي الغزوة دي تعرفك بالله سبحانه وتعالى، وتقول لك الواجب عليك تعمل إيه، تربطك بمعانٍ إيمانية.

طريقة غريبة في القرآن. تلاقي الموضوع ده في آل عمران في الكلام على غزوة أحد، وتلاقيه في الأنفال لما ربنا يتكلم على غزوة بدر، وتلاقيه هنا.

بس أول السورة بداية عجيبة:

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)}

عجب والله!

بُصَّ البداية أصلاً مبهرة جداً، أول حاجة سَبَّحَ لله، ما هو التسبيح؟
التسبيح هو تنزيه الله سبحانه وتعالى، تنزيه الله عن كل نقص وعيب.

ف"سبحان الله" يعني: أنزه الله عن كل نقص وعيب.

{سَبَّحَ لِلَّهِ} وده مناسب لغزوة بني النضير، فإن من كمال الله تعالى أنه لا يمكن أن يترك اليهود
يمكرون بالنبي ﷺ ولا ينتقم منهم، فهو منزّه عن ذلك سبحانه وتعالى، ألا ينتقم لنبيه ﷺ إذا غدر به
اليهود ومكروا به، فهذا من كمال الله تعالى.

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

يعني كل خلق الله يسبحوه، كل خلق الله يذكرونه. وكأن فيها رسالة للمكلفين: إذا كان هذا حال
جميع المخلوقات، وهم مش هيتحاسبوا يوم القيامة، وهم يوم القيامة ما فيش جنة ولا نار، فأنت
أيها المكلف أولى بذلك، أولى بهذا التسبيح وهذا الفضل.

فدائماً يكون على لسانك: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله.

نزه ربك عن كل نقص وعيب.

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)}

الله! أهم اسمين.

ودائماً في ارتباط بين الأسماء وبين موضوع السورة أو بين الأحداث والسياق.

العزیز، العزيز معناه إيه؟

قالوا: العزيز الذي لا يُغَالَب. وده أقوى من إنك تقول "لا يُغَلَب"، لأن "لا يُغَلَب" يعني ممكن حد
يحاول بس مش هيغلبه، لكن "لا يُغَالَب" يعني مفيش حد أصلاً بيحاول.

فتلاقي الآيات بتقول لك إن الله هو العزيز يعني لا يُغَالَب، وهذا الاسم من أظهر أسماء الله في
الأحداث، فإن اليهود ربنا سبحانه وتعالى غلبهم بالرعب، وما حدش فيهم قدر يعمل حاجة، فالله
سبحانه وتعالى ظهرت عزته وقوته وغلبته وقدرته على خلقه سبحانه وتعالى.

وأما الحكيم، فلأن ما حصل من طرد اليهود هو لأنهم استحقوا ذلك، أن الله تعالى لم يظلمهم، فهو
حكيم سبحانه وتعالى فيما حصل لليهود، فلا يُقال مثلاً: "كان ممكن، أو كان الأحسن، أو الأفضل..."؟
لا، لا تقترح على الله، فإن الله هو الحكيم، طالما قضى الله ذلك فهذا هو الصح، وهذا هو الأنسب،
وهذه هي الحكمة.

هم ما اتظلموش، هم اللي ظلموا أنفسهم.

تمام، والسورة على فكرة اختتمت بالاسمين دول:

{هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ (24)}

وده بيسموه حُسن مناسبة، يعني إيه؟ مناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة السورة:

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)}

ثم قال تعالى: "هُوَ" — بصوا التفخيم والتعظيم — {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}.

انظر إلى العظمة! رغم أن المسلمين حاصروا وأخذوا بالأسباب، ربنا نسب لنفسه ذلك. دي تربية. قال تعالى: {وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}.

لا تنس أن الله هو الذي يُدبر الأمر، مهما عملت وسعيت وقلت: أنا بمجهودي وبتعبي وبشقايا، فهو سبحانه: "هُوَ الَّذِي"، فلا تنس. فربنا كان ممكن يمنع عنك النتيجة رغم وفرة الأسباب، فدايمًا انسب الفضل لله، وده بيديك أكثر، ويخليك أحسن، ويستجلب لك المزيد من العون والتوفيق. أما إذا ركنت إلى نفسك فلن تجد إلا الخذلان.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، وفعلًا ربنا هو اللي أخرجهم، ولم تحصل منهم مقاومة أصلاً للمؤمنين، بل دمروا بيوتهم بأيديهم.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا} — مين؟ — الذين كفروا.

وهنا وقفة سريعة: هذا دليل على كفر اليهود فضلًا عن كفر النصارى، الذين ذكر فيهم آيات في سورة المائدة:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}،

{وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}.

ردُّ سريع على الخطاب العجيب اللي بنسمعه في الأيام دي إن ناس بتقول إن النصارى مؤمنون وزينا، ويطرحوا عليهم إذا ماتوا! حاجة عجب والله!

اليهود والنصارى كفار بنص القرآن، وإذا ماتوا على ذلك فهم مخلصون في النار، ولا يجوز الترحم على من مات على الكفر.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}، والمقصودون هنا اليهود، {مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}.

طب ليه أخرجهم؟ لأنهم نقضوا العهد مع النبي ﷺ، والنبي ﷺ من الاختيارات الأربعة اللي قلناها اختار لهم الإجماع والإخراج.

{مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}.

ما معنى لِأَوَّلِ الْحَشْرِ؟

"أول الحشر" تحتل معنيين:

المعنى الأول مكاني، والمعنى الثاني زمني.

المعنى المكاني:

"أول الحشر" المقصود بها المكان. هم لما النبي ﷺ أجلاهم طلعوا من المدينة، راحوا فين؟

راحوا أذرعات الشام — يعني بداية الشام.

ومعلوم أنه في آخر الزمان، من علامات الساعة الكبرى:

"نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى الشَّامِ".

النار تطلع من كل حة وتبدأ تحاصر الناس لدرجة إن الناس تضطر تنزح حتى يتجمعوا كلهم في الشام، لأن الشام في آخر الزمان هي أرض المحشر، والساعة تقوم على هذه الحالة.

ففي الآخر الناس ستحشر إلى الشام، وهم دلو قتي اليهود لما طلّعوا من المدينة راحوا أول الشام، فده أول الحشر.

يعني أول الحشر باعتبار إن دي أرض المحشر في آخر الزمان، فالكلام هنا على المكان.
المعنى الزماني:

كلمة "أول الحشر" المقصود بها الزمان.

يعني هذا أول حشر لليهود، لأن هناك حشرًا آخر في آخر الزمان.

وقيل: أول الحشر من هؤلاء اليهود الذين طردوا، وبعد كده هيحصل لغيرهم من اليهود صراعات مع النبي ﷺ.

وفي قول ثالث مرتبط بالزمان أيضًا:

إن جزءًا من بني النضير لما طلّعوا من المدينة ما راحوش الشام، راحوا خيبر وسكنوا فيها.

بعضهم راح الشام، وبعضهم راح خيبر وسكن فيها.

لما النبي ﷺ فتح خيبر أبقاها فيها، واتفق معهم على أن: "نُقِرَّكُمْ فِيهَا مَا شِئْنَا" — يعني تفضلوا في خيبر إلى أن نريد.

واستمر الأمر ده إلى زمان عمر رضي الله عنه وأرضاه، فرأى أن يجلبهم من خيبر إلى الشام، فيعتبر

انتقال الجزء ده إلى خيبر هو الحشر الأول، لأن لهم حشرًا ثانيًا في زمن عمر إلى الشام.

فده أحد الأقوال أن أول الحشر هو خيبر، لأن جزءًا منهم راح خيبر، وبعد كده الحشر الثاني كان إلى الشام.

فهذه الأقوال التي بيّنت معنى "أول الحشر": قول ربطه بالمكان، وقول ربطه بالزمان.

ثم قال تعالى: {مِنْ دِينِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا}.

سبحان الله! {ما ظننتم أن يخرجوا} — حاجة عجيبة والله!

حتى من عجب اللي حصل في بني النضير إن الصحابة أنفسهم من قوة بني النضير وقوة أسلحتهم ظنوا إنهم مش هيخرجوا، وإنهم سيقاقلوا قتالًا مريًا، لما يعلمون من بأس اليهود وكثرة الأسلحة اللي عندهم.

لكن سبحان الله، حتى الصحابة أنفسهم تعجبوا: إزاي استسلموا؟ كيف استسلموا بهذه السهولة؟

كان يمكن يقاتلوا مدة طويلة، وكان عندهم حصون هائلة.

تحميهم وتمنعهم من هجوم المسلمين، سبحان الله يعني.

{مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا}، وهم أنفسهم {وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ}.

بص حتى اللفظ نفسه، يعني تحس أن هو: مين ده اللي يقدر يمتنع من الله سبحانه وتعالى؟

لكن هم ظنوا كده من قوة الحصون، وهذا يدل على قوة الحصون.

ظنوا أن الحصون دي تمنعهم ولو من الله، عشان كده بص حصل هنا تقديم في الآية دي، بيقول لك

إن المفروض الكلام يكون: "وَوَظَّنُوا أَنَّ الْحَصُونَ تَمْنَعُهُمْ مِنَ اللَّهِ"،

لأ، بص: {وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ}، فقدم الخبر على المبتدأ.

قال لك هنا: تقديم الخبر على المبتدأ لبيان شدة الثقة في قدرة الحصون على المنع، لذلك قدّم المنع:

{وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ} دلّ على شدة ثقة هؤلاء في أن حصونهم ستمنعهم

وتحميهم.

وهذا فيه معنى ثانٍ، أن ده يدل على قوة الله وقدرته عليهم، فرغم قوة هذه الحصون تسلل الرعب ووصل إلى قلوبهم وانتصر الله سبحانه وتعالى.

{وَضَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ}.

بص بقى الآية الصدمة اللي حصلت، قال تعالى:

{فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}، سبحان الله!

انت بقى عامل حصون ومحضّر، وعامل حساب الجدران، وعامل حسابات مادية، والأسلحة ورمي الحجارة والكلام ده، فإذا بالله يأتيهم من حيث لم يحتسبوا.

جندي لا يحتاج إلى طرق الأبواب، جندي يخترق القلوب مباشرة، جندي لو تمكّن من القلب فلن ينفعك البدن، وهو "الرعب".

عجيب والله! "رعب"،

قال تعالى: **{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا}.**

جندي من جنود الله، مهما كانت قوتك، لو ربنا ألقى في قلبك رعب خلاص، تاخذ قرارات غلط، تبقى عايز تفرّ، تبقى مش عارف تقدّر قوتك، ومش عارف تتعامل مع خصمك.

مثل ما حدث فيهم، وده بنشوفه.

يقول لك مثلاً دائماً: المعركة معركة "قلب"، ممكن الواحد الضعيف ينتصر على القوي بقلبه، بسبب أن ده قلبه ثابت والثاني قلبه ضعيف.

فإحنا بنشوف ربنا إزاي إلى الآن يُلقى في قلوب اليهود الرعب من المقاومة.

ممكن تلاقي طفل صغير معه حجارة بيجري وراء جندي يهودي مدجج بالأسلحة، صح؟!

ممكن تلاقي شاب ليس معه شئ يجري وراء دبابة، وهم بيجروا منه وخايفين جداً!

ليه؟ سبحان الله! لو الرعب نزل في القلب، خلاص، الحسابات المادية بتختفي، وتبقى عندك رغبة في الفرار والسلام.

سبحان الله يعني، فربنا بيقول:

{فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}.

وده يعلّق القلوب بالله سبحانه وتعالى، يعني فعلاً الإنسان بيشوف أحياناً الحسابات المادية بتقول حاجة، وربنا يبذلها تماماً.

فبنرجو من الله أن ينصرنا بما لا ندري ولا نحتسب، وده بيحصل كثير.

كم رأينا أن ربنا يُرسل على المشركين مصيبة كونية: حرائق، براكين، أزمت مادية طاحنة، انهيار مالي في الأسواق العالمية، أو يسلطهم على بعض.

ربنا بيصرف عنك كثير قوي حيث لا تحتسب.

{فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}، وده بيعلّق القلب بالله.

ومعنى ثاني بقى: في مشاكلك الشخصية وحياتك.

أحياناً يببقى عندنا من المشاكل والهموم والآلام ما نظن أنها لن تخرج أبداً، صح؟

أحياناً تكون متعب جداً ومش شايف حل، ومش عارف تطلع منها إزاي، فيغلب على ظنك أنها لا تُحل أبداً.

فإذا بدعوة صادقة ولجوء إلى الله صادق، يأتي الفرج من حيث لا تحتسب.
فالذي أخرج اليهود بجندي من حيث لا يحتسبون، قادر أن يعافيك ويشفيك ويُخرج همك وغمك
من صدرك من حيث لا تدري ولا تحتسب.

ولكن أين القلوب التي تحسن اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى؟
{وَضُنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ}.

معنى جميل يقول لك: "لا تغتر بقوة الأعداء"،

قال تعالى: **{لَا يَغْرَنَّكَ تَغْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}.**

ففي قمة ثقة العدو فيما عنده من أسباب، تنقلب الموازين من حيث لا يدري ولا يحتسب.

{فَأَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}.

إن الله يُملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فالعقوبة قد تتأخر، ولكن إذا أتت لا تستأذن، وسيوجد
الله لها ألف سبب، فاحذر من مكر الله سبحانه وتعالى.

{قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}.

طب لما قذف الرعب في قلوبهم، عملوا إيه؟

سبحان الله، حاجة عجيبة جدًا!

أولاً يهود بني النضير اترعبوا وهم جوه ديارهم، جوه حصونهم، والمسلمون أصلاً مش قادرين
يخترقوا الحصون.

فإذا باليهود وهم في الداخل نزل فيهم الرعب، اجتمعوا وقرروا الاستسلام بدون أي مقاومة!
حاجة عجب والله!

ليه؟ مرعوبين من المسلمين، مع أن الحسابات المادية بتقول إنهم ممكن يكونوا أقوى، لكن خلاص
استسلموا تمامًا، وذلّوا تمامًا.

بص بقى العجيب إنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ،

وقرر النبي ﷺ أن يطردهم،

وقال لهم: ما حدش يطلع إلا بحمل البعير فقط، ما فيش حد يشيل سلاحًا.

طلعوا على ستمائة بعير، لدرجة أن كل ثلاثة أبيات كانوا يتقاسمون بعيرًا واحدًا.

وهم طالعين بقي، ربنا قال:

{يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2)}

ما معنى ذلك؟

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ تحتاج إلى معنيين: معنى معنوي ومعنى مادي.

المعنى المعنوي: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ يعني بسبب نقضهم العهد مع النبي عليه الصلاة والسلام، تسبب
ذلك في خراب ديارهم.

زي ما أنا مثلاً لما أقول لك واحدة عاملة مشاكل مع جوزها، أقول لها: "إنت عايزة تخربي بيتك

بإيدك!"، أنا أقصد الخراب المعنوي.

فلاحتمال الأول أن هم خربوا بيوتهم بسبب معصيتهم لله، وبسبب نقض العهد مع النبي عليه
الصلاة والسلام.

الاحتمال الثاني: وده موجود في الروايات، أنهم خربوا بيوتهم بجد.

طب ليه خربوا بيوتهم؟ في ثلاثة احتمالات للتخريب المادي:

الاحتمال الأول: أنهم كانوا لما المسلمين يكسروا جزءًا من الحصن، كانوا هم يكسروا جزءًا من بيوتهم علشان يسدوا الجزء من الحصن اللي خربه المسلمون.

الاحتمال الثاني: أنهم لما كانوا ماشيين بيحملوا حاجاتهم على البعير، وكان في حاجات غالية عندهم في البيوت — أبواب قيمة أو حاجات ثمينة — فكانوا يكسروها من مكانها ويخلعوها ويحملوها على البعير، كأنهم مش قادرين يسيبوها.

الاحتمال الثالث: أنهم كانوا بيخربوا البيوت علشان المسلمين لما ياخدوا بيوتهم ما ينتفعوش بها، فكانوا يكسروا الأبواب والشبابيك ويهدّوا البيوت كلها حتى لا ينتفع المسلمون بها.

{يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}

طب فهمنا "بأيديهم" يعني إيه؟ طب و"أيدي المؤمنين"؟

هل المؤمنون كانوا بيخربوا بيوتهم؟

المؤمنين كانوا أصلًا خارج الحصن، بيخربوا الحصن نفسه، لكن ما خربوش البيوت.

فهنا قالوا "بأيديهم وأيدي المؤمنين" على اعتبار أن أيدي المؤمنين السبب في ذلك، لأنهم هم الذين تسببوا في إتيان المؤمنين إليهم، وبالتالي حصل الحصار، فخربوا البيوت.

عشان كده يقولوا: إن تخريب البيوت يُنسب لمن باشر ولمن تسبب.

فهم باشروا خراب بيوتهم بأيديهم، وأيضًا تسببوا فيه لأنهم من البداية جلبوا المؤمنين إليهم بسبب نقض العهود.

فكانوا السبب في البداية لتخريب البيوت، ثم باشروا ذلك بالفعل بأنفسهم. يعني هم من تسببوا في ذلك بالسببية والمباشرة.

ثم قال تعالى:

{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}

يقولون: الاعتبار مشتق من "العبور"، والعبور هو الانتقال من شيء إلى شيء، والاعتبار هو أنك ترى مشهدًا معينًا وتشاهد العاقبة التي ترتبت عليه، فتنتقل هذا المشهد إلى ما يشبهه من المشاهد، فتلحق نفسك قبل أن تصل إلى نفس النهاية والعاقبة.

وعشان كده بيسموه "اعتبار".

لذلك كثير من العلماء يستدلون بالآية دي على جواز أو مشروعية القياس في الفقه، وأن القياس من أدلة الشريعة، لأن ربنا قال:

{فَاعْتَبِرُوا} يعني قيسوا.

هو القياس عبارة عن إيه؟

عبارة عن مسألة لها علة وأخذ منها حكم.

يعني مثلاً: الخمر حرام — ده الحكم.

إيه العلة؟ الإسكار.

طيب تعالَ في حاجة اسمها المخدرات، القياس "فيها نفس العلة؟" آه، يبقى تاخذ نفس الحكم، اللي هو التحريم.

فبيسموه "القياس"، وهو قياس فرع — اللي هو المخدرات — على أصل — اللي هو الخمر — لأن العلة واحدة، وبالتالي ياخذوا نفس الحكم.

{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}

هي من أدلة أهل السنة على اعتبار القياس الفقهي.
شوف ذكاء العلماء! بيستخرجوا الأدلة على الأصول من نفس نصوص القرآن.

{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}

"الأبصار" هنا مش المقصود بيها نظر العين، لا، الأبصار هي عين القلب، اللي هي البصيرة.
فصاحب القلب السليم هو من يعتبر، لأن ربنا رزقه بصيرة يرى بها عواقب الأمور، وينظر بها إلى المآلات، ويتفكر في العواقب.
عشان كده ربنا قال:

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

وقال أيضًا:

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ}

{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}

لكن للأسف، جهل الظلمة والطغاة بالتاريخ، أو علمهم به دون نظر الاعتبار، يجعل من كل ظالم قصة مكررة، فيصنع طاغية جديدًا ونهاية جديدة للطغيان، لعل الذي يأتي بعده يعتبر.
ولكن سبحان الله! قُلْ من يعتبر بعواقب الأولين، فكلُّ واحدٍ يظنُّ أَنَّهُ الفلته الذي سيستمر ولن يُصيبه ما أصاب غيره.

وانزل هذا على نفسك.

أحيانًا نحضر جنازاتٍ رأينا فيها سوءَ خاتمة، أو نعلم عن أناسٍ ماتوا على حالٍ سيئة، ثم نخرج من الجنازة كأننا لم نرَ شيئًا! لا اعتبار، ولا اتعاض.

أين الاعتبار؟!

أنتِ رأيتِ صاحبك التي كانت تمشي في طريقٍ غير مستقيم، فبأيِّ حالٍ خُتِمَ لها؟
ورأيتِ أختَ صاحبك التي التزمت واستقامت، فإلى أين أوصلها الله؟

فأين الاعتبار؟!

لسه برضوا أنتِ ماشية في نفس طريق الأولى، وتظنين أنك ستحصلين على ختام الثانية؟!
لا، هذا وهم.

من عاش على شيءٍ مات عليه.

قال تعالى:

{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} (الحشر: 2).

ثم قال سبحانه:

{وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} (الحشر: 3).

يعني: لولا أن الله في قدره السابق كتب أن يكون حكم هؤلاء الجلاء. أي الطرد والنزوح من المدينة إلى الشام. لعذبهم في الدنيا.

فقيل: المقصود بالعذاب هنا القتل والسبي، لأنّ الجلاء نفسه عذاب، ولكن القتل والسبي أشدّ منه. تأمل حال النزوح!

أن تخرج متاعك، وتأخذ النساء وكبار السن، وتمشي مسافات طويلة، تحمل بيتك على كتفك، وربما على بعير أو وسيلة نقل متهاكة.

النزوح عذاب لا يعرف مرارته إلا من ذاقه.

اللهم فرج همّ إخواننا يا رب،

اللهم فرج همّ إخواننا يا رب،

اللهم فرج همّ إخواننا يا رب،

وانتقم ممن كان سبباً في نزوحهم يا رب.

فالشاهد أن الله تعالى يقول: **{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ}** أي لولا أن كتب عليهم هذا العذاب، لعذبهم بما هو أشدّ: القتل والسبي، كما حدث في بني قريظة.

كان يحصل فيهم كذا لولا أن الله قدر أنه سيكتفي بالجلاء، ولهم في الآخرة عذاب النار، وهو الوعيد الذي ينتظرهم في الآخرة.

ثم بيّن السبب فقال تعالى:

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (الحشر: 4).

كلمة شاقوا أي خالفوا، كما شرحنا في سورة المجادلة: **حَادَّ اللَّهُ أَي صَارَ فِي حَدٍّ، وَدِينَ اللَّهُ فِي حَدٍّ** آخر.

فكذلك شاقّ الله ورسوله أي جعل نفسه في شقّ مقابل لشقّ طاعة الله.

القرآن بينقلك من مشهد لقاعدة، من مشهد متعلق بحاله إلى قاعدة عامة تعمم على الجميع وكأنه يقول لك اعتبر

فلا تقل: هؤلاء اليهود فقط! بل انظر إلى نفسك:

ألا تشاقّ الله حين تترك الصلاة؟

أو حين تأكل مال اليتيم؟

أو تأخذ الرشوة؟

أو تترك الحجاب؟

أو تقع في الزنا؟

كلها صور من مشاقّة لدين الله تعالى.

{وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الحشر: 4).

سبحان الله!

يتحسّر الإنسان على حال الأمة.

في يوم من الأيام كنّا نحن الذين نعاقب اليهود حين يخالفون أو ينقضون العهد.

كنّا أعزّة بدين الله سبحانه وتعالى، كما قال عمر رضي الله عنه:

"كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ، فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ فِي غَيْرِ دِينِ اللَّهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ."

واليوم . للأسف . لما ابتغينا العزة في غير دين الله، أذلنا الله، وسلط علينا أعداءنا من اليهود، حتى أصبحوا هم سبب جلاء المسلمين ونزوحهم.
والحل؟

أن نرجع إلى ديننا، إلى طاعة ربنا سبحانه وتعالى، كما قال تعالى:
{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: 7).

الإنسان يتألم شوف حال الأمة كنا فين ووصلنا لايه! ليه؟ شوف الفرق في الدين هتعرف إيه اللي وصلنا لكده
ثم قال تعالى:

{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)} (الحشر).
إيه الموضوع هنا؟ الموضوع هو أن المسلمين لما حرقوا النخل – كما قلت لكم – كان النخل طويلاً جداً أمام الحصون، فالمسلمون احتاجوا أن يحرقوا بعض النخل لِعَلَّ، منها أنهم كانوا يُغيظون اليهود.

وطبعاً أنت عارف يعني إيه "نخل"؛ لينه يعني نخلة، ويُقال: اللينة هي النخلة ذات التمر الجيد، وهي غالبية جداً، وغالبية على قلب صاحبها، فلو رآها تُقطع أو تُحرق كأنك أنت حرقتَه هو نفسه.
فالمسلمون كان هدفهم من قطع النخل عدّة أمور: أولاً إغاية الكافرين، خزي الفاسقين، وأنهم يمنعونهم من شيء كان يُساعدهم على القتال، إذ كانوا يستترون أيضاً وراء ذلك النخل.
فالمهم أن النبي ﷺ أخذ قراراً أن يُحرق بعض النخل، فاليهود بدؤوا يُشنّعون، وقالوا: "أنت تدعو إلى الصلاح وأنت تُفسد في الأرض! كيف تحرق وتُخرب؟!"
فنزل الرد من الله تعالى.

صحيح أن الأصل في أي غزوة للنبي ﷺ أنه كان يقول: «لا تقطعوا شجراً»، وكان ينهى عن الفساد، لأن قطع الشجر بلا هدف ولا سبب فهو فساد.

لكن إذا كان هناك هدف وسبب، فليس بفساد، نعم هو مفسدة، لكن هناك مصلحة أكبر، وعند الموازنة تكون تلك المفسدة أقل من المصلحة المتوقعة من قطع هذا النخل.
فإذن الله بقطع النخل، وبيّن أن الذي حصل كان بإذنه الشرعي، لأنه أذن فيه شرعاً، وإذنه الكوني لأنه وقع فعلاً، فدافع عن المسلمين بقوله تعالى:

{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)} (الحشر).

يعني: لا يُشنّع عليكم أحد.

وفي هذا فائدة عظيمة: ألا تسمح لأحد أن يُشنّع عليك في شيء من شرع الله.

يعني مثلاً: واحدة تقول لك "إيه الحجاب اللي أنت لابساه ده؟" قولي: هذا بإذن الله.

يقول لك: "ليه ما تسلّمش على البنات؟" تقول: بإذن الله.

"ليه ما بترفضيش الخروج مع خطيبك لوحدك؟" بإذن الله.

"ليه ما بتتعاملش في ربا البنوك؟" بإذن الله.

لا تستحيي من دينك، ولا تتكسفي من شرع الله، ولا تدع أحداً يُهاجمك.

نحن الذين نهاجم. عمرُ الإسلام ما كان في قفص الاتهام، ولا كان في الدين عيبٌ أو نقص، ولا شرع الله محلَّ اتهام.

أنا الأقوى بدين ربي، {إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} (طه: 68).

أنا لا أهاجم، ولا أقف موقف الدفاع عن ديني، بل أهاجمُ مَنْ أمامي، لأنَّ ديني هو الكامل، والآخر هو الذي عنده النقص.

الإنسان يتحرك بعزّة، لا بغرورٍ وكِبَرٍ، بل بعزّة الإسلام.

فنقول: هذا بإذن الله ونفخر بذلك، ولا نستحي من شرع ربنا أبدًا، طالما أنَّ الله أذن، فهو الحق، وهو العزيز الحكيم.

{فَيَاذُنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} (الحشر: 5).

ثم قال تعالى:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحشر: 6).

ما معنى هذا الكلام؟

هنا انتقل بنا إلى المحور الثاني من السورة، وهو الكلام عن الفيء.

الفيء في اللغة هو الظل، ويُطلق على الظل في حالةٍ معيّنة:

عندما تكون الشمس في أوّل النهار طالعة من المشرق، يكون ظلك إلى جهة المغرب، ثم تنتصفت في منتصف النهار ثم تميل الشمس، فينتقل الظل إلى الجهة الأخرى، فيقال: فاء الظل أي رجع وانتقل. ولذلك سُمّي انتقال مال الكفار إلى المسلمين "فيئًا" إذا كان بغير قتال، أما إن كان بقتال فيُسَمّى غنيمة.

لأنني لم آخذ المال بجهدي، بل جاء إليّ كما يعود الظل.

فإذا انتقل مال الكفار إلى المسلمين بدون قتال، يُسمّى فيئًا، مثل الظل تمامًا.

قال تعالى:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ}

ليه ؟ لأن الغزوة هذه لم يحدث فيها قتال أصلاً، ولا المسلمون بذلوا فيها جهدًا يذكر، ولذلك جعلها الله فيئًا.

والفيء له أحكام تختلف عن أحكام الغنيمة.

فالفيء متى يكون فيئًا؟

كما قال الله تعالى:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}

ما أوجفتُم أي: ما أسرعتُم ولا تعبتُم فيها، لا خيل ولا ركاب،

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحشر: 6).

فأله يقول: أنتم لم تبدلوا فيها جهداً، فصارت فيئاً.

أما الفرق بين الفيء والغنيمة:

الغنيمة: ما يأخذه المسلمون بعد القتال.

الفيء: ما يُعطى للمسلمين بغير قتال.

والغنيمة تُقسَّم إلى أربعة أخماس وخمس:

الأربعة أخماس تُوزَّع على المقاتلين، والخمس يُقسَّم على خمس أصناف، كما قال تعالى:

{وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...} (الأنفال: 41).

لله وللرسول ده جزء واحد، ولذي القربى، ذي القربى الي هما أقارب النبي عليه الصلاة والسلام، الي هم بنو هاشم، وكان بيدخل معهم بنو المطلب لأنهم كانوا متحالفين دايمًا فبنو هاشم وبنو المطلب، هم دول ذوو القربى، كان يُوزَّع عليهم، واليتامى والمساكين وابن السبيل. لله وللرسول كان يأخذ الرسول خمس لنفسه كان يصرف على بيوته منها وكان يخرج الباقي في خدمة المسلمين.

طيب الفيء؟ الفيء شوفت الخمس أصناف المتبقين دول، كل الفيء بيروح للخمس أصناف دول ما فيش حاجه بتروح للمقاتلين، ليه؟ لأنهم لم يبذلوا مجهود في الغزوة فبالتالي تروح كلها لخدمة المسلمين.

الخمس للرسول عليه الصلاة والسلام والباقي يروح لليتامى، المساكين، ذوي القربى (أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام)، ابن السبيل.

اليتيم هو الي فقد والده وهو صغير دون البلوغ، والمساكين هما الفقراء الذين لا يجدون كفايتهم، وابن السبيل هو واحد مسافر في بلاد المسلمين، انقطعت النفقة بتاعته، وما معهوش حاجة يُنفقها، فيُنْفِق عليه من الفيء ده لغاية ما يرجع بلده مُعَرَّز مَكْرَم.

فربنا بيقول إن الفيء ده للرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن أنتم ما بذلتوش فيه مجهود، قال تعالى:

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحشر: 6).

خلاص؟ خد بالك بقى من الآية الي جاية عشان مهمة.

ربنا قال بعد كده:

{مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ}.

بيتكلم في الفيء برضو. فلمين؟ فله، وللرسول كما ذكرنا أول صنف، ولذي القربى الي هم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى: الصغير دون البلوغ الذي فقد والده – إذا كان فقيرًا طبعًا – والمساكين الي هم الفقراء عمومًا، وابن السبيل الي هو المسافر الذي انقطعت نفقته في بلاد المسلمين، نُعطيه من الفيء لغاية ما يرجع بلده.

حلو. طب ليه؟ ليه يا رب عملت الفيء لدول؟

علشان نجد أسباب لغنى هذه الأصناف بحيث إن مش كل الأموال تكون عند الأغنياء. فكان ربنا يبشرع في شرعه حاجات زي الزكاة وزى الفيء وزى مصارف الزكاة والكلام ده،

بحيث إن الفلوس ما تبقاش محصورة على الأغنياء، اللي هو الرأسمالية القاسية اللي بنعيش فيها الغرب دلوقتي، اللي هو المال مع الغني بس، الفقير مالوش مصدر للمال إلا التكبُّب، ولو التكبُّب تعذَّر معه يبقى خلاص موت. ليس لك أي مصدر ثاني.

لكن في الشريعة، تجد الشريعة تأمر بالتكبُّب والعمل. طب افرض واحد سبحان الله بعد كل ده فقير أو حصل له مصيبة يعمل إيه؟ فالشريعة تجعل له مصادر ثانية للدخل، علشان ما تفضلش الفلوس مع الأغنياء بس.

لو الغني طلع زكاة ماله، مع الفيء، مع خمس الغنيمة، مع حاجات ثانية بيصرفها بيت مال المسلمين، يبقى الأغنياء والأصناف الخمسة دول يبقوا في حال دائم من المستوى المعتدل، ومن الكفاية على الأقل، وما تبقاش الأموال بس الأغنياء بيزدادوا غنى والفقير بيزداد فقر، فيحصل فجوة في المجتمع يترتب عليها مصايب، يترتب عليها جرائم، يترتب عليها بغض وكره بين طبقات المجتمع.

لكن من حكم ربنا

{كَيَّ لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}

"دولة" يعني من التداول، هو التعاقب، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم. فهمنها؟ لكن هنا عندنا وقفة مهمة قوي، وهو اختلاف المفسرين في حاجة.

بعض المفسرين قال إن الآية الثانية بتشرح الآية الأولى بس، يعني أول آية لاحظ إن الفيء اذكر مرتين:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ}

فربنا بيحكي إن أموال بني النضير، دي كانت فيئًا. وبعد كده الآية الثانية بتشرح مصارف الفيء بقي:

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}

بعض المفسرين قال إن الآية الثانية بتشرح الآية الأولى ومتعلقة بها، فربنا ذكر الفيء بتاع بني النضير إجمالاً، وبعد كده ذكر مصارف الفيء في الآية دي تفصيلاً.

جمهور المفسرين على خلاف ذلك، قالوا: إن الآية الأولى بتقول إن فيء بني النضير بالذات للرسول بس، والآية الثانية بتتكم بقى عن الفيء عمومًا بعد كده، غير بني النضير، الفيء بعد كده هيبقى للأصناف الخمسة.

ثاني، القول الأولاني بيقول: إن الآية الثانية بتشرح الآية الأولى، الآية الثانية برضو بتتكم عن فيء بني النضير وبتقول هيتقسَّم إزاي.

القول الثاني بيقول: لأ، الآية الأولانية بتقول:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ}

فبتقول إن فيء بني النضير ربنا هو اللي جعله للنبي عليه الصلاة والسلام بس، يفعل به ما يشاء.

وبالفعل، النبي عليه الصلاة والسلام أعطى أموال بني النضير للمهاجرين كما سيأتي في المرة القادمة إن شاء الله، واثنين من الأنصار كانوا فقراء، هما سهل بن حنيف وأبو دُجانة رضي الله عنهما.

فبيقولوا إن بني النضير كانت حالة خاصة، لماذا؟ لأن بني النضير أصلاً أصلاً كانوا في المدينة، يعني الصحابة لا قاتلوا، ولا حتى سافروا، دي كانت جوه المدينة.

عشان كده ربنا قال لا خيل ولا ركاب. انت لا قتلت ولا سافرت، ولا رُحت بعيد. ده انت رُحت في نفس المدينة. عشان كده بنو النضير كانت حالة خاصة. ده كان قتال جوا المدينة. فلذلك ربنا جعل الفيء كله للرسول عليه الصلاة والسلام يفعل به ما يشاء، ما عدا ذلك من الفيء غالباً هيبقى ما فيهبوش قتال بس، لكن هيبقى فيه سفر. هنطلع بره المدينة غالباً. تمام، فلو حصل فيء هيبقى بدون قتال فقط، لكن هيبقى فيه ركاب على الأقل، فهنا ساعتها يبقى الفيء ياخذ الحكم بقى اللي هو الثاني، الفيء عموماً للأصناف الخمسة: لله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. غالب المفسرين على هذا القول إن الآية الأولى بتقول: لا، بنو النضير ده بالذات للرسول بس، يفعل به ما يشاء. والآية الثانية بتنقل القول الثاني بيقول: لأ، ده على القول الأول إن الآية الثانية بتتكلم بقى عن عموم الفيء بعد كده. والقول الثاني بيقول: لأ، الآية الأولى والثانية بتتكلم في بنو النضير، الأولى اتكلمت إجمالاً، والثانية شرحت الإجمال اللي في الآية الأولى.

ثم قال تعالى في النهاية:

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)}

هذه الآية عظيمة، ختام عظيم.

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} ما أمركم به، ما حصل له، ما شرعه الله له، هذا هو الحق، خذوه.

{وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}

هنا "وما آتاكم" هيخش فيها أمرين: ما آتاكم يعني ما آتاكم من الأموال، يعني يعطي من ولا يعطي من؟ احنا قلنا خلاص، ما ده للرسول. ما آتاكم: هيعطي المهاجرين، يعطي الأنصار، يعطي من يشاء. خذوه وارضوا بقسمة النبي عليه الصلاة والسلام، ما تعترضوش.

ويدخل فيما آتاكم: ما آتاكم من الأوامر الشرعية، بدليل إن ربنا قال: {وما آتاكم، وما نهاكم}. يعني عارف لو هو الكلام على إيتاء المال، كان هيقول إيه؟ "وما آتاكم الرسول فخذوه وما منعكم منه فامتنعوا"، لو الكلام على إيتاء المال بس. لكن لما ربنا قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ} هو النهي ده عكسه إيه؟ عكس الأمر. فتبين إن بكلمة "وما نهاكم" إن "آتاكم" دي داخل فيها الأوامر. يبقى داخل فيها إعطاء المال، وداخل فيها الأوامر، بدليل إن ربنا قال في المقابل "وما نهاكم"، لأن النهي مقابله الأمر.

فما آتاكم يعني من الأموال، من الفيء، من الصدقات، أقبلوا ولا تعترضوا عليه. وما آتاكم أي ما أمركم به من الأوامر الشرعية فالتزموا به، وما نهاكم عنه فانتهوا.

وهذا فيه دليل لأهل السنة في اعتبار السنة مصدر من مصادر التشريع، وأنه لا يجوز الاكتفاء بالقرآن، بل لو اكتفينا بالقرآن يبقى احنا مش بنعمل بالآية دي، لأن القرآن بيحيلنا على السنة. القرآن بيحيل على السنة.

البعض يقول لك: ربنا قال في القرآن عن القرآن إنه تبيان لكل شيء. صح، ربنا قال القرآن إنه تبيان لكل شيء.

يقول لك: يبقى خلاص، يبقى مش محتاجين السنة، يقول: التبيان بنوعين، القرآن يبين بطريقتين: إما بطريق الإخبار المباشر، أو بطريق الإحالة على السنة.

مثال:

انت دلوقتي بتقول لي يا بشمهندس علاء بين لي المسألة دي. فشرحتها لك، يبقى أنا بينتها لك ولا مبينتهاش؟ بينتها لك.

مرة ثانية قلت لي يا بشمهندس علاء بين لي المسألة دي، فقلت لك: بص، روح لفلان هيشرحها لك وهيبينها لك.

فأنا أحلتك على فلان ده، فراح شرحها لك، فانت بعد كده بتقول: والله المهندس علاء شرح لي أو بين لي الحاجة دي عن طريق إنه وداني للي شرحها لي.

فالقرآن كده، إما هو بيقولها لك في القرآن، أو بيقول لك: روح للسنة خدها.

طب بيقولها لي ازاى؟

زي الوضوء، وزى المواريث.

طب إمتى قال لي روح للسنة؟ زي الآية دي، قال لك: روح بقى للنبي عليه الصلاة والسلام، هتلاقي عنده حاجات خد منه:

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}

فيقال إن القرآن فعلاً تبيان لكل شيء، إما بالبيان المباشر، أو بالإحالة إلى سنة النبي عليه الصلاة والسلام لتبين لك المزيد مما لا يوجد في القرآن.

عشان كده ابن مسعود استدل بالآية دي على إن السنة حجة، وإنه يجب اتباع السنة ولا يجوز الاكتفاء بالقرآن على كلام القرآنيين.

جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت:

يا ابن مسعود، بلغني أنك تنهى عن الوصل، وتقول إن الله لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، وإني قرأت القرآن من أوله لآخره، فلم أجد ما تقول.

قال: لو قرأته جيداً لوجدته، لوجدتي أن الله لعن الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة. قالت: والله قرأت القرآن من أوله لآخره، فلم أجد ذلك.

قال: ألم تقرئي؟ بص بقى ابن مسعود بيقول إيه؟

قال: ألم تقرئي قول الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}

قالت له: آه، قرأته، قرأت هذه الآية.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لعن الله الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة". الحديث.

شوف إزاى ابن مسعود استدل بالقرآن إن السنة موجودة في القرآن؟

إزاى؟ بالإحالة، ربنا قال لنا: روحوا للسنة.

فلو إحنا مروحناش للسنة، ما بنعملش بالقرآن.

يبقى كل أحكام السنة هي في القرآن عن طريق إن ربنا أحالنا إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

عشان كده نقدر نقول إن القرآن فعلاً تبيان لكل شيء،
وفعلاً إحنا المفروض نمشي وراء القرآن، ولما بنمشي وراء القرآن بيقول لنا القرآن: روحوا للسنة،
خُدوا،

{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}
{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}

يبقى إذا العمل بالسنة هو أصلاً من إيه؟ من القرآن.
فمن زعم الاكتفاء بالقرآن وترك السنة، هو أصلاً لم يكتفِ بالقرآن، ولم يعمل أصلاً بالقرآن.

فهمتم الفائدة الخطيرة دي؟
{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}

اعمل بشرع الله.

{وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}

تهديد بعد كده:

{إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

نسأل الله السلامة والعافية.

يا رب نحفظ هذا الجزء، ويا رب نكون استمتعنا به، وفهمنا تدبراته وتأملناه واستوعبناه كويس.

إن شاء الله المرة القادمة لقاء ممتع، انتظروه.

ربنا يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله

قَدْ رَسَلَهُ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الخامسة

الصحابة والمنافقون | الحشر (٨ - ١٥)

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ. أما بعد:
أهلاً ومرحباً بكم في لقاء جديد ومدارسة مدرسة جزء قد سمع. الحمد لله، بفضل الله سبحانه
وتعالى انتهينا من سورة المجادلة، وبدأنا في سورة الحشر، وخلصنا منها اللقاء الأول لقاءً خطيراً جداً
ومهماً جداً. والحقيقة فاضل معنا. بإذن الله. لقائين في سورة الحشر.

تكلّمنا المرة الماضية عن السورة وأجوائها وسبب نزولها: غزوة بني النضير، وشرحناها وتطرّقنا إلى
التفاصيل التي تكلم عنها الله في قطع اللينة، في تقسيم الفيء، في أحكام الفيء عموماً سواء الفيء في
غزوة بني النضير أو الفيء عموماً في قوله تعالى:

{مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ}

وانتهينا إلى قوله تعالى:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}

هذه سوف تبقى فيه ذكر الفقراء المهاجرين بعد آية الفيء. وهنقول بعض الفوائد من الآية علشان نقدر
نبدأ بها في جزء اليوم، ونحاول نتوقف عند الآية رقم 15. فنبدأ من أول قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ} التي هي الآية رقم ثمانية، وإن شاء الله نحاول نخلص لغاية الآية 15.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحًّا
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ
قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ
بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15)}

هذه الآيات الكريمة من سورة الحشر انتقلت بنا إلى قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ}. ما معنى لِفُقَرَاءِ؟

"لِلْفُقَرَاءِ" دي متعلقة بالآية السابقة، وأن ربنا قال: أن الفيء لله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم.

نرجع ثاني نقول: ماهو الفيء؟

الفيء: هو أموال الكفار التي أخذها المسلمون في معركة انتهت بغير قتال: حصار لا قتال. {فَمَا
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}. فالمعركة خلصت بغير قتال، فالغنيمة مش بتسمى بقي غنيمة
تسمى فيئاً.

والفيء يختلف عن الغنيمة:

– الغنيمة أربعة أخماس تُقسَّم على المجاهدين

– والخُمس يُقسَّم للأقسام الخمسة: نفس أقسام الفيء

لكن الفيء كله يُقسَّم على الأقسام الخمسة، وهم: لله وللرسول (وده يعتبر قسم واحد)، ويؤول إلى الرسول ﷺ.

والنبي ﷺ كان يدخر جزءاً منه لنفقات بيوته، ويُخرج الباقي لتجهيز الجيوش ولمصالح المسلمين، وكان يرد الباقي للمسلمين.

طيب: ده لله وللرسول.

وذو القربى:

اللي هم أقارب النبي ﷺ، والمقصود: أقاربه الذين دخلوا معه شعب أبي طالب: لأن دول اللي نصره في كل موطن ودول اللي كان بيكرمهم عليه الصلاة والسلام بالفيء والغنيمة، وهما باختصار آل العباس، آل علي بن أبي طالب، آل عقيل وآل جعفر عموماً ذوي القربة سواء من بنو هاشم أو بنو المطلب.

وهذا لأن آل البيت لا يأخذون من الزكاة، فالشريعة عوّضتهم بالفيء والغنيمة.

اليتامى: من فقد أباه وهو صغير غالباً يكون فقيراً.

المساكين: الفقراء الذين لا يجدون ما يكفيهم.

ابن السبيل: الذي دخل بلاد المسلمين وانقطعت نفقته، يُعطى حتى يرجع لبلده سالمًا، ولو كان غنيًا في بلده؛ فمش بنطلب منه يرجع الفلوس دي لأنه أخذها باستحقاق ساعة الأخذ. وده من كرم الإسلام ومحاسنه.

خلاص؟ فهمنا كده؟

ربنا قال: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}

وهذا ينقلنا لفكرة مركزية في الإسلام، وهي أن الإسلام يراعي التوسط بين حق الامتلاك ومصلحة الفقير الذي قدراً ما قدِرش يملك رغم انه عمل ما عليه.

فتجد الإسلام وسطاً بين فكر رأسمالي وفكر شيوعي. الفكر الشيوعي يقوم على أن مش من حق حد يملك. يعني الفكر الشيوعي الذي كان فترة طويلة في الاتحاد السوفيتي والدول التي تتبع نفس المنهج، كانوا يعتبرون أن الفرد من حقه يملك شيئاً محدداً بس لا يزيد عليه: شقة بصفة معينة، عربية بصفة معينة، أي زيادة بعد كده لازم تتحول إلى مشاع، وكل الناس تشارك فيه. وطبعاً ده ظلم بين. لذلك الشيوعية من أسوأ أنواع الأنظمة التي كانت تظلم البشر، عشان كده ما طولتش الشيوعية دي، وانهارت بسرعة للظلم الشديد اللي فيها. تمنع الناس أن تملك تخيل يعني! واحد يبذل مجهود كبير وفي الآخر لازم يعيش في مستوى معين، ما ينفعش يتجاوز هذا المستوى، وما عدا ذلك من أموالك لازم يكون مشاعاً. فيستوي بقى اللي بيشتغل واللي ما بيشتغلش. تقتل بقى روح الاجتهاد، وتقتل روح البذل، وتقتل روح الاستثمار. حاجة مميتة يعني!

الرأسمالية العكس، بتقولك: لا، أنت تملك كل ما تستطيع وبأي وسيلة! حلال، حرام... ما بيفرقش معاهم. ولو ما اشتغلتش: ليس لك شيء! يعني لو فقير ولم يتكسب، ليس له أي شئ في مال الغني أبداً.

الغني لو شايء قدامه واحد بيموت؟ لا يلزمه أن يعطيه شيئاً! وليس له حق في مال الغني، ولا يعني هناك حق واجب في مال الغني. لو أنت ما اشتغلت حتى لو بتنام على الرصيف: تموت! إحنا لا نبالي! إن لم تجتهد أنت خلاص، تنتهي، وتكون الدنيا تؤول للأغنياء فقط!

فاللي يحصل؟ الأغنياء يزدادوا غنى، والفقير يزيد فقراً. ويتحول المجتمع بعد فترة من الرأسمالية إلى فقر شديد لأغلب الناس، وكل الأموال بتلعب في اتجاه واحد: الأغنياء فقط اللي يزدادوا غنى وطغيان. طبعاً مع الربا والقروض والأنظمة الرأسمالية اللي أغلبها محرمات. ويتحول المجتمع غابة بعد ذلك: فقراء مطحونين وأغنياء غنى فاحش.

أما الإسلام: فوسط بين هذا وذاك.

آية واحدة هدمت النظامين:

{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)} (سورة المعارج)

تأمل في اختصار هذه الآية: إزاي هدمت النظامين مع بعض:

{فِي أَمْوَالِهِمْ}

فنسب الأموال لهم → إذا لهم حق في التملك وليس مشاع

وهنا دمر النظام الشيوعي.

{حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)}

أثبت أن جوا فلوسك حق للفقير والسائل والمحروم فليس المال مطلقاً لك كالزكاة وما بعدها من أمور مستحبة كالصدقة وغيرها.

وهنا هدم الرأسمالية.

عشان كده الفيء ربنا جعله لهذه الفئات: الفئات المطحونة.

الفئات اللي قدرنا: يعني واحد مات أبوه: يعمل إيه؟ شيء غصب عنه! ما يملكهوش.

واحد بذل مجهود عشان يبقى غني، بس سبحانه الله ربنا قدر عليه يكون فقير ومسكين. هل نقول

خلاص ونسيبه؟ لا

ربنا يقول: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}

عشان كده بيدي مصارف كاملة لهذه الفئات:

خمس الغنيمة، الفيء كله، زكاة المال... وهذه الأشياء، عشان نظام الإسلام يكون نظاماً وسطاً.

يقول للناس: لك حق الامتلاك، ولكن في مالك حق لذوي الحاجة.

والفيء كله هتأخذه هذه الفئات .

خمس الغنيمة هيروح لهذه للفئات .

وبالتالي: يكون مجتمعٌ سويّ.

أقل شخص يحصل له الكفاية: يعيش حياة كريمة — لا يحتاج شيئاً.

وبالتالي مش هيحصل حقد على الأغنياء، ولا جريمة في المجتمع.

ويبقى الفقير مبسوط لما الغني يبقى أغنى، لأن غناه يعود عليه: الزكاة بتكبر، والناس بتحب بعض وبتشارك بعضها وتفرح لبعض وتُحزن لبعض. مجتمع سوي نقي نظيف.

المهم: يعني القرآن بيبين لنا هذه المسألة العظيمة . وبعد كده بيقول لنا: **{لِلْفُقَرَاءِ}**.

هل الفيء ربنا ذكر خمس أصناف... تمام.

هل المفروض أوزع الخمسة بالتساوي؟ ولا ينفع أغلب فئة على فئة؟

يعني هل احضر الفيء واقسمه خمسة أجزاء لازم: لله وللرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل؟

ولا مثلاً لو أنا شايف إن المساكين كتير قوي وما فيش ابن سبيل، فبدي المساكين جزء أكبر؟ أو أديهم كله؟

هل يلزم أوزع على الأقسام الخمسة؟ الإجابة: لا.

ينفع تغلب جانب على جانب، وينفع تخص جانب كمان.

يعني فهي مسألة اختيارية بيد الإمام: يفعل ما فيه المصلحة.

وهذا يفهمنا الجزء اللي اتقال بعد كده: **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}**

يعني إيه هذا الكلام؟ يعني أول صنف يُعطى الفيء في الحالة اللي إحنا فيها : **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}**.
ليه؟ طبعاً دول أولى صنف.

طبعا غزوة بني النضير كانت في أول العهد المدني — زي ما اتكلمنا المرة اللي فاتت — إمّا في السنة الثالثة أو الرابعة من الهجرة.

وبالتالي ما زال جيل المهاجرين كله اللي هاجر للمدينة لسه بيعانوا من الفقر.

ضحّوا بمالهم ضحّوا بديارهم لله وللرسول عشان يوصلوا المدينة.

وبالتالي هم فئة تحتاج إلى إعانة الآن.

وأولى احتياج الآن أن تُسد حاجة هؤلاء.

فكان القرآن يرشدنا: الأولوية القصوى عندما توزع الفيء لهؤلاء الفقراء المهاجرين.

طبعاً — المهاجرين أغلبهم تعرّض لفقر بعد الهجرة حتى لو كانوا أغنياء أصلاً في بلدهم

هو ساب دياره وأمواله، والآن هو في حالة فقر، حالات كتير وناس كانوا أغنياء بالفعل، مثل صهيب

الرومي مثلاً. صهيب — تعلمون — كان غنياً في مكة، ولما أراد أن يهاجر خرج وراءه المشركون،

فقالوا: يا صهيب! أتيتنا صعلوكاً لا مال لك، فكثّر مالك عندنا، فوالله لا نتركك تهاجر!

فقال: إن دلتكم على مالي في مكة، أتركوني وأهاجر؟

قالوا له: ماشي، قل لنا أين مالك.

سبحان الله، أمرٌ عجيب!

فقال لهم على مكان أمواله بالضبط، فذهبوا وأخذوا كل أمواله التي جمعها طول حياته في مكة، وذهب هو إلى المدينة فرحان أنه وصل إلى النبي ﷺ، وقد ضحى بكل ماله.

وحكى للنبي عليه الصلاة والسلام الذي حصل، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى».

وفيه نزل قول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (البقرة: 207)

عبد الرحمن بن عوف كان غنيًا، ترك كل أمواله وذهب إلى المدينة وبدأ من الصفر، زي ما سيأتي قصته لما نتكلم على الأنصار.

أبو بكر الصديق كان غنيًا، ترك كل أمواله وانتقل للمدينة... وهكذا يعني ناس كثيرة جدًا.

إذا في ناس كانوا أصلًا فقراء، وفي ناس افتقروا بسبب الهجرة.

صار هؤلاء جميعًا أولى أكيد، أولى فئة تأخذ من الفيء لتحسين أحوالهم، ومراعاة طبعًا التضحية التي ضحوها.

فربنا قال: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}. الله أكبر!

سماهم المهاجرين... من هنا كان هذا اللقب الشريف: الذي أطلق على الصحابة التي انتقلوا من مكة للمدينة، سُموا المهاجرين.

خلاص! علشان يفضل الاسم ده يعني علامة شرف، إن دول هاجروا لله وللرسول عليه الصلاة والسلام.

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا}

"أخرجوا": ما قالش "خرجوا".

رغم أنهم خرجوا ولكن لأن كفار قريش هم السبب في ذلك، هم أجبروهم على الخروج.

فليس باختيارهم، إنما حُمِّلوا على ذلك، فنُسب إليهم من باب السببية: {أُخْرِجُوا}.

يعني أخرجهم الكفار، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام عن مكة — لأنتي أحب البلاد إلى الله، وأحب البلاد إلي:

«ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت».

وقول ورقة بن نوفل للنبي عليه الصلاة والسلام في أول البعثة:

"ليتني أكون فيها جذعًا إذ يخرجك قومك".

فطبعًا الضغط الذي حصل والتعذيب والكلام ده هو الذي أجبر الصحابة إنهم يخرجوا من مكة.

وبالتالي نُسب الإخراج إلى كفار قريش، رغم — نظريًا — هم الذي خرجوا بأنفسهم، لكن إنما حملهم على ذلك الكفار.

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ}

سبحان الله! تركوا الديار والأموال!

يا جماعة يعني موضوع صعب جدًا...

عشان أصلًا يسبب بلده لأي سبب — أو يسبب المكان الذي اتربى فيه — فضلًا انه يضحي بماله هذا شئ شاق جدًا.

اللي جَرَب يعزل أو ينتقل أو يسيب من بلد لبلد: شاق جداً!
وتخيل إنك مش رايح لفرصة أفضل...
لا! ده غالباً اللي بيروح بلد تانية بيروح عشان وضع أحسن، عشان شغل أفضل.
هنا: أنت رايح للمجهول!
لا شيء... لا تملك أي شيء!
أنت بتترك لمجرد الترك.
مش عارف إيه اللي داخل عليه...
لكن المهاجرين لم يترددوا قط.
مجرد ما أمر الله تعالى نبيه بالهجرة، والنبي عليه الصلاة والسلام قال للصحابة: طلّعوا، طلّعوا من مكة

وماحدث عارف إيه اللي جاي...
لكن أكيد: اللي أمرنا بالهجرة لن يضيعنا.
"إِذَا لَا يَضِيعُنَا" زي ما هاجر قالت لسيدنا إبراهيم لما قالت له:
"الله أمرك بهذا؟" قال: نعم.
قالت: إِذَا لَا يَضِيعُنَا.

خرج الصحابة الكرام على رجاء في الله تعالى أنه لا يضيعهم أبداً.
وفعلًا ربنا لم يضيعهم
وكان كل فرصة يمكن أن يُعطوا فيها مال، أعطوا فيها أموال كثيرة، حتى صاروا أغنياء بعد كده بعد فتح خيبر.

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ}
بُص بقي: والله لو المهاجرين ما خدوش جبر خاطر إلا الكلمة اللي جاية دي كفاية!
قوله تعالى: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}
{وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}
{أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}
بُصّوا يا جماعة...

أنا أعتقد المهاجرين لو طلّعوا بالجملة دي بس من الهجرة... هذا يكفيهم!
ربنا جبر بخاطرهم بشكل عظيم...
أثنى عليهم ثناء لا يُوصف!
أولاً: شَهِدْ لَهُم بِالْإِخْلَاصِ:
{يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}
وفي الحديث:

"إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"
هنا مين الذي يشهد انهم هاجروا لله؟

الله نفسه!

الله سبحانه وتعالى يشهد في كتابه إن دول هاجروا لله!

ما كان لهم أي غرض آخر...

لا رياء ولا سُمعة ولا طمع ولا يقال عنهم كذا، إنما هاجروا لله.

ثناء من الله، الله نفسه اللي هيحاسب يوم القيامة يقول انهم هاجروا لله.

كفاية الواحد يتمنى فقط ان الله يطلعه على كيف يراني الله سبحانه وتعالى.

مشكلة الغيب ان الواحد يكون مش عارف ربنا قبله أم لا، أنا كويس ولا لأ في شئ يؤرقك طول النهار

ويخليك تتهم نفسك علطول، تخيل ينزل فيك وحي يقول انك مخلص. إيه الجمال ده!

ثانيًا: أثني على نصرتهم:

{وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

ثم الشهادة العظمى:

{أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

ما قالش: "أولئك صادقون"...

لأ... قال: {هُمُ الصَّادِقُونَ}!

وكان لا يوجد صادقون غيرهم! طبعا ده مبالغة حتى يبين صدقهم. ربنا يوحى إن القمة في الصدق

هم هؤلاء!

كلام كبير جدًا يا جماعة...

تخيل ينزل فيك وحي وأنت عايش، ويتقال عليك هذا الثناء العظيم من رب العالمين!

لذلك: المهاجرون ربنا أثني عليهم في القرآن كثيرًا... قال سبحانه وتعالى:

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة: 100)

قال سبحانه وتعالى عن المهاجرين:

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ}

لذلك أهل السنة متفقون على أن المهاجرين إجمالاً أفضل من الأنصار إجمالاً. يعني مين أفضل؟

المهاجرون أم الأنصار؟ كجملة يعني، في الجملة: المهاجرون أفضل من الأنصار.

أما التفاصيل فممكن يكون واحد من الأنصار أفضل من بعض المهاجرين، أكيد يعني؛ لكن إجمالاً جيل

المهاجرين أو مجموع المهاجرين أفضل من مجموع الأنصار.

ليه؟ حاجات كثيرة طبعا: ما يذكر في القرآن إلا ويقدمه على الأنصار؛ فلا يُقال: الأنصار

والمهاجرون، إنما يُقال: مهاجرون وأنصار.

ثانيًا: إنهم سبقوا بالإيمان. هم سبب الإسلام أصلاً، هم ضحوا بأموالهم... حاجات كثيرة قوي عملها

المهاجرون، نصروا النبي ﷺ في أصعب اللحظات.

بلا شك: المهاجرون في الجملة أفضل من الأنصار، وهذا شرف كبير جدًا يعني للمهاجرين؛ فدول

أعلى من أعلى الفئات على الإطلاق: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.

ثم قال سبحانه وتعالى: انطلاق المال الفئة الثانية... وكان أول كلام أن أولى الناس يأخذوا من الفيء

دول: فقراء المهاجرين.

اللي بعد كده اللي ياخده: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}**. فإذا: يأخذ من الفيء كمان الأنصار. وده يرجح القول اللي قال إن هنا العطف عطف برضه على المهاجرين؛ إن يعني الأنصار برضه هياخذوا زي المهاجرين.

كان سيدنا عمر بعد كده لما كان بيحي له الفيء، كان بيورّعه على الأنصار، وبعد كده على التابعين كمان. تمام. عشان ربنا قال: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}**.

يبقى الفئة الثانية: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}**.

فالكلام هنا ينتقل لمين؟ للأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم. وما أدراك ما الأنصار!

بس إحنا هنا عندنا كذا وقفة عايزين نقفها مع الأنصار، بالذات في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}**.

هنا الكلام على الأنصار.

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ} فهمناها: يعني إيه **{تَبَوَّءُوا الدَّارَ}**؟ يعني سكنوا المدينة. مش في البيت يعني... دار تطلق على البلد أحياناً.

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا} يعني سكنوا المدينة واستقروا فيها. حلو... فهمناها.

يعني إيه **{وَالْإِيمَانَ}**؟

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}.

هنا المفسرون ليهم احتمالين:

الاحتمال الأول: إن في محذوف... في تقدير هنا: يعني الذين تبوءوا الدار والتزموا الإيمان... أو اعتنقوا الإيمان... أو اعتقدوا الإيمان. تمشي أي حاجة.

الاحتمال الثاني: ناس قالوا: ما فيش حذف. الأصل: ما فيش حذف.

فلو قلنا: ما فيش حذف... هل تمشي؟ تمشي!

{تَبَوَّءُوا الدَّارَ}: سكنوا واستقروا.

{وَالْإِيمَانَ}: يعني سكن الإيمان فيهم واستقروا!

وده دليل على المبالغة في قوة إيمان الأنصار.

الله! ده معنى جامد جداً!

ربنا مش بيقول: الأنصار آمنوا...

ده بيقول: ده هم قاعدين في الإيمان!

ساكنين هناك!

مكانهم!

ده بقى الإيمان بالنسبة لهم زي البلد!

ودي مبالغة في بيان قوة إيمان الأنصار.

قوة إيمان الأنصار... **{تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}**... وده دليل إنهم يظلوا كذلك إلى الموت.

وده هيجي في الآية اللي بعديها سبحانه الله.

... **{وَالْإِيمَانَ}**. طيب، حلوا!

إحنا فهمنا حته حلوة لما شفنا خلاف المفسرين. بس المعنى اللي اتقال... معنى جميل.

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

السؤال: في سؤال ممكن يطرح نفسه هنا:
من قبل مَنْ؟

المقصود: مجموع الأمرين... يعني: جمع الدار والإيمان قبل المهاجرين.
يعني: المهاجرون سابقون في الإيمان... أكيد صح.
لكن مين جمع بين الدار والإيمان؟
أكيد الأنصار.

إنهم كانوا في المدينة وحققوا الإيمان في المدينة قبل وجود المهاجرين في المدينة.
يبقى جمعوا الدار والإيمان الاثنين معاً قبل ما المهاجرين يوصلوا المدينة.
في الدار قبل المهاجرين.

تعرف يعني إيه؟

يعني الأنصار آمنوا بالنبي ﷺ قبل ما يشوفوه، وقبل ما يشوفوا المهاجرين!
يا دوب كان معاهم مصعب بن عمير وبعض اللي وصل، كان عدد محدود جداً شافوه من الصحابة.
وكل ده سماعاً.

ما فيش غير المجموعة اللي شافت النبي ﷺ في بيعة العقبة.

بس ما عدا ذلك من الأنصار كلهم آمنوا قبل ما يشوفوا النبي ﷺ.

وقبل ما يشوفوا كبار المهاجرين، يعني عملوا حاجة عظيمة جداً، لدرجة أنهم في الهجرة أصلاً
معروف لما النبي وصل المدينة، ما كانوش عارفينه من أبو بكر الصديق من كُثر ما هم لم يروه من
قبل وهذا يدل على سرعة استجابتهم أنا مش مستني النبي يجي، مجرد سمعت عنه آمنت،
رقة أفئدة الأنصار، يعني قارن بين أهل مكة اللي النبي عليه الصلاة والسلام عايش معاهم أربعين سنة
ولم يؤمنوا به وبين الأنصار اللي سمعوا عنه آمنوا به. فرق شاسع، هذا في ثناء على الأنصار، ثناء
رهيب جداً.

بص انا جايب هنا جملة صغيرة "تبوءوا الإيمان" طلعتها منها بمعنى، "من قبلهم" طلعتها منها بثناء
تاني، ده لسه، لسه اللي جاي أكبر بكثير.

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

أول حاجة، أول صفة:

1. {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}
2. {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا}.
3. {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.
4. {وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ}.
5. {فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

ده لسه في خمس أنواع من الثناء جايه على الأنصار.

تعال نمسك واحدة واحدة ونتكلم فيها: أول حاجة ربنا قال: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}. خذ بالك، هم
المهاجرين دول جايين يعملوا إيه؟ جايين يستثمروا في البلد؟ ولا جايين مثلاً يضخوا اقتصاداً؟

ده جايين يأكلوا من أكل البلد وجايين يأخذوا من قوتك، تمام، جاي يشاركك في أكلك وفي شربك. بلا شك أن المهاجر عادة يكون ثقيل على البلد الثانية اللي هو بيهاجر ليها. فربنا أول حاجة قالها **{يُحِبُّونَ}**. لأنها أصعب حاجة، أنت عارف أنت ممكن المهاجر تكرمه، تقول احتسب عند ربنا، تطعمه، لكن أنت مش حبه، يعني أحب إليك لو رجع بلده ده أحسن واحد فينا يعني يكرمه، بس هو مش حابه قوي. ربنا قال لا، ده هو بيحبوهم أصلاً. وده بيدينا معنى خطير جداً.

ليه ربنا قدّم المحبة على الإيثار والحاجات دي؟ قال لك: لأن دي أول حاجات المهاجر وأهم حاجات المهاجر أن يشعر أنه محبوب. أنا مش عايز أكل، مش عايز أشرب، أنا عايز أكون مقبول، ما أحسّش إن أنا درجة ثانية، ما أحسّش إن أنا ضيف ثقيل، أنا عايز أشعر إن أنا محبوب. فقال لك قدّم ده لأنهم قدّموا لهم أهم شيء وأفضل شيء، وده في الحقيقة أهم شيء لينا كلنا. يعني دعك من الهجرة، ده معنى كبير بقى، أهم شيء لأي حد مع أي حد: أي حاسس أنك بتحبني، إن أنا مقبول عندك، مش مجرد إن أنت بتديني. ودي حاجة برضو للناس اللي شغالة في الصدقات وما إلى ذلك: الفقير اللي جاي لك ده هو عايز منك نظرة حب، الشعور بأنه شخص مقبول، مش درجة ثانية. قبل ما تدي له الصدقة لا تكسر عينه، المعاني أهم من الماديات. لا تشعره إنه أقل، إنه فقير، إنه محتاج. اشعره انه أخ لك عادي، حقك ده كتر خيرك إن أنت بتيجي تأخذ منا فلوس، ده انت بتكرمنا لما تيجي لنا، وتبتسم في وجهه وتشعره انه مقبول، لا من ولا أذى، ده أهم من الفلوس

معنى مهم لكل الناس اللي بتشتغل في الصدقات:

{ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذىٌ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } (البقرة: 263)

سبحانه وتعالى. وبالتالي ربنا قال: إن الاحتياج النفسي للمهاجر أهم من الاحتياج المادي.

{يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ}

هنفصل في الموضوع ده، بس هو إجمالاً قبل التفصيل: يعني إيه **{وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا}**؟ مين اللي أوتوا؟ قال لك: مما أوتوا يعني مما أوتوا المهاجرين من الفضل والثناء من الله قبلهم، ومما أوتوا المهاجرين من السبق. إن لا شك أن المهاجرين أفضل من الأنصار، الأنصار كمان جاي عليهم ناس وهما عارفين أن هما أفضل منهم وسبقوهم بالإيمان، هو لا يجد في نفسه حذاجة في الموضوع ده، لا يجد في صدره حرج أن من أمامه هذا سبّقني بالإيمان، ومنهم كثير أفضل من الأنصار، ومجموع المهاجرين زي ما قلنا أفضل من مجموع الأنصار. لا يوجد في صدره شيء؛ لا حسد ولا غل ولا أي شيء. **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ}** كمان يعني ممكن يعطي له من أكله وشربه كما سنبيين في تفسير هذا الموضوع **{وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**. هنشوف يعني إيه خصاصة كمان شوية.

أنا عايز أقول جزء مهم جداً، أرجع تاني عشان بس أمهد لك: وبالمثال يتضح المقال. لما أنا أكلمك على المهاجرين افتكر كل المهاجرين اللي كانوا في العصر الحديث. يعني أنا أتكلم علينا في مصر أنا كرّج مصري هتكلم إحنا شفنا في مصر خلوني أكلمكم من قلبي يعني، تمام. أنا أقول يعني، وانا لا أذم أحد، وإنما أتكلم عن مصر وأهل مصر إن فعلاً اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد،

مصر استقبلت كم من المهاجرين في السنوات الماضية مش طبيعي، لم يحصل في أي مكان في الدنيا: سوريين، فلسطينيين، سودانيين، ليبين، يمنيين، ...

بفضل الله سبحانه وتعالى. ومصر يعني احتوت كل هؤلاء بفضل الله. وهذا شعب طيب، يعني إحنا فينا حاجة حلوة والله، يعني فينا عيوب آه، بس فينا حاجات جميلة.

يعني نكاد نكون من البلاد القليلة اللي فعلاً المهاجر فيها لم يشعر أنه مهاجر الحمد لله. وكان السوريين على دماغنا، والسودانيين على دماغنا، والليبيين على دماغنا، والله كنا نعاملهم أحسن ما نعامل إخواننا من أهل البلد نفسهم. فتحنا لهم كل حاجة، بيشتروا محلات، بيأجروا، يبيبعوا، بنشتري منهم، بل بنتعمد اننا ننفعهم ونكسبهم، أولادهم دخلوا مدارسنا. بيقد جنب ابني يقول لك: أصحابي، عندي صاحب سوري وصاحب ليبي. ولا نجد أي فرق خالص. بنفرح إن إخواننا كانوا معانا، يمكن اللي رجع منهم بلده. عارف يعني إيه إحنا بكينا لما شفنا المهاجر منهم كان بيرجع بلده. إحنا خلاص تعودنا عليك، هتسيبنا إزاي بعد كل العشرة دي؟!

أنا عايز أقول إن المعاني اللي كانت أجمل لما شفنا شكر الناس دي لأهل البلد كانوا بيشكرونا على المعاني. أنتم استقبلتونا ولم تشعرونا بأننا ثقل عليكم رغم أنه فعلاً ممكن يكون في ضغط على الاقتصاد والكلام ده، لكن لم نشعرهم بذلك ده الأخلاق الحميدة اللي إحنا نتعلمها، إن أنا بتعامل معاك عادي، حتى اللقب، إحنا ما فيش حد دخل مصر وسمي لاجئ ما فيش الكلام ده. إنما يأخذ اسمه العادي سوري، يماني، ليبي وشوية بنعامله كأنه مصري خلاص. ما فيش كلمة لاجئ، ما فيش خيام نضعهم فيها، مش بحتقره أو عايز اطرده من البلد ما فيش الكلام ده. مش قصدي حاجة يعني، أنا بتكلم بفضفض معاك علشان استوعب يعني إيه مهاجر. لما تشوف بقى نفس الناس لما راحوا بلاد ثانية، قد إيه كانوا تقال عليهم، وقد إيه شعروا بفرق. في بلاد كان بيتعاملوا أنهم درجة ثانية فعلاً، يتعاملوا باحتقار، يتعاملوا أنهم لاجئين، يتعاملوا أنتم بتعملوا إيه هنا في البلد: امشوا، اطلعوا بره. عايز أقول لك إن دي من أهم حاجات المهاجر: شعوره بالأمان، شعوره بالحب، شعوره بالإكرام، شعوره بالإيثار.

مش هقدر أقول لك إن إحنا زي الأنصار طبعاً، يعني ممكن أقول يعني إحنا كويس قوي إن إحنا تحملنا كل هؤلاء، لكن أكيد الأنصار عدوا، بص ربنا أول ما بدأ قال **{يُحِبُّونَ}**. أنا ممكن فعلاً استقبلت مثلاً أخويا وتعاونت معه وكنت بكرمه والكلام ده، بس يمكن البعض يعني مش الكل، يكون مثلاً في صدره شئ ما، أو بيعمل كده يعني لله، بس هو مش حابب قوي. لا، ربنا أول ما بدأ بالأنصار عشان تعرف: الأنصار في حنة ثانية، زي ما يقول كده: على قلبهم زي العسل. أنت جاي وأنا بحبك. هتاخذ من أكل عيشي! خذ. الأنصار يا جماعة عملوا حاجة مش طبيعية.

الأنصار لما قدم المهاجرين عليهم طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن المهاجرين يشاركوهم النخل. بص أنا بقول لك إحنا في مصر كنا الحمد لله، بفضل الله، كنا كويسين: سيبنا الناس تشتغل صح وتملكوا كمان، وعایشين زي أهل البلد. أنت بتشوف الموضوع ده لما حد مثلاً بيتكلم يقول لك يعني الحمد لله المعاملة في مصر كانت حاجة مميزة جداً.

خذ المفاجأة بقى اللي ما فيش حد فينا عملها: الأنصار لما جم المهاجرين مش عملوا زينا مثلاً لا لا ده عدوا كده بكتير، الأنصار طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام طلب بدون ما حد يجبرهم ولا حد يقول لهم، قالوا له: المهاجرين يأخذوا نصّ النخل بتاعنا، يعني نص ممتلكاتنا يناصفون في النخل، في أصول النخل. تعرف يعني أصول النخل عند العرب؟ شوفتوا {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ} كانت وجعتهم ازاى؟ النخلة دي حاجة غالية قوي. يعني بيقولوا له يأخذوا نص النخل تمليك ليهم مش إيجار، مش يشتغلوا في الأرض، يأخذوا نص النخل ليهم، وإحنا نأخذ النص الثاني. ده أول عرض كده بسم الله، لا أحد يعمل ذلك في التاريخ.

ولكن الرسول صل الله عليه وسلم رفض وقال: تكفوهم المؤنة وتُشركوهم في الثمر. قالوا: ماشي. عارف يعني إيه؟ ده المستوى الثاني يعني المهاجرين يأخذوا نصف الثمر مش نص الأصل، نص الثمر اللي بيطلع من النخل، من غير ما يشتغلوا أصلاً، لأن المهاجرين أهل تجارة ما يعرفوش يشتغلوا في الزرع، هم أهل التجارة والرعي والكلام ده. الأنصار العرض اللي وافقوا عليه: إن المهاجرين يأخذوا نص الثمر: الأرض بتطلع قد إيه؟ يأخذوا نص الثمر من غير ما يشتغلوا عند الأنصار، لا يزرع ولا يسقي ولا أي حاجة.

ده كده بعد ما نزلنا الأنصار أصلاً كانوا عايزين يعطوا نصف الأصل. في كده في الدنيا؟ لا، ده أحسن حد عمل حاجة مع مهاجر يعني ولا كده.

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ} شوف بقى المعنى: ويؤثرون على أنفسهم. يعني أولاً أعطوهم الحاجات النفسية كلها. يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، لا يجدوا في صدرهم أي شيء من مزايا المهاجرين اللي هم سبقوهم وأحسن منهم وفي الفضل هم أعلى منهم، وربنا يذكرهم قبلهم {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا}

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ} اللي هو نص الأرض والكلام ده. {وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} دي بقى هنتكلم عنها كمان شوية.

يعني إيه: {وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}؟ خصاصة، ركز في الكلمة دي. قالوا: خصاصة يعني اختصاص يعني تفرّد. كلمة خصاصة مشتقة من حاجة من الاثنين: إما الخصاصة بمعنى الاختصاص والتفرّد: يعني إيه الاختصاص والتفرّد؟ قالوا: يعني صاروا في حال يعني هم في حال، لا يوجد أحد مثلي. يعني أنا وصلت لحالة من الاحتياج لا يوجد أحد مثلي في هذا الاحتياج. صرت متفرد في هذا الاحتياج، الحالة دي بقى ممكن يؤثر غيري عليها، ونضرب مثال عليها كمان شوية، يبقى كلمة خصاصة أمّا هي من الاختصاص والتفرّد: يعني أنا لوحدي في الحالة دي، وصلت لدرجة من الاحتياج لا يوجد أحد مثلي، في الحالة دي بؤثر أخويا على نفسي. وقيل: الخصاصة العرب أطلقها على المسافة الضيقة قوي. العرب كان عندهم السقف جريد نخل، السقف بيتعمل من الجريد، فالجريد في بينه مسافات صغيرة قوي كده رفيعة تدخل منها أشعة الشمس، بيسموا المسافة الرفيعة دي اللي هي التي تدخل منها أشعة الشمس اللي بين الجريد: خصاصة.

فصار يطلق كلمة خصاصة على كل ما هو ضيق، فصار تُطلق الخصاصة على الفقر. فيقال: خصاصة، يعني في ضيق شديد من الرزق. فإذا معنى {وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} يعني ضيق وفقر مهما كان ضيق حاله، فقير، برضو يؤثر المهاجر على نفسه.

وده بيودينا لسبب نزول الآية دي، وهي الحديث المشهور لأبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، واحد كان جاي ومحتاج يأكل، ضيف، فبعث إلى نساءه سأل بيوته الأول، فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال عليه الصلاة والسلام: من يضم هذا الرجل؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان. إحنا يا دوبك عندنا العشاء، والعشاء يكفي العيال الصغيرة بس. فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. نيمي العيال، وقولي لهم أي حاجة يناموا، ولعي الضوء كده بس بالراحة ضوء خفيف، قال فهئيت الطعام، وأصبحت السراج، ونومت الصبيان. ثم قامت كأنها تصلح السراج فأطفاته، يعني الضيف جلس وجلسوا حوله، وبعد كده قامت راحت أطفات السراج، كأن ما فيهوش زيت مثلاً. وبعد كده بدأوا يعملوا أنفسهم بيأكلوا، فجعل يُرينه أنهما يأكلان، وهما لم يأكلوا ولا حاجة، هو اللي أكل لوحده. فبات طويين، يعني جائعين.

فلما أصبح غداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الوحي، الوحي أخبر النبي كل حاجة. فقال عليه الصلاة والسلام: لقد ضحك الله الليلة، ضحك الله الليلة أو عجباً الليلة بصنيعكما، فأنزل الله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)}

وعندنا الموقف الرهيب لسعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف لما قدم عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة آخى النبي عليه الصلاة والسلام بينه وبين سعد بن الربيع، فسعد بن الربيع كان غنياً ما شاء الله، كان أكثر الأنصار مالاً، عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يعطيه نصف ماله، نصف ماله، وهو أغنى الأنصار، فرفض عبد الرحمن بن عوف، قال: دلني على السوق. دلني على السوق. دي الوسطية، الكرم قصاده عفه. ناس تقول فين زي سعد؟ فنقول فين زي عبد الرحمن بن عوف؟ لما ضاعت عفة عبد الرحمن بن عوف ضاع كرم سعد بن الربيع في المجتمع. عبد الرحمن رفض، دلني على السوق، ونزل واشتغل وتكسب وتزوج. النبي عليه الصلاة والسلام شافه يوم قال له: مالك؟ شكلك كدا ليه؟ قال له تزوجت. قال كم سوقت يعني لها من مهر؟ قال: نواة من ذهب، اشترى شوية ذهب حلوين. أنا عايز أقول: الأنصار يا جماعة بيعملوا إبداع لم يحدث في التاريخ في استقبال مهاجر لبلد غريبة. لدرجة أن الصحابة المهاجرين أنفسهم يعني كانوا يقولوا: يا رسول الله ما رأينا مثل إخواننا، ما رأينا مثل إخواننا، ما رأينا مثل إخواننا في مواساة في فقر، في مواساة في قليل أو بذل في كثير، والله يا رسول الله خشينا أن يذهبوا بالأجر كله بسبب إن هم كل حاجة بنعملها هما من يعطونا هذه الحاجة، خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال عليه الصلاة والسلام: لا، ما دعوتهم لهم، وأثنيتم عليهم، لأن من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له.

سبحان الله يعني حاجة عجيبة جدًا، قال: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**. يقول لك: الإيثار هو إن أنت تقدم أخيك على نفسك في أمر دنيوي، لأن الأمور الأخروية لا يوجد بها الإيثار، عشان كده النبي عليه الصلاة والسلام قال إن إحنا ممكن نستهم على الصف الأول، ما فيش إيثار في الصف الأول. سعد بن خيثمة: في غزوة بدر كان عايز يطلع هو وأبوه في غزوة بدر، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال لأنتم عندكم بنات إما أنت أو هو فلم يرضى سعد أن يتنازل لأبيه عن الغزوة فاضطر النبي عليه الصلاة والسلام يعمل بينهم قرعه فطلع سهم سعد بن خيثمة ودخل غزوة بدر، واستشهد فيها رضي الله عنه وأرضاه.

الإيثار مش بيكون في أمور الآخرة، إنما يكون في أمور الدنيا. فأنا عندي أمر دنيوي، مال، مسكن أي حاجة، الإيثار هنا بقى، الإنسان يؤثر أخوه عليه ويكون الإيثار أعلى لما يكون في احتياج، في احتياج كمان لهذا الموضوع. شوف بقى المنافقين في المدينة بقى كانوا كارهين المهاجرين جدًا، قالوا دول جم وأخذوا أكلنا وشربنا، وكانوا حتى يقولوا: **{لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا}** (المنافقون: 7) سبحان الله.

ثم قال تعالى... بص أنا بتعلم يا جماعة أخلاق، كل كلمة بقولها دي درس: حب في الله، ثم الإيثار، الكرم إنك أنت ترجوا الفضل من الله حتى لو كان بك خصاصة. النبي عليه الصلاة والسلام يقول إيه؟ يقول: **"أفضل الصدقة جهد المقل"**. يعني لما تبقي الدنيا قليلة معاك وتتصدق. أفضل الصدقة جهد المقل. وقال عليه الصلاة والسلام: **"سبق الدرهم ألف درهم"**. قالوا إزاي؟ قال: واحد عنده درهمين طلع واحد، واحد عنده أموال كثيرة جدًا طلع 1000 درهم، كده مش فارق معاه يعني. المسألة مش بكبر الصدقة وإنما بما وقع في القلب من البذل.

الأنصار يا جماعة تجاوزوا كل المراحل اللي أنت يعني تتخيلها في البذل والعطاء، تمام؟ لذلك يقولون: إن المحن هي التي تظهر معادن الناس، ساعة الأزمة يعرف الرجال، وساعة لما أقع بيتعرف مين حبيبي. مش وأنا واقف، لما بقع بيتعرف من حبيبي، لما أحتاج بيتعرف مين صديقي. إن طول ما أنا مش محتاج مش هعرف أميز صديقي من عدوي. لذلك قال الشاعر: جزى الله الشدائد كل خير عرفتُ بها عدوي من صديقي.

سبحان الله. وربنا قال: **{وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)}** يعني من يتقي شر الشح ده عدى، يعني إيه شح؟ وإيه الفرق بينه وبين البخل؟ هقول لكم كذا احتمال الأول: قالوا الشح هو شيء زائد على البخل، الشح أن تبخل بما في يدك وتريد ما في أيدي الآخرين، أما البخل فهو أن تبخل بما في يدك بس. فالبخل هنا أقل من الشح وقيل: الشح هو بخل مع حرص، يعني بخل وكمال حتى اللي طلعت مع بخلك بتبقي نفسك بتطلع معاه. وقيل: البخل أن تبخل على غيرك، وقالوا الشح أن تبخل على غيرك وعلى نفسك، وقيل: البخل أن تبخل بالحق الواجب عليك، وقيل الشح: أن تأخذ أموال الناس ظلماً،

كمان أنت مش بس مش بتطلع الواجب اللي عليك لا ممكن تأخذ كمان اللي في إيد الناس ظلم وعدوان. لذلك الشح عموماً هو أسوأ من البخل.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إياكم والشح، فإنما أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا". الشح ده لو واحد فيه، الشح ده والله سواد، خاصة لو كان في بيت ولا زوج ولا أب. النساء بتعاني من الزوج الشحيح ده، يبقي التلاجة فاضية ما فيهاش حاجة، مش بيحيب لهم أكل مش بيسأل فيهم، ممكن هو ياكل ولا يحضر لهم، هو ياكل لوحده، وممكن ما يجيبش أكل لنفسه كمان وأحياناً من شحه ممكن يبيع التلاجة نفسها ويسيب البيت كدا يقولهم اتصرفوا، معاناه مش بيحيب هدوم، مش بيحيب حاجة في العيد. الشح يا جماعة مهلكة وبعد كدا بيحمل الإنسان علي قطيعة الرحم، لأنه يبخل بالحق على أخوانه ويحصل أكل أموال يتامى، ويحصل أكل موارث. أكبر مصائب تحصل في العائلات بسبب مرض الشح اللعين ده.

عشان كده: **{وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)}**.

يتعجب من حال الأنصار، الأنصار اللي بنتكلم عنهم دول يا جماعة قبل الإسلام كانوا صعبين جداً، الأوس... والخزرج قامت بينهم حرب أربعين سنة بسبب ناقة. هم نفس الأنصار دول (الأوس والخزرج)، هم دول دلوقتي اللي **{يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ}**، ليه؟ القرآن غير فيهم، وده يدل على أثر القرآن في تغيير النفوس، إحنا نفسنا بنحس بكدا أنت حضرت معانا دلوقتي دورات تدبر، أي حد بيطلع من دورة تدبر بيقولك أن حاسس بتغيير كبير جداً في شخصيتي في حياتي، تخيل بقي اللي كان بينزل عليهم الوحي وهما موجودين. قد ايه القرآن صنع الصحابة، صنع المهاجرين، صنع الأنصار، غير فيهم غير في اخلاقهم وحياتهم، هو ده اللي احنا عايزينه أثر القرآن عليك ايه؟ بقولك الأوس والخزرج تقاتلوا أربعين سنة على ناقة في سباق الآن يعطون نصف أموالهم للمهاجرين وهم سعداء ويحبوهم ازاى؟! ده أثر القرآن. ماذا صنع فيك القرآن؟ ده اللي نتكلم فيه ما فيش حاجة تغيرت يبقى أنت القرآن حجه عليك مش حجه لك **{وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)}** سبحان الله.

طبعاً الأنصار يا جماعة النصوص في الثناء عليهم كثير قوي. النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله». وقال عليه الصلاة والسلام: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». وكان يقول: «الأنصار شعار والناس دثار، لو سلك الناس فجاً وسلك الأنصار فجاً لسلك فج الأنصار، لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار». سبحان الله. طيب إيه موقفنا بقي؟ إحنا مهاجرين الأنصار؟ إحنا بقي اللي جاين بعد كده، ربنا قال: الصنف الثالث بقي: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}** من بعدهم يشمل كل من جاء من بعدهم يعني التابعين وتابعي التابعين لغاية يوم القيامة، بس اللي اتبعوهم بإحسان. ومن علاماتهم الآتي: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}** يعني على طريقتهم، كما قال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ (التوبة: 100)}** على منهجهم، منهج أهل السنة، من علامتهم:

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (الحشر: 10)

من علامة الإيمان بعد المهاجرين والأنصار هو حب المهاجرين والأنصار أولاً، والدعاء للمهاجرين والأنصار ثانياً، وسلامة القلب وسلامة القلب من ناحية المهاجرين والأنصار.

وهذه الآية تدل على مدى البشاعة التي فيها الشيعة، وأن الشيعة يعني من أبعد الناس عن المنهج الحق، لأنهم دينهم مبني على الحقد والغل والطعن والسب في المهاجرين والأنصار، إلا ما كان من آل البيت.

وهذه الآية ترد على الشيعة قاتلهم الله، اللي يقولوا إن الصحابة ارتدوا بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام أو كفروا أو كانوا يخدعوه في حياته. والآية تقول: [رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ] الذين سبقونا بالإيمان تدل على أنهم ماتوا على الإيمان، اللي جاي من بعده يقول: {الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، يبقى ده دليل إنه مات على الإيمان، مش معقول يكون مات على الكفر وأنا بدعيه! ما ينفعش أدعي للكافر: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} (التوبة: 113) فطالما ربنا أمرنا نستغفر لحد يبقى هو مات مؤمن، فهذا رد على الشيعة قاتلهم الله. فالمرتد لا يدعى له بالمغفرة. {اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} يعني الصحابة، الصحابة كلهم ماتوا على الخير.

وربنا راض عن الصحابة في أياما موضع في الحديبية، كان في 1400 واحد تحت الشجرة: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} (الفتح: 18). كيف يُقال عنهم كفره وارتدوا؟! والنصوص المتكاثرة اللي فيها ثناء على الصحابة يعني كل نص فيهم رد قاطع على كلام الشيعة قتلهم الله عن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام. بل ربنا اعتبر أن من علامة الإيمان هو سلامة الصدر، مش بس إن أنت بتدعي لهم، ده سلامة الصدر.

طبعاً معلوم إن الصحابة حصل فتنة ما بينهم بعد مقتل عثمان، حصل واقعة الجمل بين علي بن أبي طالب وبين جيش السيدة عائشة، كان فيها الزبير بن العوام وغيره، والموضوع طويل يعني. كان في اجتهد، المسألة كانت اجتهدية، هم اختلافهم بس كان نثار من قتلة عثمان الأول، أم نبايع علي بن أبي طالب الأول، فاختلفوا، والمنافقين استغلوا الخلاف ده وعملوا وقية بين الطرفين، الموضوع وصل في بعض المواقف للقتال، والزبير بن العوام قُتل، طلحة بن عبيد الله قُتل، ولنفس السبب ثاني حصلت مشكلة بين علي بن أبي طالب وبين سيدنا معاوية، وحصل قتال برضو، الفتنة أكيد كان موقف صعب ما كانش حد يتمنى إنه يحصل، لكن حصل، والصحابة اختلفوا، وصل الخلاف للقتال بالفعل.

لكن هم أنفسهم من جواهرهم قلوبهم سلمت لبعض، وكانوا ندموا على اللي حصل ده، وكانوا بيدعوا لبعض فعلاً، كانوا يببكونا على بعض. علي ابن أبي طالب بكى على طلحة، بكى على الزبير. علي بن أبي طالب رجّع السيدة عائشة إلى المدينة لما الجمل بتاعها قُتل أو أُصيب في واقعة الجمل.

مش وقت إن إحنا نتكلم، ممكن ترجع لدرس اسمه: قصة استشهاد الحسين، شرحت فيه الفتنة كلها من أولها لآخرها. لكن الخلاصة: إيه موقفنا من هذا الموضوع؟ موقفنا أننا لا نتحدث فيه إلا على سبيل البيان يعني أو الرد للشبهات بس، لكن الأصل إحنا بنسكت عما شجر بين الصحابة. هذا منهج أهل السنة: السكوت عما شجر بين الصحابة. ما نقعدش نتكلم كثير في الموضوع ده، وسلامة الصدر تجاه جميع الصحابة سواء الفريق ده أو الفريق ده. سلامة الصدر تجاه جميع الصحابة، لأن هذا شرط الإيمان، وعلامه أهل الإيمان. **{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا}**

فأي حد بيجد غل ناحية الصحابة خرج من هذه الآية. لذلك ورد عن الحسين: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، سيدنا علي كان ابنه الحسين، والحسين له ابن اسمه علي، اللي هو زين العابدين. عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب جاءه رجل عايز يعمل وقية، فقال: ما تقول في عثمان؟ فهم بقى. فقال: هل أنت من الفقراء المهاجرين؟ قال: لا. قال: هل أنت من **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}**؟ قال: لا. قال: فإذا لم تكن من الآية الثالثة الذين يقولون:

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10)}

فأنت لست من أهل الإيمان. أنت واحد من الثلاثة: لو أنت مش من الأولانية ولا الثانية، يبقى لازم تكون في الثالثة أو أنت مش موجود معنا في الإيمان خالص.

سيدنا عمر بن عبد العزيز جاءه رجل فسأله عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة، قال: هذه دماء عصم الله منها سيوفنا فنعصم منها ألسنتنا. يعني ربنا كفانا إننا نكون موجودين في الفتنة دي والحمد لله. فالسكوت هو السنة: نعصم منها ألسنتنا.

قال: **{أَغْفِرْ لَنَا}**. فنقول: ربنا يغفر لمن كان في هذه الفتنة. وطبعاً النصوص أصلاً تدل أنهم كده كده من أهل الجنة، بغض النظر عن اللي حصل في الفتنة. زي ما ربنا قال: **{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وََعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}** (الحديد: 10) هذه الآية دليل أن كل الصحابة في الجنة.

فنقول:

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10)}

طبعاً: الذين آمنوا يدخل فيها الصحابة وغيرهم. ومن نعم الله على العبد أن يطلع الغلّ من قلبه، قالوا الغلّ هو التحامل على الغير. أنت تبقى... يعني أنت في حد متحامل عليه مهما اعتذر لك، مهما تاب أنت مش عايز تفك أبداً. الغلّ زي القيد كده حاجة تضايقك، الغلّ ده عذاب يا إخوانا، عذاب! ولذلك من نعيم أهل الجنة أن ربنا قال:

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ} (الأعراف: 43)

إذا تبين أن من العقوبات ومن الممار في الدنيا أن ربنا يبتليك بالغل. علشان كذا ادعي دايمًا أن ربنا يرفع عنك الغل. والناس في الغل درجات: في ناس يظل الغل معهم دائمًا مهما عملت لا ينزع الغل منه أبدًا وده من أسوء الناس وفي واحد لو اعتذرت له يلين بس بوقت طويل يحتاج مجاهدة وهذا أحسن حالًا يعني. وفي واحد سريع، يعني ببشيل غلّ في الأول وبعد كده بمجرد ما تصلح الأمور ونعتذر، بيُفك بسرعة.

وفي بقى الأعلى واحد: اللي هو مخموم القلب. النبي عليه الصلاة والسلام أثنى: «على التقي النقي مخموم القلب صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فمن مخموم القلب؟ قال: «التقي النقي لا غلّ فيه ولا حسد». يعني ما يحمل غلّ لأحد أبدًا.

ومعلوم أن الرجل من أهل الجنة اللي دخل على النبي عليه الصلاة والسلام ثلاث أيام ورا بعض، يقول: «ليدخلن عليكم رجل من أهل الجنة»، وكان سره في النهاية: قال: أبيت كل ليلة وليس في قلبي غلّ ولا حسد ولا غشّ لأحد من المسلمين. فالدنيا يا جماعة فانية، لا نحمل لأحد غلاً. خدوا الدنيا بما فيها إحنا مش عايزين منكم حاجة. لكن الإنسان يبيت مخموم القلب لا غلّ ولا حسد ولا غشّ. هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى.

فهذه الآية بتقول لك: إذا أردت أن تتخلص من أمراض قلبك فاطلب من الله: أهل الإيمان بيقولوا: يا رب شيل الغلّ من قلوبنا، قول له: شيل العُجب، وشيل الكبر، وشيل الرياء. اطلب من ربنا ما ده من أحد الحلول. واحد يقول لك: شيخ إزاي أتخلص من الرياء؟ إزاي أتخلص من الكبر؟ أول حاجة اطلب من ربنا وبعد كذا نتكلم {وَالَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (يوسف: 33) الفائدة اللي بعد كده: يقول لك أقصر طريق إلى الجنة سلامة القلب. دعاؤك لإخوانك على الغيب علامة على صدق هذه الأخوة. بتدعي لكام واحد كل يوم؟ أنت تقول أخويا في الله وحببي في الله وأختي في الله وحببتي في الله بتدعي لكام واحدة؟ أم الدرداء تقول لقد كان أبو الدرداء يدعو كل ليلة لـ 360 واحدًا من أصحابه. فقلت له: ألا تدعو لنفسك؟ قال: «إني أحب أن يقول لي الملك: ولك بالمثل». وكان الإمام أحمد كل ليلة بيدعو لمشايخه، كان يدعو للإمام الشافعي ويدعو لغيره.

عايزين ندعي لبعض يا جماعة، خلق نتعلمه اليوم نقعد ندعي لبعض كثيرًا: {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (10)

ثم قال جل في علاه: {أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا} مالهم بقى؟

{أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا}

طبعا الآيات هنا متناسبة هو ذكر في الأول المهاجرين والأنصار (أعلى فئة) وبعد كذا المستوى الذي يليه هؤلاء المؤمنين عمومًا

طيب المنافقين في هذه الأمة، الكلام على النفاق، ما فضّلش غير المنافقين. ربنا قال على أهل الإيمان: **{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا}**، مين إخوانك؟ الذين سبقونا بالإيمان، يبقى المؤمن أخو المؤمن، المسلم أخو المسلم. طب المنافقين من إخوانهم؟ إخوانهم اليهود.

وتتناسب برضه: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}**، يا سلام! والأخوة في القرآن تُطلق على احتمالات:

الاحتمال الأول: تُطلق على أخوة النسب العادية، **{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِلسَّائِلِينَ (7)}** (يوسف:7)، أخوة نسب عادية.

وتُطلق على الاشتراك في القبيلة أو البلد، وعلى هذا قوله تعالى عن الأنبياء: **{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا (الأعراف:65)}**، و**{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا (هود:61)}**، فالأخوة المقصود بها هنا الاشتراك في البلد أو القبيلة، وليس الإيمان.

وأحياناً تُطلق على أخوة الدين، زي الموضع هنا بقى: إخوانهم يعني في العقيدة، طبعا المنافقين واليهود ملّة واحدة، الكفر ملّة واحدة.

وقوله تعالى: **{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}** (التوبة:11). فالأخوة أحياناً تُطلق على أخوة الدين، وهنا ربنا وصل المنافقين أخوة لليهود.

وطبعا هم أسوأ من اليهود، لأن اليهودي كافر مصرح بكفره صريح العداوة، لكن المنافق بقى إيه؟ شغال من الباطن، طابور خامس، أصعب من الكافر نفسه، وأخطر منه، عشان كده **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (النساء: 145)}**

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا} مين بقى دول؟ هؤلاء هم عبد الله بن أبيّ بن سلول ومجموعته، عبد الله بن أبيّ بن سلول زي ما تكلمنا المرة اللي فاتت، كان وعد، طبعا لما عرف أن النبي عليه الصلاة والسلام حاصر بني النضير تواصل معهم وثبتّتهم، وعدهم أنه هيجيب لهم غطفان وهيجيب لهم 4000 مقاتل يقاتلوا معهم وهيجيب أسلحة وينصرهم، وقال لهم: أوعوا تمشوا، وأنا مش هطيع النبي عليه الصلاة والسلام أبداً فيكم وأنا هايدكم! ولو خرجتم هاخرج معاكم، ولو قُتلتم هاقتل معاكم، وعود جامدة جداً.

شوف فرق موقف المنافق مع اليهودي، وموقف الأنصار مع المهاجرين. صدق الأخوة، الأخوة المبنية على عقيدة سليمة، هي دي اللي تثمر أفعال صادقة. والأخوة المبنية على عقيدة فاسدة بتثمر أفعال كاذبة.

{يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} يعني بني النضير: {لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا}. {لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ} ولم يخرج معهم، {وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا} يعني لا نطيع النبي عليه الصلاة والسلام مهما قال فيكم، {وَأَنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ} قال هنجيب غطفان وهنجيب 4000 مقاتل ولا حصل اي شيء. قال تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)}

تعالوا نقول كذا فائدة:

فائدة أولى: حرص المنافقين على بقاء اليهود.

قال لك ليه؟ قال لك لأن المنافقين بقاؤهم أصلاً مرتبط ببقاء اليهود. عادة المنافقين أصلاً حياتهم قائمة على الكفار. عشان كده هم بيقولوا: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} (المائدة: 52)، خافوا إن الدولة تبقى للكافرين، فيبينوا لهم الولاء بدري بدري عشان يكسبوا موقف ينفعهم بعد كده.

المنافق حريص على بقاء الظهير بتاعه، اللي هو الكافر سواء يهودي أو غيره، بيدافع عنه باستماتة، ويحاول ينصره في أي موضع. لذلك من علامات المنافق أنه سليط اللسان على المؤمنين، لطيف اللسان مع الكافرين.

ربنا في سورة الأحزاب قال عن المنافقين: {سَلَقُواكُمْ بِالْسِنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ}.

المنافقين في غزوة أحد قالوا: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} (آل عمران: 167). دي من علامات المنافق. مع المؤمنين يبيعهم، مع المؤمنين يخذلهم، مع المؤمنين سليط اللسان، مع المؤمنين يثبطهم.

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} (الأحزاب: 18)

المنافقين بيقولوا: {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} (الأحزاب: 12)

والمنافقين بيقولوا: {إِنْ بَيُّوتُنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} (الأحزاب: 13).

يجي بقي عند الكافر يقول له هنصرك واقف معك وتبرعات وما إلى ذلك، تعرف على طول إن ده

منافق: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} (محمد: 30).

قال تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)}.

{لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (12)}

خد بالك هذه الآية خطيرة جداً فهي دليل على أن علم الله شامل لا يغيب عنه شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

يعني ربنا يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون — دي مفهومة — ويعلم كمان الشيء اللي مش هيحصل، لو كان حصل، كان هيحصل إزاي.

ومش استنتاج أو تخمين، بل علم. الله لما قال:

{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الأنعام: 28)

ما تقولش ما يمكن ما يرجعوش، أفهم ده مش غلبة ظن ده علم، الواقع لن يخالفه أبداً. **{وَأَمَّا الْعَلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا}** (الكهف: 80)، ده كان هيحصل بالفعل ما تقولش ما يمكن لما يكبر كان هيبقي كويس، لا ده علم **{لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ}**، ده حصل بالفعل، فده علم ما سيكون. وربنا يتكلم عنه: **{وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ}**، ودي لم تحدث هما أصلاً لم يقاتلوا، فربنا هنا بيخبر ما لم يكن لو كان كيف يكون.

لو حصل حتى ما كانوش قاتلوا معهم، **{وَلَيْنَ قُوتِلُوا}** لو حصل ذلك، **{لَيُؤَلَّنَّ الْأَدْبَرَ}** بمجرد بداية المعركة هيفروا علطول ويخذلوهم فوراً، لأنهم أجبن ناس، أجبن ناس المنافقين هو أصلاً المنافق بقي منافق ليه؟ بسبب الجبن يعني الكافر أشجع من المنافق بكثير، الكافر أظهر العداوة، وعنده استعداد تحمّل تبعات الموضوع ده من قتال ومن أي حاجة. المنافق بقي أصلاً ما عندوش استعداد ولا شجاعه إنه يواجه أصلاً المؤمنين، علشان كده: **{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ}**، هو ده اللي خلاه ينافق أصلاً.

هو لو عنده شجاعة كان أظهر كفره وتحمل التبعات، لكن هو أصلاً جبان. يعني إزاي حيقاقل المؤمنين وينصر اليهود إذا كان أصلاً هو منافق جبان؟ ما يقدرش يظهر كفره، فبيبطن كفره ويظهر إيمانه علشان جبان فازاي مرة واحدة يتحول إلى مقاتل ضد المؤمنين؟ هذا يستحيل علشان كذا ربنا قال: **{وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ}** فرضاً أول ما تبدأ القتال **{لَيُؤَلَّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12)}**.

يبقى ربنا قال لنا: علم ما لم يكن لو كان كيف يكون. ثم قال: **{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ}** يعني الصحابة بقي أشد رهبة في صدورهم من الله. قال لك: الرهبة هي خوف مع تعظيم.

تعرف ممكن واحد يخاف من صرصار (مش بيعظمه يعني) ، يخاف من الظلمة، فده خوف مش رهبة لكن مثلاً بخاف من بطل شجاع ده خوف مع تعظيم، بخاف من أسد، هنا في رهبة يبقى بقول ان هنا في تعظيم شوية ربنا بيقول انهم لا يخافوا منكم خوف عادي، لا علشان تعرف بس قيمتك كمؤمن، لما تبقي مؤمن ربنا يجعل فيك مهابة كدا، علشان كذا قالوا:

من خاف من الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف من الله أخافه الله من كل شيء. ربنا يخلي المؤمن قدام المنافق زي الأسد، ممكن أنت تقول أنا مش جامد أوي بس هو شايفك كذا هو جبان، ربنا بيكسوك بحلة الإيمان فبيكون هو عنده رهبة منك، علشان كذا لازم تتعاملوا بقوة كذا أنت لست ضعيفاً.

هو مش جامد هو خايف منك حتى لو أنت شايفه بيحاول يخبي خوفه، لكن كل ما كان إيمانك أقوى كل ما يكون ليك مهابة كده في نظره، هو ربنا قال لنا كذا: **{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ}**.

بس طبعا مش أي حد، **{لَأَنْتُمْ}** دي يعني الصحابة ومن كان مثلهم. مش أي مؤمن اللي هو مؤمن لا يصلي لا لا.. المستوى ده كل لما كان إيمانك قوي جدًا كل لما الناس تهابك،

يا جماعة الناس كانوا بيشفوا الصحابة كانوا بيستسلموا، يسمعو أنهم قادمين يفروا، سيدنا خالد بن الوليد حاصر حصن وقال لهم أتيتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة. والله لو صعدتم إلى السماء لرفعنا الله إليكم ولقاتلناكم في السماء، استسلموا. سبحان الله، رهبة عجيبة، لكن هذا الجيل هو اللي شبه كده، ربنا قال: **{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ}**.

ليه؟ ذلك لأنهم قوم لا يفقهون.

قال لك: الفقه والفهم، هم لو بيفهموا، كانوا خافوا من ربنا أكثر ما بيخافوا من النبي آدم، لكن هو بيخاف من بني آدم أكثر من خوفه من ربنا عشان هو ما بيفهمش.

واللي بيفهم ما يخافش من بني آدم، يخاف من ربنا.

اللي بيفهم ما يقدّمش الخوف من البشر على الخوف من ربنا.

اعمل حساب ربنا أكثر من حساب الناس لو بتفهم.

واللي ما بيفهمش هو اللي يقدّم رضا الناس على رضا الله، اللي يسخط الله عشان يرضي الناس.

اللي بيّفقه يعلم أن الأمر بيد الله، والملك بيد الله، والمصير بيد الله، ورزقك بيد الله.

لو بتفهم، لا ترضي الناس على حساب ربنا.

قال: **{لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ}**.

جميعًا يعني المنافقين مع بعض، أو جميع يعني المنافقين مع اليهود، ما يقدرش يقاتلك وجهاً لوجه،

لازم من وراء جُدُر، لأنه جبان سواء هو أو هو واليهود.

وده ظاهر شوف معارك اليهود معانا عاملة ازاي؟

حتى عاملين جدار هنا فعلاً الجدار العازل مع الفلسطينيين ده، كانوا عاملين خط بارليف معانا احنا

كمصريين، دائماً في جدار.

سبحان الله، المعارك كلها من وراء هذا الجدار، بالطائرات، بالقذف، بالصواريخ، ما فيش مواجهة

مباشرة.

علشان كدا أي نزول بري يخسروه، ما يعرفوش يقتحموا غزة برّيا، مستحيل، عارفين أنهم خسرانين في المعركة دي لكن طائرات بقي وصواريخ من وراء الجدار هو بيشتغل كدا عادي دي بالنسبة له ما فيهاش شجاعة.

دائماً يقول لك: الرمي ما فيهوش شجاعة، إنما الشجاعة في القتال المباشر، مواجهة، الالتحام. أنتم عارفين الروسي اللي اخترع الكلاشينكوف، كلاشينكوف اللي هو الرشاش المشهور، لما اخترعه قال كلمة جميلة قوي، قال: **اليوم ماتت الشجاعة.**

طالما هنضرب من بعيد الجبان هيتساوى مع الشجاع، علشان كدا الشجاعة في المواجهة المباشرة فيها التحام، النبي ﷺ لما وصف الشهداء ليه يُؤْمِنُوا من فتنة القبر قال: **(كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رُءُوسِهِمْ فِتْنَةً).**

المواجهة دي كانت صعبة جداً، فدائماً المنافقين أو المنافقين واليهود، يقاتلك **{مِنْ وَرَاءِ جُدْرٍ}**، من وراء قرى مُحَصَّنَة، لا يستطيع مواجهتك مواجهة مباشرة، وده بيخليك عارف إنك قوي وشجاع، أعرف إنك قوي وشجاع بفضل الله سبحانه وتعالى.

قال: **{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}.**

يعني هم مع بعض دائماً مختلفين، **{تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}**، هم مختلفين لأنهم يحركهم الأهواء في الدنيا، ما فيش عقيدة ثابتة، وعارفين عقائدهم باطلة، وعارفين كل ده أصلاً بيعملوه عشان الدنيا، طالما بنجتمع على الدنيا يبقى أكيد هنختلف.

المسلمون يجتمعوا في عقيدة لا يختلفوا هم أهل السنة والجماعة **{تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}**، عشان كده حريصين إنك تبقى موجود كعدو، إنهم لا يجتمعون إلا على عداوة المسلمين، هذا هو ما يجمعهم دائماً.

شوف الكفار في الحرب العالمية الأولى والثانية عملوا في بعض إيه! عارف بعد ما انتهت الحروب دي بدأوا بقي في تأسيس دولة اليهود، علشان يجدوا عدواً مشتركاً ما بينهم اللي هو المسلمون ويتحدوا عليه وتنتهي الحروب ما بينهم. ودلوقتي بدأت تاني المعارك ما بينهم: أوكرانيا وروسيا والقصة دي، ولو فُتِحوا في الخلاف، هتقوم حرب عالمية ثالثة ستقضي على الأخضر واليابس. إنهم كمنظر مجتمعين، كحقيقة مختلفين تماماً، ومنافقين كذلك.

قال: **{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}** يعني لما يقعدوا مع بعض يعملوا رجالة زي ما بنقول كدا يفضل يقول هعمل وهسوي وهوري المؤمنين، لكن لما يجي يطلع بقي قصاد المؤمنين أجبن واحد! **{تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14)}** ليه لا يعقلون لأن العاقل يعلم أن الاجتماع قوة، والعاقل يعلم أن الفرقة فشل وهزيمة، فالعاقل لا يختار الفرقة، العاقل لا يختار إلا وحدة الصف، ويعلم أنها السبيل للنصر على الأعداء.

{وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا} (الأنفال:46)
وقال تعالى أخيراً: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15) }

يعني هيحصل فيهم زي اللي حصل من قبلهم قريباً.
مين اللي كانوا قريباً منهم؟ بنو قينقاع.

بنو قينقاع لما كشف عورة امرأة وقتلوا مسلم طردهم النبي ﷺ.

وقيل: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} الكفار في بدر، لما حصل منهم برضو الكفار {ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} حصلت لهم الهزيمة.

فلا تعلموا من بني قينقاع؟ ولا تعلموا من المشركين في بدر؟
بس خرينا نقف هنا حتى لا نطيل عليكم، ونبدأ من الآية الجميلة اللي بعديها، اللي فيها كلام كثير:
{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ}

بس الحمد لله قدرنا نخلص الجزء بتاع النهارده، يا رب نكون استفدنا منه كثير، ويا رب إن إحنا نجتهد في حفظه حفظاً قوياً جداً بعد ما فهمناه، ونترد عن الصحابة ونحب الصحابة.

وقولوا لي بقى في الكومنتات: إيه الفوائد والثمرات اللي طلعت بها من محاضرة النهارده؟
يا رب نكون استمتعنا باللقاء في سورة الحشر، لسه الجزء جميل، وهنشوف حياة روعة في جزء "قد سمع".

أبشروا وانتظروا الدرس القادم عشان درس خاص جداً مميز جداً.
تقبّل الله منا ومنكم صالح الأعمال.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قَدْ رَسَلَهُ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

السادسة

المصيصة والنجاة | الحشر (١٦ - ٢٤)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في اللقاء السادس من لقاءات دورة مدارس جزء قد سمع. بفضل الله انتهينا من سورة المجادلة في ثلاث لقاءات، وأخذنا لقاءين في سورة الحشر، واليوم بإذن الله تعالى اللقاء الثالث في سورة الحشر، إن شاء الله نكملها اليوم، فيكون بذلك قد تم الانتهاء من سورة الحشر في ثلاث لقاءات أيضًا.

سورة الحشر كما اتفقنا تحدث أصلاً عن غزوة بني النضير ابتداءً، وتطرق بعد ذلك إلى الكلام على الفيء وأحكامه، ثم تحدثت عن فضل المهاجرين والأنصار، وفضل من جاء بعدهم ممن يتصف بسلامة الصدر والاتباع بإحسان.

ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن صفات المنافقين وحالهم، وضربت لنا مثلاً بما حدث من موقف المنافقين المخيب لآمال اليهود الذين اعتمدوا عليهم.

ثم تمضي السورة في بيان مكر الشيطان بالإنسان، وكيف يُوقعه، وتحدثنا عن الاستعداد للعمل الصالح ولقاء الله وعدم نسيانه سبحانه وتعالى.

فلنتحدث سوياً في هذا الجزء بعد أن نقرأ آياتنا اليوم، وأتمنى أن نحفظها معاً، فنحن نقوم بكل هذا التيسير لأجل أن نحفظ السورة، فلا تُضيعوا هذه الفرصة بعد كل ذلك. لن تجدوا فرصة أفضل من هذه لحفظ السورة، لأن سور "قد سمع" فيها بعض الصعوبة في الحفظ، لكن الفهم يُسهّل الحفظ كثيراً، فارجوكم لا تُفوتوا هذه الفرصة.

يلا بنا نقرأ الجزء المقرر اليوم، من قول الله تعالى:

﴿كَمْثِلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفَرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)﴾.

هذه الآيات الكريمة التي خُتمت بها هذه السورة الطيبة المباركة، اختُتمت بعدة أمور كما بيَّنا، فقد خُتمت بحديث عن مكر الشيطان بالإنسان، وربط ذلك بما حدث في غزوة بني النضير، والعلاقة التي كانت بين المنافقين واليهود.

ثم تحدثت السورة عن الخلاصة، فكل سورة تخرج بخلاصة مضمونها، وهي أن على الإنسان أن يستعد للدار الآخرة، ويُقدِّمها على الدنيا، ويتفكر فيما هو آتٍ عليه غداً، ولا يكون كالذين نسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم، فيخسر كل شيء، لأن أصحاب الجنة هم الفائزون، ولن يستووا أبداً مع أصحاب النار.

ثم تطرقت السورة إلى بيان طريق الفوز والنجاة، فقالت: النجاة تكون بالاهتمام بالقرآن، والعناية بتدبر معانيه، وتعرض القلب للوحي مع الرغبة في العمل، فيخشع القلب ويتصدع من خشية الله، ويتفكر الإنسان ويعمل.

فإذا وجد الإنسان في قلبه قسوة، فذلك لأنه لا يعرف ربه، فتعالَ نعرفك بربك:
{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.

وخُتمت السورة بتعريف عظيم بالله سبحانه وتعالى، تعريف يُغيّر القلب فعلاً، كما سيأتي معنا في بيان المعاني.

فلنبدأ بقوله تعالى:

{كَمْثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ}،

كلمة **{كَمْثَلِ}** هنا...

نحن في اللقاء السابق وقفنا عند المنافقين الذين خلوا باليهود:

{لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ}.

وبالفعل هو ده اللي حصل؛ فاليهود كما حصل مع عبد الله بن أبي بن سلول، الذي عَشَّمَ اليهود، وقال لهم: هجيب لكم غطفان، وهجيب لكم أربعة آلاف مقاتل، وأسلحة، وكلام كبير، ولكن في النهاية لم يحدث شيء من ذلك، بل في يوم الجلاء كان جالساً يأكل ولم يُبالِ بأمر اليهود، وفعلاً خَلَّى بهم وخذلهم تماماً.

قال الله تعالى في النهاية: **{كَمْثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا}**، يعني لم يَعْتَبِرُوا بمن كان قبلهم كبني قينقاع، أو لم يَعْتَبِرُوا بالمشركين يوم بدر وما حصل لهم.

ثم ربط الله سبحانه وتعالى هذا الموقف بأمرٍ أعظم وأخطر، فقال: **{كَمْثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}.**
يعني إيه **{كَمْثَلِ الشَّيْطَانِ}**؟

أي: أن هذا المثل يُشبهه تماماً ما فعله المنافقون مع اليهود، فهو نفس ما يفعله الشيطان مع الإنسان؛ إذ يُوعده، ويُمْنِيه، ويُعَشِّمه حتى يتورَّط، فإذا تورَّط، قال له: سلام! واختفى، وباعه تماماً. وهي دي دائماً حيلة الشيطان مع الإنسان، كما قال الله تعالى:

{يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}. (النساء: 120)
وقال سبحانه:

{وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا}. (النساء: 119)

وبالتالي ينبغي للإنسان أن يكون على حذر، ويعلم أن هذه هي طريقة الشيطان؛ تماماً كما فعل المنافقون مع اليهود، والنتيجة كانت الجلاء والهزيمة والطرده، وكذلك من اتبع الشيطان ستكون عاقبته الخسارة، يخرج من دينه كما خرج اليهود من المدينة، ولن يفوز لا في دنياه ولا في آخرته.
قال الله تعالى: **{كَمْثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ}.**

طيب، نقف هنا عند قوله: **{إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ}**، من هو هذا الإنسان؟
هناك احتمالان:

الاحتمال الأول: أن أل في "الإنسان" هي أل الجنس، أي إذ قال للإنسان عمومًا، لجنس الإنسان، فيكون المعنى: أن الشيطان يقول ذلك لكل البشر، فهو لا يخص إنسانًا بعينه، بل يُغوي الجميع، وهذا وارد بل الأقرب لتفسير الآية لأن لا شك أن الشيطان يفعل ذلك مع عموم الناس وليس شخص بعينه، كما فعل مع المشركين في بدر؛ قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. (الأنفال: 48)

وهكذا يظل الشيطان على طريقته مع الإنسان، يُزيّن له الباطل، حتى إذا جاء يوم القيامة تبين أنه كان يُضلّ الجميع، ولكن المغفلين كثيرون! قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (إبراهيم: 22)

تخيّل أن من آلام النار أن يسمع الإنسان هذه الخطبة من الشيطان نفسه! هذا في حد ذاته عذاب أليم، كافٍ أن يمزّق القلب ندماً وحسرة. فالعاقل لا يُغفل، بل يُدرك الفخّ من الآن.

إذن القول الأول: أن "أل" هنا لبيان الجنس، أي أن الشيطان يفعل هذا مع جميع البشر. القول الثاني: أن "أل" هي أل العهد، أي أن المقصود إنسانٌ معيّن معروفٌ في الذهن، بمعنى لو مثلاً نجلس سوياً وأنا بشرح تفسير مثلاً وقولتلك ادخل: "هات لي الكتاب"، وأنت عارف أنني بشرح من كتاب معين فدخلت أحضرته رغم اني لم أذكر أي كتاب.

- وأنا طبعاً بنصح دائماً في التفسير بكتاب المصباح المنير مختصر تفسير بن كثير - وقد أخذ أصحاب هذا القول (أل العهد) بما ورد عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، وتابعهما بعض التابعين كقتادة، حيث فسروا الآية على أنها تشير إلى قصةٍ مذكورة في كتب بني إسرائيل، وهي القصة المشهورة بقصة برصيصا العابد — بغض النظر عن صحة الاسم — وهو أحد عبّاد بني إسرائيل، يُعرف بـ "برصيصا العابد".

وله قصة طويلة كده هنحكها دلوقتي، بس قبل ما نحكيها نفهم: هم السلف عملوا إيه؟ ده ببسموه استعمال الإسرائيليات في التفسير.

ليه السلف بيستعملوا الإسرائيليات في التفسير؟ السبب إن بعض القصص عند بني إسرائيل أحياناً بتبقى مطابقة لآية عندنا، أو مناسبة لآية موجودة في القرآن، فالقصة بتبقى فعلاً منطبقة على الآية دي، ويكون مثلاً أحد الصحابة ولا التابعين قرأ القصة دي عند أهل الكتاب، والقصة مفيهاش حاجة تُنكر، قصة شكلها كويس، وفيها عبرة، والنبى عليه الصلاة والسلام بيقول: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

فيأتي المفسر يجيب القصة دي يربطها بالآية. ليه يربطها بالآية؟ علشان يوضح المعنى أكثر، علشان يعمل ثراء في المعنى، لكن هل الآية دي نزلت بسبب القصة دي؟ أكيد لأ. ليه؟ لأن في قاعدة مهمة بتقول لك إن سبب النزول بيكون بعد الحدث مباشرةً.

البعض يقول لك سبب نزول الآية دي قصة برصيصا العابد، غير صحيح. سبب النزول بيكون مقارب للنزول، مينفعش أقول دلوقتي الآية نزلت والنبي عليه الصلاة والسلام في عهد النبوة، وسبب نزولها قصة عند بني إسرائيل. لكن السلف لما يقولوا: نزلت هذه الآية في برصيصا العابد، يقصدون إن الآية تنطبق عليه، مش قصدهم إن هو سبب النزول يعني إن حصلت القصة فنزلت الآية، أكيد لأ، قصة من مئات السنين، إيه علاقتها بالآية؟

لكن لما السلف بيستعملوا مصطلح "هذه الآية نزلت في فلان"، مش دائماً بيقتصدوا إن ده سبب النزول، أحياناً بيقتصدوا أن الآية تنطبق على فلان، أو أن فلان مثال واضح للآية دي. دي قاعدة تتعلمها في أسباب النزول عموماً، إن السلف دائماً بيستعملوا المصطلح ده كتير: "نزلت في فلان"، "نزلت في كذا". كلمة "نزلت فيه" دي بيبقى غالباً مش هو ده سبب النزول، بيبقى غالباً القائل يقصد إن الآية دي منطبقة على فلان، أو هو مثال لهذه الآية.

زي ما يقولوا مثلاً: {وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} (الأعراف: 175)، فتلاقي بعض السلف يقول: نزلت في بلعام بن باعوراء، كان أيضاً عالم في بني إسرائيل وانتكس والكلام ده، والبعض يقول: نزلت في أمية بن أبي الصلت، اللي هو كان قبل الإسلام بيتكلم كلام حلو عن الدين، فلما النبي عليه الصلاة والسلام، هو اللي نال النبوة، هو بقى انتكس وبعد خالص. فيعني إيه "نزلت فيه"؟ يعني بيقولوا الآية دي تنطبق عليه، مش معنى كده إن ده سبب النزول الحقيقي الصريح، بل ببسموه إيه؟ يعني يربطوه بيه على سبيل ضرب المثال يعني. المهم إن لما تقرأ قصة **برصيصا العابد** في الموطن ده في أي تفسير، اعرف إن ده مجرد نقل للسلف للقصة دي في الموطن ده علشان يزيدوا الآية بياناً بس، مش أكثر، لكن مش قصة برصيصا العابد هي سبب النزول.

فضلاً إن القصة أصلاً إحنا بنحدث بيها وإحنا مش متأكدين هي صح ولا غلط؛ لأن دي من قصص بني إسرائيل، والنبي عليه الصلاة والسلام لما أذن في الحديث عن بني إسرائيل قال: "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، يعني أنا معرفش مش متأكد القصة دي حصلت بجد ولا لأ، مفيش سند ليها، لكن بقولها، هي شكلها حلو، زي ما بيقول كده "شكلها حلو" يعني متضرش نقولها، والله طلعت صح استفدنا كتير، طلعت غلط متضرناش يعني تمام؟ بس فيها عبرة حلوة، فدايمًا تلاقي الآية دي يربطوها بقصة برصيصا العابد؛ لأنه مثال صارخ، مثال صارخ على القاعدة دي، إن الشيطان فعلاً بيضيع الإنسان وبيخذه بعد ما يورطه ويمنيه، فالقصة مشهورة.

خلينا نحكيها بقى طالما تطرقنا ليها، وهي إنه يُقال عند بني إسرائيل إن كان فيه أربعة من اليهود وكان ليهم أخت، فالأربعة دول اكتتبوا في غزوة، المفروض يطلعوا غزوة، فالغزوة كانت بتطول، ممكن تقعد سنة ولا حاجة، فكان عندهم أختهم مش عارفين يسيبوها فين، فكان فيه راهب عنده صومعة عايش جنبهم، قالوا له: خد أختنا خليها معاك، قال: لأ، مش هينفع تفضل معايا، قالوا له:

خلاص، إحنا هنخليها في بيتها في مكانها، وأنت بس رجاء يعني اهتم بيها وبطعامها وشرابها والكلام ده، قال لهم: طيب خلاص ماشي.

بعد ما سافروا بدأ هو للاحتياط الشديد علشان ما يخالطهاش والكلام ده، كان بيحتاط جدًّا، كان يصنع طعامًا ويحطه على باب بيته هو أو صومعته هو، وهي تيجي تطلع من البيت تاخذ الطعام وتخش تاكل، ولا كلام ولا سلام ولا أي حاجة. بعد كده الشيطان قال له: يعني الست تطلع ودي عورة وتنكشف وحد يأذيها ولا حاجة، ما أنت تحط الطعام عند بيتها مش هيحصل حاجة. لغاية دلوقتي مفيش حاجة فعلاً، علشان تعرف بس إن الشيطان أحياناً بيرضى منك بخطوات تبدو طاعات، ها؟ هيقول للأخت تواصلتي مع الأخ دي دعوة وفكره بالله، وأنت تواصل معاها يعني برضه ذكروا بعض بالجنة وصحوا بعض الفجر، الشكل العام في الأول مفيش حاجة، تعاونوا في جمعية خيرية، اعملوا خير مع بعض، وده خير بنعمله، وكونوا في مكان واحد، وقربوا من بعض، ومفيش مانع نهزر شوية، مفيش مانع إحنا بنتعاون، دي جمعية خيرية.

قال له: قرب بس الأكل من الباب بدل ما الست تطلع، ما توصلها البيت، بدل ما تروح لوحدها. نفس الكلام، كل كلمة بقولها هتفتكري حاجات كانت بتحصل، فللأسف أحياناً بتحصل ممن يبدو عليهم الصلاح ويبدو عليهم التزام، وده اللي بنتخدع فيه أحياناً، والعكس بالعكس ممكن يحصل ممن تبدو عليها الصلاح خطوات شيطانية. فانتبه، العبرة ليست بالظاهر، العبرة بالأفعال. أي فعل نشعر أنه خطوة من خطوات الشيطان نقفش ونقفل أوي مهما كان الشخص، مهما كان يبدو هناك أمان في البداية، الشيطان بيخدع الجميع دلوقتي، وحتى الشخص نفسه هو مش عارف إنه بيخدعك. دلوقتي هو برضه نفسه مش هيفهم إلا لما يتورط، ولما أنتم الاتنين تتورطوا هتعرفوا ساعتها إن أنتم الاتنين كنتوا بتتخدعوا.

قال له: حط الأكل عند باب بيتها، ده عمل صالح، بس دي كانت البداية، هو مفهمش كده. وبعد كده قال له: يا أخي، ده أنت لا تحدثها ولا تسلم عليها؟ طب ما هي تاخذ الأكل وأنت من بره، كده سلم عليها، اسأل عليها من بره الباب، تؤانس وحشتها شوية. فبدأ من بره الباب يسأل عليها ويكلمها: عاملة إيه؟ وأخبارك إيه؟ والكلام ده زي برضه ما بيحصل كده. كل كلمة بقولها أنت وأنت بترجمها لحاجات حصلت معاك بالفعل، لغاية ما وصلنا لعلاقة محرمة. مش قصدي أنتم، تمام؟ يعني ناس وصلت.

لغاية ما وصلنا إحنا اتورطنا في حاجات مش كويسة، كان الموضوع بدأ بحاجة شبه كده: طب ما نسأل على بعض؟ طب مفيش مانع نبعث حاجات كده، نخش على الخاص نطمن، خلي بالننا.

بعد كده قال له: يعني أنت واقف بره؟ لا هي شايفاك ولا أنت شايفها؟ طب ما تخش البيت، اقعد معاها، سلم عليها وأنسها، بدل ما هي مش شايفاك يعني يبقى حتى راجل يحميها. طبعاً، إيه؟ فهمنا إحنا دلوقتي دخل وكلمها وأكل معاها وأتأنس بيها وحصل المحذور، والموضوع اتطور. وبعد كده اتفتن بيها ووقع عليها و زنى بها كمان، والزنا ده كمان حملت، فلما حملت، خاف إن إخوانها يرجعوا ويعرفوا المصيبة، فراح قتلها ودفنها.

ده كان عابد في صومعة، وكم من عابد في صومعة نزل من صومعته وضاع بسبب هذه الخطوات اللي بدأت بس بـ ما تسأل عليها، ما تاخذ رقمها، ده عمل خيري. وكم من أخت في صومعة كانت عابدة، كانت طالبة علم، كانت يعني... اللهم بارك، لبسها شرعي، كانت لا تكلم رجل، وما زال الشيطان يتلاعب بيها لغاية دلوقتي، متورطة في حاجة مكنتش تتخيل. تتخيل في يوم من الأيام إن مثلها يعمل كده. لكنها الخطوات، والشيطان بيمني، هو كان كل ده بيمنيه، صح؟ لغاية ما إخوانها رجعوا.

قالوا له: فين أختنا؟

قال لهم: مرضت فماتت.

صدقوه، راجل صالح، يعني مش معقول يكذب علينا. الشيطان بقى جالهم في المنام. الأربعة جالهم في المنام في نفس الليلة ونفس المنام، وقال لهم في المنام: إن الراجل ده كذاب وإنه قتل أختكم وقبرها في المكان الفلاني. صحوا، حكوا لبعض المنام، طلعا الأربعة شافوا نفس المنام في نفس الليلة، فصدقوا المنام، راحوا لقوا القبر ولقوا أختهم مقتولة، جابوا العابد وعزموا على قتله. فأتاه الشيطان وقال له: أنا اللي عملت فيك كل ده، وأنا اللي أقدر أطلعك منه.

قال له: تطلعني إزاي؟

قال له: تسجد لي سجدة واحدة بس.

فسجد له ومات على ذلك.

نسأل الله العافية والسلامة، نسأل الله العافية والسلامة. كل ده بيمنيه، يعني حتى آخر لقطة كانت أمنية. قال له: تسجد لي وأنا هطلعك من كل هذا. فسجد له. خد بالك بقي، كل ده أمني.

هل الموضوع هيجي صريحاً: إن إحنا نعمل حاجة غلط؟ لأ. ده هو كل مرة بيعشمك بالخطوبة، وكل مرة بيوعدك بالزواج، وممكن كمان يكون واحد آسف وبتحصل. أنا بضطر أقول حاجات بتحصل: متزوج أصلاً ويخش لها ويقول لها: أنا ناوي على التعدد، ناوي أتجوز تاني، وهتصرف مع مراتي، وبتاع... والموضوع كله خداع. خداع. اللي عايز الصح كان ييجي من الباب، مش هيقعد يلف الالف الالتوائي ده.

طب ابعتي لي صورة أشوفك، طب ابعتي لي صورة أطمئن عليك، صورة في صورة في صورة، وصلنا لصور. مفيش داعي للتفاصيل. إيه اللي جابنا هنا؟ وإزاي صدقتي؟ وأنت إيه اللي وصلك لكده؟ ومين خدعك؟ وإحنا إزاي وصلنا لهذه النقطة؟ ممكن نصحى؟ ممكن نفهم؟ ممكن نفوق بالآية دي؟ ممكن نوقف؟ ولا إحنا مستنيين نبقي الزبون الجديد؟

أنت دلوقتي في نص الطريق، فيه غيرك وقع خلاص من زمان. مش ناويين نتعلم؟ ولا فاكدة نفسك قصة جديدة مش هتتكرر؟ القصة اللي مش هتتطور؟ كله بيتطور، والشيطان مش بيقول للإنسان: "أعص"، لأ، بيقول لك: {أكفر}. هو أصلاً كل ده مش هدفه، هو عايز يوصل للكفر، وفيه ناس وصل معاهم لكده فعلاً. فيه ناس أهدت، تمام؟ نسأل الله السلامة والعافية.

فخلي بالناس: {إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ}، خد بالك، هو أول كلمة هيقولها لك: {اكْفُرْ}؟ لأ، ولا هيقولها لك صريحة، إنما هي خطوات. إنما هي خطوات، والشيطان بيقول لك: {قَالَ إِنِّي بِرِيءٍ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ}

لا تصدق من يقول لك: **{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ}** حتى ترى ذلك في أفعاله.

هيقول لك: خلي بالك أنا ملتزم، أنا ملتحي. أصلاً تواصلك يدل إنك مش ملتزم، فكيف صدقتيه؟
لأ، ده أنا بخاف ربنا، لأ، ده أنا على وعدي معاكي.

انتهاكك لهذه الحرمات دليل إنك مبتخافش ربنا، أنا مش هصدق كلام، أنا بصدق أفعال.

الشیطان قال: **{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ}**، هو نفسه اللي ما سجدش لآدم، تمام؟

{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}، شوف بقى! **{رَبَّ الْعَالَمِينَ}**، مؤمن جداً! حاجة غريبة والله.

ربنا قال: **{فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}**.

هو ده اللي كان بيتمناه الشيطان، وده اللي كان بيحلم بيه، وده هدفه الأساسي:

{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}.

(الأعراف: 17)

{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (ص: 82)

هجيبيهم معايا النار زي ما أنا دخلت، وهو مش عايز نار الموحدين، هو عايز نار الكفار، وبالتالي هو وراك لغاية ما تكفر.

فالمسألة خطوات طويلة ممكن تقعد سنين، بس هو عايز يوصل لحاجة معينة.

لما بفهم بدري، الموضوع بيتحل.

ثم قال تعالى — الحل بقى — نبتدي بقى السورة تخلص وتبتدي الحل.

إيه اللي يخليني مقعش الوقعة دي؟

إن أنا بحاسب أول بأول. المغفل هو اللي مبيحاسبش أول بأول.

بيجي يسلم رأس ماله لشريكه.

ما أنا دلوقتي الشيطان بيشاركني في الحياة دلوقتي، فأنا مسلمه واحد مسلم شريكه رأس المال، مبيحاسبهوش خالص وهو مصدقه.

والتاني بقى بيوعده، بيقول له: لأ، دي كسبانه، دي ربحانه، متقلقش، نام أنت بس.

وهو مبيقولوش: وريني الحسابات، فسايبه.

جه في الآخر، لقي إن هو مفلس وعليه ديون.

نفس الفكرة: الشيطان قاعد يوقعك من خطوة لخطوة، وأنت مبتوقفيش تسأل، وأنت مبتقفش تفكر، وسايبه.

جيت في الآخر خالص: إيه ده؟ ده أنا اتغفلت! أنا وقعت في منكر مكنتش متخيل إن أنا أقع فيه.

أنا إيه اللي جابني للإباحية؟ أنا إزاي بقبل إن حد يبعث لي صور مش كويسة؟

أنا إزاي؟ إيه اللي وصلني للحتة دي؟ إزاي أنا بستجيب؟ إزاي بتلذذ في هاتف فيه كلام مش كويس؟

أنا كنت عفيف، أنا كنت كويس، أنا كنت أخ، أنا كنت حافظ، أنا كنت.. كل حاجة بتضيع علشان أنت مكنتش بتحاسب أول بأول.

عشان كده ربنا بيقول الحل إن يكون الحساب أول بأول، كل خطوة أسأل نفسك أنا صح ولا خطأ لو

خطأ ارجع

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

اتقوا الله، اجعل بينك وبين الله وقاية، تفعل الطاعات وتترك المنكرات، تتقي غضب ربنا، اتقوا الله، وبعد كده قال: **{وَلْتَنْظُرْ}**.

عشان كده يقولوا: هذه الآية أصل في محاسبة النفس:

{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}

إيه اللي أنت بتعمله ده؟ بكرة هيعمل معاك.

طب ما إيه هو بكرة؟

غد، اللي هو بكرة يعني؟

لأ، مش مقصود بكرة، مقصود بغد يوم القيامة.

الله! هو مش يوم القيامة ده لسه بدري عليه؟

آه، ده أنت شايفه كده، بس بالنسبة لربنا هو بكرة:

{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا}. (المعارج: 6،7)

قتادة يقول كلمة مرعبة: قال: "ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد".

ليه؟ لأن بالنسبة لربنا الوقت ده كله مهما طالت الدنيا دي ولا حاجة،

{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}. (الحج: 47)

عشان كده ربنا قال إن الدنيا دي هتעدي بسرعة جدًا،

{وَنَرَاهُ قَرِيبًا}،

بل أنت نفسك يوم القيامة هتشوفها كأنها بسرعة جدًا،

لأن طبيعة الإنسان اللي بيعدي عليه الوقت تحس إنه عدى بسرعة.

أنت دلوقتي لو عندك خمسين سنة، ولا أربعين سنة، حاسس إن أول العشرين سنة دول عدّوا هوا.

أمال لما تموت وتبعث وتبقى في يوم القيامة؟

أنت أصلًا يوم القيامة لو حده خمسون ألف سنة!

هتبقى شايف الستين سنة اللي أنت عشتهم دول إيه؟

زي ما ربنا قال:

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ}، (يونس: 45)

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ}، (الروم: 55)

{قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ * قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم تَعْلَمُونَ}، (المؤمنون)

{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}. (النازعات: 46)

لما أنا أعرف كده، ده بيخوفني وبيشجعني.

يخوفني من إيه؟ يخوفني إن الموضوع أسرع مما تتخيل، والموضوع بكرة.

وبيشجعني إن الموضوع مش هنطول.

اللي تعبانة من الضغط عليها بسبب حجابها الشرعي،

اللي تعبان بسبب ابتلاءات الدعوة، ده هو يوم! يعني إحنا بنتعب يوم واحد بس، ساعة. الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة.

"إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطْنًا، طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَ، عَلِمُوا أَنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرَكُ مَا فِيهَا، فَجَعَلُوهَا لُجَّةً، وَاتَّخَذُوا صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنًا."

تمام، لذلك ابن القيم يقول كلمة عظيمة، يقول: من تفكّر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، أخذ الحذر، ومن عرف طبيعة الطريق تأهّب للسفر، فمهما طالت الدنيا فهي كالיום، فهي لا تستحق منك كل هذا العناء.

أنت مفرهد نفسك على إيه؟ هو يوم، يوم بقى بالطول بالعرض، كنت فقير، كنت غني، ممكن، مستضعف، هو يوم وهيي عدي، وفي الآخر يوم القيامة سيأتي، ومحدث بقى ساعة ما يخش الجنة هيفرق معاه دخلتها بالغنى ولا بالفقر، بالاستضعاف ولا بالتمكين.

أبأس أهل الدنيا أول ما يُغمس في الجنة غمسة، هيقول: "وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ بُؤْسًا قَطُّ".

{وَلَتَنْتَظِرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}، اعمل زي واحد بيحاسب شريكه على كل فاتورة: راحت فين؟ جت منين؟ الفلوس دي إيه أخبارها؟ إحنا خسرنا ليه؟ إحنا كسبنا ليه؟ هو دي المحاسبة. (إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ).

أنا بحاسب نفسي كل قد إيه؟ كل نص يوم. كل نص يوم بقعد كده وأنا بقول أذكار الصباح بقولها بتركيز، وأحاسب: إيه اللي أنا قلته النهارده؟ كلمت مين؟ كلمته ليه؟ مين كلمني؟ إيه الهدف؟ وأفكر دي خطوة شيطان ولا خطوة تمام؟ طب أنا مروحتش الدرس ليه؟ طب حفظت الورد ولا محفظتوش؟ طب راجعت ولا مراجعتش؟ طب راعيت ربنا في شغلي؟ راعيت ربنا في ولادي؟ أديت حق زوجي؟ أديت حق زوجتي؟ جبت الحاجة؟ كلمت والدتي؟ حاسب بقى، صليت الصلاة في وقتها؟ صليتها إزاي؟

كل نص يوم بقول أذكار المساء بحاسب نفسي، أذكار الصباح بحاسب نفسي، وأنا نايم على المخدة بحاسب نفسي، كده حياتك هتمشي صح.

لكن بقى أنا بحاسب نفسي كل رمضان؟ صباح الخير! أنت هتغفل تغفيلة للأسف ممكن تفوق منها وأنت في القبر بس.

خلي بالك إن في ناس أول مرة فكروا يحاسبوا أنفسهم فيها عند خروج الروح، لما كان الشيطان أخذ منهم كل حاجة.

{وَلَتَنْتَظِرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} الآية دي بتدينا معنى خطير، تقول لك: العاقل مش هو اللي بيعيش يومه، العاقل هو اللي بيقول يومي هيعمل لي إيه بكرة؟ في ناس هيقول لك: عيش حياتك، اقضي يومك.

لا يا باشا، هو ده التفكير اللي هنقله كمان شوية، اللي هم {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ}، هو مش عارف هو إيه، بيقضيها بالطول والعرض، زي ما بيقولوا كده: بنموت الوقت، بنقتل الوقت، بنقضي الحياة، بنعيش الحياة! عيشها، هي حياة واحدة، اقضيها، عيشها! أنت هتعيش كم حياة؟ يلا بينا نأكل ونشرب ونزني، هي حياة وهنعديها! لا يا باشا، ما هو ده تفكير اللي {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ}

لكن العاقل بيعمل النهارده عشان بكرة، بيحط النهارده حجر الأساس لبكرة، عشان ما يقولش: {يَلَيِّتُنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر: 24).

هو فعلاً قَدَمَ خلاص، قَدَمَ.
{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ} بتقدّم إيه؟ إيه اللي حطيته في الحصالة بتاعة الآخرة؟ ده اللي أنت بتعمله النهارده.

عشان كده عايزك تسمع الكلمة اللي هي قولها الحسن البصري دي، عشان الكلمة دي رهيبة، رهيبة.
أنا عايزك تكتبها، عايزك تخلّيها عنوان حياتك.

قال الحسن البصري معلّقاً على الآية دي:

"إذا مات ابن آدم قال بنو آدم: ماذا ترك؟ وقالت الملائكة: ماذا قَدَمَ؟"

يا الله! إذا مات ابن آدم قال بنو آدم الورثة: ماذا ترك؟ ساب لنا إيه؟

وقالت الملائكة: ماذا قَدَمَ؟ بعث إيه؟ للآخرة؟

شوف الفرق! أنت قاعد بتعمل حاجات كلها هتتساب، ومفكرتش في اللي أنت مقدم عليه.

فالعاقل يفكر في الغد، في الغد سبحانه الله،

{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}.

غد هو بسرعة كده؟ آه، هو بسرعة كده.

وده بيخليني متخدعش من الشيطان، موضوع "بكرة" يعني. أنا مش هتغفل في يوم، هو يوم

وهيعدي، أنا مركز قوي في اليوم ده.

وفي الغد سيحمد القوم السرى.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} بعد كده بيقول: **{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}**.

آه، خطيرة دي: **{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}**، يعني الله لا يُخدع.

الله لا يُخدع! طب ما أنت ممكن تعمل نفسك تقيّاً؟ الله لا يُخدع.

طب ما أنت ممكن بتقول كلاماً معسولاً وشكله دين، بس دي داخله أنت بتخشها للحرام؟ الله لا يُخدع.

أنت عامل نفسك متدين عشان توصل، تنصب على ناس، ولا تخدع بنت حلال؟ الله لا يُخدع.

{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى القلوب، على طول "إكس راي" على القلب على طول.

{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} (الطارق: 9)، **{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}** (العاديات: 10).

خلي بالك، أنت مكشوف قوي، قوي، أنت مكشوف قوي،

{سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} (الرعد: 10).

أنت لو قاعد جوه أوضتك وطافي النور، وقافل الباب، وعامل كده على موبايلك، ربنا مطلع عليك،

وعلى اللي في قلبك، وعلى اللي لسه أنت مشفتهوش.

لو أنت أخذت كل الأمان وكل الاحتياطات، وداخله تحت البطانية، وماسكة الموبايل، وبتبعثي

الرسالة أياها لفلان،

{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا.

بص سيدنا عمر بيقول إيه؟ "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم،

وتهيأوا للعرض الأكبر على الله، وتهيأوا للعرض الأكبر على الله."

الموضوع ده يا جماعة، محاسبة النفس: إن الإنسان يحاسب نفسه ويوزن أعماله هنا قبل ما تتوازن عليه.

فكرني بمشهد لما بشوفه، والله العظيم بفتكر المشهد ده جدًا. عارف إيه المشهد؟ مين فيكم سافر قبل كده؟ وراجع مثلاً في طيارة، من الطيران اللي هو بيهتم بالوزن قوي، تمام؟ فيه كده الوزن، اللي الناس بتوزن الشنط بتاعتها، تمام؟ على الكاونتر يسموه الكاونتر، بيوزنوا الشنط عشان في وزن معين للطيارة، لو زادت الشنطة بتاعتك عن وزن معين هتدفع فلوس كثير قوي. يعني بيدفعوا فلوس كثير قوي في الموضوع ده. إيه اللي بيحصل في المطار؟ بتلاقي كل الناس بيعملوا إيه؟ يقفوا على جنب، أو في الفندق يوزنوا الشنط قبل ما يروحوا المطار، أو في ميزان في المطار تلاقي الناس وازنين الشنط.

طب لو طلع زيادة؟ يقعد على جنب ويفضي في الشنطة دي، يحط من الشنطة دي للشنطة دي، ويشيل حاجات، وممكن يضحي بحاجات خالص، يرميها عشان ما يزيدش كيلو في الميزان. الناس تبقى مرعوبة، مرعوبة! اللي عمل كده، بعد ما يخلص، يخش الميزان، إيه؟ وهو مطمئن، مفيش أي حاجة، يخش الميزان وقلبه يعني بقي مطمئن جدًا. اللي هو إيه؟ ما هو لسه وازن، يحط بكل ثقة.

عارف لو في واحد، مثلاً، يقولوا له: أنت وزنت؟ يقول لهم: وزنت إيه؟ أنت وزنت شنطتك، خليها كده ببركتها، يحط، يلاقي 5 كيلو زيادة، يقعد يعيط، يعيط بسبب المبلغ اللي هيدفعه. لما بشوف الناس وهي مرعوبة كده في المطار عشان كيلو ولا 2 كيلو، هيدفع مثلاً 2000 جنيه أو إن شاء الله 10000 جنيه. إيه يعني؟ خسرت إيه؟ ولا حاجة، ولا حاجة!

المفروض بقي، أنا لما أكون داخل على الميزان يوم القيامة وأنا مش عارف إيه اللي هلاقيه، إيه اللي هيتحط؟ إيه وزن السيئة أو الحسنة اللي أنا عملتها؟ مرعب. ده المفروض يبقى مرعب بالنسبة لك. لو أنت بتقلق في المطار قيراط، المفروض تقلق 1000 قيراط على المفاجأة اللي هتقابلك يوم القيامة.

{وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر: 47).

يبقى أنا بوزن هنا أعمال الصالحة، وبوزن أعمال السيئة، وبتأكد إن أنا صفيتها أول بأول عشان ما تتفاجئش يوم الميزان.

فاحذر، {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ} . يعني إيه نسوا الله؟

النسيان اللي هو الذهول، يعني زي ما أنا مثلاً بقول لك: أنا نسيت الموبايل في البيت. لا، النسيان يأتي بمعنىين:

1. بمعنى الذهول عن الشيء، زي ما نقول: نسيت الموبايل في البيت.

2. ويأتي بمعنى الترك، نسي، يعني تركه، تمام؟

فالنسيان ده يا جماعة: الترك. نسوا الله يعني تركوا الله، تركوا دين الله، يعني لا صلاة، لا صيام، لا حجاب شرعي، مش فارق معاهم حاجة.

أنا بقول لك: أنا مش مركز في القصة دي، تمام؟ الدين كله مش فارق معايا، {نَسُوا اللَّهَ}. طيب خلاص، إيه العقوبة؟ أنساهم أنفسهم. يعني إيه أنساهم أنفسهم؟ يعني تركهم من توفيقه، تركهم من رعايته، جعلهم ينسون أنفسهم، فلم يلتفتوا لمصالحهم، أعمالهم كلها تعود عليهم بالخراب والدمار، تمام؟ يشتغلوا بما يضرهم دائماً.

أنت عارف لما تشوف ناس كده في الحياة، تقول هو ده عاقل، إيه اللي هو بيعمله ده؟ بيكسب فلوسه من الحرام، بيشرب مخدرات، بيضيع فلوس بيته، بيلعب ألعاب قمار، وكل شوية يخش ويخسر ويخش ويخسر، ويستلف، ويبيع ذهب مراته، ويستلف من أخوه، ورط نفسه بجرائم وديون متتالية.

أنت بتعمل إيه؟ ما تبطل؟ مش يبطل، ليه؟ أنساهم أنفسهم. طب المخدرات دي بتفيدك بإيه؟ أنت مكمل ليه؟ أنساهم أنفسهم. أنت بتكلمي كذا واحد ليه؟ هتطلعي بإيه في الآخر؟ ماشية مع ده وماشية مع ده، وبتكلمي ده. إحنا هنطلع بإيه في الآخر؟ أنت هتتجوزي واحد في الآخر؟ ويا ريتك هتتجوزي واحد كويس بعد كل ده؟

أنت بتعملي في نفسك كده ليه؟ أنت ليه بترسمي قصة دمار حياتك بإيدك: أنساهم أنفسهم. إحنا بنستفيد إيه من إن إحنا ما بنصليش؟ منصليش ليه؟ مش عارفة، الصلاة مالها؟ مفيهاش حاجة، طب ما بتصليش ليه؟ مش عارفة، أنساهم أنفسهم. تلاقيه بيعمل حاجات. أنت نفسك بتستغرب: هو بيعمل كده ليه؟ هو في عاقل يعمل كده؟ آه، هو ده المشكلة بقي، إن هو بيعمل كده لأن الله أنساه نفسه. ليه؟ لأن هو اللي بدأ. ودي قاعدة دائماً: إن أنت اللي بتبدأ دائماً، والنتيجة بتبقى عقوبة: إن أنت تنسى الله فترة ربنا يذكرك بيه كثير، وأنت ما بترجعش أبداً، خلاص. يتركك من رحمته، ومن توفيقه، ومن رعايته، فلا تقع إلا فيما يضرك.

علاقات حرام بقي، ومخدرات، ومتورط في ديون، ومتورط في قضايا، ولا تصلي، والحياة دايمًا صعبة كل شوية يشتكي. مش عارف الدنيا سواد معاه، دائماً مشاكل. أنا مش عارف المشاكل بتجيلي منين. أنا محسود أكيد، أنا مسحور. هات لي حد يقرأ علينا، تخش البيوت عشان تقرأ عليهم، تلاقي بيوت فعلاً جديرة إن يسكنها الشياطين. تقول لهم: يا جماعة مش عايزين حد يقرأ عليكم، أنتم عايزين تتوبوا بس لربنا، كل حاجة هتتصلح.

أنتم مش محسودين ولا مسحورين، أنتم نسيتم ربنا فأنساكم أنفسكم. وكل اللي بيحصل ده بسبب نسيانكم لربنا.

طب اسمعوا كلامي أسبوع واحد: اعملوا 1، 2، 3، 4، يعملوا 1، 2، 3، 4، كل حاجة بتتحل. يقول لك: طب ما كان فين الكلام ده؟ ما كان الحل في إيدك، بس أنت مغفل. الشيطان غفلك وأنساك ربنا، فربنا

نساك من عفوه ومن توفيقه، فحصل كل الي انتم شايفينه ده: لا سحر ولا حسد. آخر حاجة بنفكر فيها: السحر والحسد. الأول اتهم نفسك، الأول شك في الي أنت بتعمله. لما تلاقي أمورك مضطربة شوف أنت ناسي ربنا في إيه؟ وارجع ترجع أمورك تمام. لما تلاقي الوضع مش مريح، اسأل نفسك الأول: أنا مقصر في إيه؟ قبل ما ترمي على السحر والحسد. عشان كده ربنا قال: **{أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**. أي الخارجون عن طاعة الله تعالى. فسقت الحبة أي خرجت بيقولك الفاسق يعني الخارج عن طاعة الله تعالى بعد كده ربنا بيقول في الآخر: **{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}**.

خد بالك، ربنا في الآية دي ما قالش: لا يستونون في إيه؟ وتركها مطلقة، وده من جمال القرآن. يعني بترك لك تقدير المحذوف ده، الي هو: لا يستوي في إيه؟ هو مقالش فعلاً: لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، لا يستوي في إيه؟ أيوه، في كل شيء. طالما مقالش في إيه، ده بترك لك العنان في كل شيء. هم فعلاً لا يستونون أصحاب النار وأصحاب الجنة في كل شيء: أولاً، لا يستونون في الاعتقاد: أصحاب الجنة أصحاب عقيدة سليمة، لا إله إلا الله، مؤمنون بجميع الأنبياء والكتب والرسول، باليوم الآخر والقدر. أما أصحاب النار، فكفروا بالله، إلحاد بقى، دين باطل، تمام؟ عبادة أصنام. لا يستونون في العمل: أصحاب الجنة أصحاب عمل صالح، وصلاة، وصيام، وبر، وإحسان، وعدل، والكفار عبادة فاسدة، وفضلاً عن ذلك أعمال فاسدة ومنكرات. لا يستونون في حالهم في الدنيا: إن تكونوا تآلمون، فإنهم يآلمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون.

حتى لو الابتلاء وقع على الاثنين، ده في حال، وده في حال: ربنا بيرزق المؤمن حياة طيبة رغم الابتلاءات، وبيخلي الكافر في ضنك، حتى لو كان حاله المادي متأثر. **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى}** (طه: 124)، **{فَمَنْ أَتَّبَعْ هَٰذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}** (طه: 123)، **{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْرَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (غافر: 40). فحال المؤمن في الدنيا مختلف: الأنس، السكينة، الطمأنينة، راحة القلب، الحياة الطيبة. لا يستونون في الخواص: فده بيختم له بخاتمة السعادة، وده بيختم له بخاتمة الشقاء. **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** (الجنات: 21) **{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}** (ص: 28) بلا شك، لا يستونون. لا يستونون عند نزاع الروح: المؤمن تأتيه ملائكة طيبة بيض الوجوه، تبشره بالجنة، وتطلع روحه زي القطرة من في السقاء.

الكافر تأتيه ملائكة سود الوجوه، رائحة صعبة جدًا، ينزعوا روحه نزعًا من جسمه، تطلع بكل عناء، وتقطع جسمه وروحه بتطلع من جسمه، فضلاً عن الضرب والعذاب.

لا يستوون في القبر: المؤمن قبره واسع، منير، جليسه العمل الصالح. الكافر تنطبق القبر على أضلاعه لغايه ما تختلف أضلاعه، قبر ضيق، منتن، يأتيه عمل الخبيث يكون جليسه ليوم القيامة. **لا يستوون عند البعث:** المؤمن يلاقي الركائب ويلاقي الملائكة تستقبله بالفرح. الكافر يستقبل بالضرب والإهانة.

لا يستوون في أرض المحشر،

لا يستوون عند الميزان،

لا يستوون في الصراط،

لا يستوون عند تطاير الصحف،

لا يستوون في المآل: هؤلاء يدخلون الجنة وينعمون، وهؤلاء يدخلون النار ويعذبون إلى الأبد. الاختيار سهل.

أنت لسه بتفكر؟ هو أصلاً ما فيش أي مزايا في الطرف الثاني، يعني دايماً المقارنة: يقول لك إيه؟ هنا مزايا؟ ما فيش مزايا أصلاً.

لا يستوون في أي شيء: المكسب فقط لأهل الجنة.

ممكّن تاخذ قرار بالالتزام دلوقتي، ممكّن تاخدي القرار اللي انت مؤجله من زمان بالهداية، وان أنت تبطل واحد واثنين وثلاثة اللي انت عارفاهم.

ممكّن نعمل بالآيات دي، لأن الآية اللي جاية بتعاتب بقى: كل الآيات اللي فاتت دي بتقول لك اعمل بيا ما عملتش بيا.

طب تعالى بقى، أصحاب الجنة هم الفائزون لو انزلنا بص العتاب بقى، العتاب اللي جاي ده جاي لك من ربنا بيقول لك: أنت لو فعلاً تدبرت القرآن المفروض يآثر فيك، وده اللي إحنا شايفينه بفضل الله في دورات التدبر كلها، إن فعلاً الناس اتغيرت، فعلاً في ناس بتقول لك: أنا غير. بس مين؟ الناس دول اللي هم تعرضوا للوحي بنية التأثير والهداية والاستجابة.

فلما نزل عليهم الوحي على قلوبهم فعلاً تصدعت وخافت فتغيروا وتحسنوا. في ناس بقى بتسمع القرآن، بقى إيه؟ قلوبهم لاهية فهم في غفلة معرضون. ربنا بيقول: **{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}**. الجبل، هذه الحجارة العنيفة، هذه الحجارة الصماء

الشديدة، لو نزل عليها الوحي، يعني لو ربنا كلف الجبل بتدبر القرآن. هذا هو المقصود، قال الجبال اعتذرت عن التكليف تمام. ربنا عرض عليهم التكليف قال: **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ}** (الأحزاب: 72). ربنا بيقول لو الجبل كان

هو المكلف وكنا نزلنا عليه هذا القرآن، كان الجبل من هول المواعظ والنصائح وما في القرآن من تكليفات كان الجبل اتشقق، الحجارة تتقسم نصين. الجبل يكون فيه شقوق من خوفه من ربنا. تخيل هذه الحجارة الشديدة الصماء، وكأن الرسالة تقول: أنت أيها المكلف، أولى بذلك أن تخشع عند سماع القرآن أن تعرض قلبك للوحي بنية أن يعرف الله فيخشاه، يخاف منه ويتبع أمره ويعمل لغد زي ما ربنا قال فعلاً.

ربنا يقول العكس بقى النبي آدم بقى العكس، قال عن أناس: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} (البقرة: 74). الحجارة أحسن من قلوبهم. {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْمَاءً وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (البقرة: 74). في ناس قلوبها أقسى من الحجارة. وأخذ بالك، الحجارة دي أقوى حاجة، البعض يقول لك: طب ليه؟ ممكن يكون المعادن أقوى من الحجارة، يعني الحجر لو ضربته يتكسر، لكن المعدن ما بيتكسرش. بس خد بالك من حاجة ثانية: المعدن لو حرقتة يسيح، الحجارة مهما عرضتها للنار ما يحصلهاش حاجة. والوحي دايمًا يأتي للقلوب عشان يذيب القلوب، يَأْثُرُ فِيهَا، يحركها. عشان كده ربطها بالحجارة. الحجارة مهما عملت فيها نار ما بتأثرش، لكن المعدن ممكن يسيح. الحجارة ما تسيحش أبدًا. عشان كده أقسى من الحجارة. بعض القلوب مهما تعرض للوحي لا يبالي، قلوبهم لاهية في غفلة معرضون. وبالتالي أنا باخد الكلام ده بالعكس: أنا عايز أهتم جدًّا بالعناية بحال قلبي عند سماع الموعظة. كيف تجد قلبك عند سماع الموعظة؟

هقول لكم موقف كده وأربطه بالآية، النبي صلى الله عليه وسلم، كان بيخطب أولاً على جذع نخل، وبعد كده عملوا له منبر، فانتقل من الجذع إلى المنبر وخطب عليه. فحن الجذع وبكى شوقًا للنبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وسكت، الصحابة سمعوا صوت الجذع وهو يبكي كطفل.

الحسن البصري كان بيلق على الرواية دي: يقول أنتم أولى أن تشتاقوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الجذع. نقول نفس الكلام في هذه الآية: إذا كان الجبل هذه الحجارة الصماء لو نزل عليها القرآن تخشع وتخاف من ربنا، فإنتم أولى أيها المكلفون أن تخشعوا لله سبحانه وتعالى وأن تتصدع قلوبكم من الخوف من الله سبحانه وتعالى.

يبقى القاعدة الأساسية: لما أسمع القرآن على طول يكون السؤال: ماذا صنع فيك القرآن؟ ما الذي تغير؟ إيه الأثر القلبي؟ أعود نفسي على ذلك، ولا أعود نفسي أن تعدي آية، ولم أسأل نفسي: عملت فيا إيه ولازم أعمل بيها وأشوف آثارها عليا، إلا لو أنا اعتدت على ذلك. هيحصل هذه الحالة: هينزل عليّ القرآن وأسمعه ولا أي حاجة، لكن دايمًا السؤال: هذه الآية بتقول إيه؟ إيه العمل المطلوب؟ ما الذي نفذته؟ هل زودتني إيماناً أم لا؟ هل زودتني خشية؟ هل خشوعي زاد؟ {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (سورة التوبة: 124-125). فاحرص أن تكون من النوع الأول.

وبالتالي هذه الآية ترشدنا إلى العلاقة مع القرآن وتقول لنا أن علاج كل ما فات هو أن لا تكون من الفاسقين، أن تحاسب نفسك، أن تربط نفسك بالقرآن. هو ده الذي سيضبط لك جدول المحاسبة، هو ده الذي سيضبط لك قلبك، هو ده الذي يوصلك أن تكون دائماً في حالة من الذكرى الدائمة، لا تتغفل.

عشان كده ربنا قال: **{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}**. يتفكرون في حالهم مع القرآن، يتفكرون في حالهم مع الله، يتفكرون في الدار الآخرة.

بعد كده ختمت الآية بأسماء كثيرة لله سبحانه وتعالى، ليه؟ قال لك: لأن الإنسان لو فعلاً إلى الآن، إلى الآن مازال يسمع القرآن ومازال في غفلة ومازال مش بيتأثر، يبقى أكيد بقى في مشكلة أعمق من كده. إيه المشكلة الأعمق من كده؟ أكيد أنه لا يعرف الله. لو عرفه، لو عرف الله، لاحبه، لو عرف الله لأخاف منه، لو عرف الله لأشتاق إليه، لو عرف الله لأحب كلامه، لو عرف الله، لكانت رسائل الله أحب إليه من الماء البارد على الظمأ، لو عرف الله لتدبر كلامه.

إذا ممكن بقى ندخل في مشكلة أعمق: أن أنا لو كده علاقتي بالقرآن لسه لم تصل، يبقى أنت تحتاج أن تعرف من ربك هذا الذي يكلمك ويراسلك ويرسل لك هذه الرسائل. من هو الله؟ هو الله الذي لا إله إلا هو، لا معبود بحق إلا الله.

يعني إيه لا إله إلا الله؟ لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله. فاكرين لما قلنا في الآيات عن المنافقين؟ قال: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}**. قلنا: لو فقهوا لعلموا قدر الله، ولو علموا قدر الله لما قدموا رضا الناس على رضا الله. دايماً الضربة بتيجي لك من حاجة من الاثنين: إما جهلك بقدر الله أو جهلك بقدر نفسك. فكلما كان الإنسان بنفسه أعلم وبربه أعلم كان مستقيماً، وإنما يأتي الإنسان من الجهالة. من عمل عمل السوء بجهالة يقول لك: ما عصى الله إلا بالجهل. لازم يكون في جهل بالله، لأن الذي عرف الله حق المعرفة عمره ما يعمل كده أبداً.

فلازم نتعرف على الله: **{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}**. لا إله إلا هو يعني لا معبود بحق إلا هو، لأن في معبودات كتير **{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ}** (يس: 74) ربنا قال إن فيه ألوه لكن ألوهه بالباطل. علشان كذا بنقول لا معبود بحق إلا الله أي لا يستحق أن يعبد إلا الله.

طبيعي فهو الذي خلق هو الذي يدبر الأمر هو الذي رزق هو الذي يحيى هو الذي يميت، هو الذي يملك الجنة والنار، هو الذي يملك الضر والنفع. فمن يستحق أن يعبد إلا الله؟ لا يوجد النبي عليه الصلاة والسلام وجد رجل فقال له كم إلها تعبد قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال من الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء قال: فاعبد الذي في السماء. شئ بديهي يعني.

من هو **{عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}**؟ هو **{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}**.

عالم الغيب والشهادة بدأ بصفة فعلاً لا يمكن أن تكون لأحد إلا لله: العلم بالغيب. من يعرف بكره يحصل إيه إلا الله؟ لا يعلم ذلك أحد أبداً.

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} (النمل: 65). عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الذي يعلم الغيب هو الذي يستحق أن يعبد.

وممكن الغيب يتفسر بما غاب عنك، يعني الحاجات اللي أنت مش شايفها دي كلها بالنسبة لك غيب. ربنا يعلم الغيب، ما بالك بالشهادة بقي؟ عالم الغيب والشهادة. فكل أعمالك مكشوفة، وده ببساعدك على المراقبة، ببساعدك على المحاسبة، ببساعدك أن تراعي ربك، وببساعدك أن أنت ما تشوفش الناس وما تهتمش برأيهم. عالم الغيب والشهادة، عشان كده أحسن حاجة أنك تخاف ربنا على الغيب.

ثم قال: **{هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}**. يا سلام، جميل قوي. إن ربنا عرفنا بنفسه بالرحمن الرحيم وكأنه حافز وكأنه دافع لنا للاستقامة. قالوا: الرحمن الرحيم، الاثنين بيتكلموا في صفة الرحمة. بس والله أعلم، صفة الرحمن أوسع من صفة الرحيم وأشمل. عشان كده يقول لك: الرحمن على وزن فعلان، كما يقال: غضبان إذا امتلأ غضبًا، شبعان إذا امتلأت بطنه. دايمًا صيغة فعلان تدل على الامتلاء.

عشان كده صفة الرحمن أوسع من صفة الرحيم. عشان كده يقال إن الرحمن متعلقة بكل الخلق، البر والفاجر والمؤمن والكافر. إزاي؟ يقول لك: إن الله رحم الجميع بأنه خلقهم، رزقهم، يجري عليهم أرزاقهم، الكافر يسبه ويكفر به، وهو يعافيه ويرزقه، ما دي رحمة. يكسوه ما دي رحمة. البر والفاجر يدعوه ويستجيب لهم، ويطعمهم ويسقيهم، ولا يمنع عنهم رزقه، ما دي رحمة، من رحمته العامة بجميع خلقه، إنه عرف الناس بنفسه، أنزل الكتب، أرسل الرسل، ما دي رحمة، دلالة الخلق عليه، ما دي رحمة. عرفهم ماذا يريد وماذا لا يريد، ما دي رحمة. فرحمهم بتيسير أمور دنياهم، وتيسير الدين لهم، وتيسير السبيل إلى هذا الدين. فدي في صفة الرحمن، الرحمة التي تشمل الجميع، أن كل الناس أخذوا هذه الميزة.

لكن يقول لك: الرحيم، هذه أخص. الرحيم صفة أخص، فهي تختص بالمؤمنين. كأن الرحيم من الرحمن، يعني كأنها صفة مشتقة من الرحمن، بس هذه أخص من الرحمن. فالرحيم صفة متعلقة بأهل الإيمان. عشان كده ربنا قال في سورة الأحزاب: **{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}** (الأحزاب: 43). فالصفة هذه متعلقة أكثر بأهل الإيمان، وفيها حاجة أخص عن اللي كان في الرحمة.

يعني يقول لك: الرحمن لأنه هنا يعتني بدنيا المؤمنين، لكن مع البركة، ومع التوفيق، ومع التيسير. الله يعتني بدينهم، ليس فقط بالبيان، بل بالهداية، وبالثبات — يهديهم إلى الصراط؛ لا يُبين لهم فحسب، بل يهديهم إلى الصراط ويثبتهم عليه. هذه حاجة زيادة: يعتني بخواتمهم، يعتني بآخرتهم فيرحمهم يوم القيامة برحمة لا يمكن أن ينالها الكافر، فيغفر لهم الذنوب ويتجاوز عن السيئات ويرفع درجاتهم. وشفاعته لماذا؟ لأن هذا لأهل الإيمان في معاملة خاصة في باب الرحمة. **{وَكَانَ**

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}، فيقولون: الرحمن يشمل جميع الخلق، ولكن الرحيم أخص بأهل الإيمان. **{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ}** — الملك المتصرف في خلقه، الذي يملك جميع خلقه، وله سلطان على جميع خلقه؛ الذي يملك هو الذي يحكم، والله يحكم ما يريد. المالك هو الذي يستحق أن يُعبد: الملك. ثم قال **{الْقُدُّوسُ}**. قالوا: القدوس هو المنزه عن كل نقص وعيب؛ الذي تَقَدَّسَ، أي تنزه. فالله تعالى قدوس؛ ليس فيه نقص ولا عيب، خالص — لا في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله. على عن كل نقصًا وعيب له الأسماء الحسنى؛ فالقدوس هو الذي تنزه عن كل نقص وعيب. وقيل:

القدّوس يعني المعظم. يقال: كتاب مقدّس يعني كتاب معظم. فالقدّوس هو المعظم الذي تنزّه عن كل نقصٍ وعيب.

نحن نتعرّف على ربنا—ما هو كل ذلك الهدف إيه؟ إننا نتعرّف على ربنا. هذا هو ربك: ربك معظم؛ فيجب أن تخشاه، أن تخافه، أن تراعي كلامه. عندما ينزل عليك شيء فيصدقك، فذلك نازل لك من عند القدّوس. القدّوس ليس فيه عيب ولا نقص؛ كلامه ليس فيه عيب، وأحكامه ليس فيها عيب. فلما يأتيك حكم شرعي، لا تقل: "أصلاً أنا مش شايف"، أو "أنا مش مقتنع". خذ بالك: هذا الكلام جاء من القدّوس — لا عيب ولا نقص في الوحي، لا خلل في شرعه. لذا ثق في الأمر حتى لو لم تفهمه؛ لا تقول مش مقتنع به، حتى لو لم تستوعبه لا تقول في الأفضل منه، لا تعقّب على أحكام الله. قدّوس، قدّوس سبحانه وتعالى.

{السَّلامُ} — ما معنى السلام؟ قيل فيه عدة أقوال: القول الأول أن السلام هو الذي سلم من كل نقصٍ وعيب؛ فذلك شبه القدّوس. وقيل: السلام هو الذي سلّم عباده المؤمنين؛ أي رزقهم السلام، فیدافع عنهم، ويحميهم، ويأمنهم، ويأمن فزعهم عند الموت وفي القبر، ويأمنهم في الآخرة فلا يفزعون حين يفزع الخلائق، وفي النهاية يدخلهم دار السلام. وقيل: السلام هو الذي سلّم جميع خلقه من الظلم، فأمنهم ألا يظلموا. قال تعالى: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}** (فصلت: 46)، وقال في الحديث القدسي: "إني حرمت الظلم على نفسي"، فهو السلام سبحانه وتعالى.

ثم قال تعالى: **{الْمُؤْمِنُ}** — للمؤمن احتمالان: قالوا إنّ المؤمن من "الأمن"، أو المؤمن من "الإيمان". إذا كان المعنى الأول، فالمؤمن من "الأمن" يعني المؤمن الذي آمن عباده؛ أي آمنهم من الظلم، وآمنهم من المخاوف إذا هم خافوه. وفي الحديث القدسي: "لا أجمع على عبدي أمين ولا خوفين: إن أمني في الدنيا خوفته في الآخرة، وإن خافني في الدنيا آمنت في الآخرة." الله أكبر — فالمؤمن هو الذي يؤمن عبده الذي يخافه. يا سلام — جميلة قوي! اكتبها؛ يتعلق قلبك: كل اسم يتحوّل دعاء بعد ذلك. تقول: "يا رب، يا مؤمن" — أنت فهمت من الفقه أن تدعو وتستعمل الاسم المناسب للطلب. أنت خائف الآن فتقول: "يا مؤمن، آمني" — الله جميلة جديدة قوي؛ لأول مرة تدعو باسم **{الْمُؤْمِنُ}** صحيح؟ "يا مؤمن، أسألك الأمان في الدنيا والآخرة"؛ "يا مؤمن، ارزقني الخوف منك حتى أؤمن في الدنيا والآخرة."

{الْمُؤْمِنُ}، **{وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ}** (النمل: 89). والمعنى الثاني أن **{الْمُؤْمِنُ}** من الإيمان؛ أي المصدّق. كقوله في قصة إخوة يوسف: **{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا}** — أي لن تُصدّقنا لو كنّا صادقين؟ قالوا ما معنى المؤمن؟ قالوا: المؤمن الذي صدّق رُسله، أو صدّق رُسله وصدّقهم صدقهم فيما وعدهم وصدّقهم؛ أي أثبت صدقهم. كيف أثبته؟ أثبته بالمعجزات، وبالنصر على الأعداء، أثبته بأن قواهم بالحجج والبراهين. وقيل: المؤمن هو الذي صدّق عباده المؤمنين فيما وعدهم — وعدهم أنه إن اتقوه أن ينصرهم فنصرهم، وعدهم أنه سينتقم من أعدائهم فانتقم منهم، ووعدهم بالجنة فصدقهم، لذا يقول أهل الجنة: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ}** (الزمر: 74).

{الْمُهَيِّمُ}: للمهيمن معنيان. المعنى الأول: الشهيد؛ المهيمن هو الشهيد الذي يشهد ويراقب — وهذا يقوّي معنى **{وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}** صحيح؟ فالله هو المهيمن: هو الشهيد، هو الرقيب سبحانه وتعالى. علشان كذا ربنا قال عن القرآن

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (المائدة: 48) يعني شاهد على ما به، أما صدق أو كذب.

وقيل {الْمُهَيْمِنُ} بمعنى الحاكم؛ فيقال "الهيمنة" بمعنى السيطرة والحكم. قيل: {الْمُهَيْمِنُ} هو الحاكم على عبادته، هو المهيمن الذي يحكم ما يريد سبحانه وتعالى.

{الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ} — الله أكبر!

قالوا: الْعَزِيزُ هو الذي لا يُغَلَبُ، وأجمل من ذلك أن نقول: الْعَزِيزُ الذي لا يُغَالِبُ، ودي أعلى، زي الفرق بين ما تقول: فلان لا يُقتل، يعني يمكن أحد يؤذيه أو يجرحه لكنه في النهاية لا يُقتل، لكن لو قلت: فلان لا يُقاتل، يبقى لا أحد أصلاً يفكر في قتاله. فالعزیز الأصح أن نقول: لا يُغَالِبُ، مش لا يُغَلَبُ؛ لا يُغَالِبُ.

قال تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني..."، فما فيش أحد بيغلبه أصلاً، ولا أحد يفكر في كده.

وصفة العزيز دي بترجعنا لمحور السورة، فالسورة مبنية على العزة:

{وَضَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} مدار السورة على العزة،

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

سبحان الله! وذكرت صفة العزيز عدة مرات في هذه السورة لأن مدارها على أنه لا يُغَالِبُ سبحانه وتعالى.

وده بيظمن العبد المؤمن، هذا هو ربك، فلما تشوف أحوال المسلمين في فلسطين أو السودان أو غيرها، اعرف أن ربك لا يُغَالِبُ ولا يُغَلَبُ، لكن أنت الذي تُغَلَبُ بسبب بُعدك عن ربنا. نحن المقصرون، أما الله فلا يُغَلَبُ أبداً؛ في لحظة يُقلب الموازين.

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ} * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} (يس: 28-29)

تعلق القلب بالعزيز... لكن إزاي تستجلب منه النصر؟ هو ده الشغل. {الْجَبَّارُ} قالوا: {الْجَبَّارُ} تحتل معنيين:

المعنى الأول من الجبروت، أي الْجَبَّارُ هو الذي قهر الظالمين، والذي يقهر عبادته، والذي ينتقم من الجبابة والظالمين، فالجبار من القهر.

وقيل: {الْجَبَّارُ} بالمعنى الثاني هو العكس تماماً من جبر الكسر.

وعشان كده يُقال على ما يُلبس للكسر: "جبيرة"، لأنها تجبر الكسر. فقالوا: الجبار بمعنى رقيق قوي؛ هو الذي يجبر كسر عبادته، فحين يكون الإنسان مكسوراً، ينزل الله عليه سكينه؛ وحين يكون مهموماً، يبعث له الفرج؛ وحين لا يعرف من أين تُحل مشكلته، يحلها الله له.

سبحان الله، كما قال في قصة سيدنا لوط عليه السلام:

{يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ}

الفرج واقف جنبك أصلاً!

فقالوا: {الْجَبَّارُ} هو الذي يجبر الكسر ويجبر المظلوم.

ودي من أجمل الأسماء التي يتعلق القلب بها، فإذا كنت مكسوراً، فادعُ:

"يا جبار، اجبر كسري، وارحم ضعفي. يا جبار، اجبر بخاطري، وارضني. يا رب، أنا لا أستحق، لكنك أنت الجبار."

فالاسم يسير معك في معنى مختلف تماماً. استعمله في الدعاء وادعي ربنا باسمه الجبار، فالجبار تشعر أنها للظالم والمظلوم.

للظالم: سيجد معنى القهر والقوة.

وللمظلوم: سيجد معنى الكسر وجبر الخاطر.

قال تعالى: {الْمُتَكَبِّرُ} — يعني إيه المتكبر؟

{الْمُتَكَبِّرُ} هو المتعظم، الذي يرى نفسه كبيراً ويرى كل ما عداه حقيراً صغيراً. وهذه الصفة لا تليق

إلا بالله وحده، فهي في حقه صفة كمال، واسم جميل من أسمائه تعالى، لأنها منطبقة عليه.

أما في حق البشر، فهي مذمومة؛ لأن الله وحده إذا تكبر تكبر بحق، فإذا تعظم الله فهذا حق، وإذا

رأى من عداه حقيراً فهذا حق. فهو الوحيد الذي يصح أن يوصف بـ {الْمُتَكَبِّرُ}، الله.

وعشان كده ما ينفعش أبداً أحد يُسمي نفسه بهذا الاسم.

قد يكون الإنسان كريماً أو رحيماً، طبعاً مع الاختلاف ليس تشبيهاً.

لكن لا يجوز أن يكون متكبراً، لأن هذه صفة لا تليق به نهائياً.

قال الله تعالى في الحديث القدسي:

"الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني فيهما قذفته في النار ولا أبالي."

ما ينفعش تتشارك مع ربك في صفة الكبرياء.

قال ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَر."

خلي بالك، إياك تكون فيك الصفة دي، فالكِبَر أسوأ صفة يكرهها الله.

شوف الناس دلوقتي متكبرين إزاي!

كل واحد يقول: "إزاي يكلمني كده؟ إزاي يبص لي كده؟"

وكل واحد بقى عنده صفحته الشخصية ورأيه الشخصي... كِبَر!

ما يقبلش أحد يعترض عليه، ما يقبلش أحد يعقّب عليه، ما يقبلش أحد ينتقده... كِبَر.

الي ما يقبلش النصيحة... كِبَر.

رفضك للنصيحة... كِبَر

استعلاؤك على الضعيف... كِبَر.

امتناعك عن الاعتذار... كِبَر.

كل ده كِبَر، وأنت فاكِر الكِبَر إيه؟

ثم قال:

{الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}

{سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

أي: منزه سبحانه وتعالى عن أن يكون له شريك.

{هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}

يعني إيه {الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}؟

بص، الأسماء الثلاثة دول لما يجتمعوا، بيكون لكل اسم معنى خاص.

فعندما يأتي {الْخَلِيقُ} مع {الْبَارِئُ} مع {الْمُصَوِّرُ}، نحمل كل واحد على معنى لأنهم الثلاثة قريبين من بعض

فلما يجوا مع بعض بنخلي كل واحد مرحلة من مراحل الخلق:

ف {الْخَلِيقُ} هو المقدّر، يعني إيه المقدّر؟

يعني الذي صمّم، عارف أنت قبل العمارة ما تتبنى يبقي فيه تصميم كده، فيقال هذا التقدير، تقدير الشيء يعني تصميمه، فيقال: {الْخَلِيقُ} هو المقدّر، يعني الذي صمّم الشيء قبل أن يظهر للعلن، فهو قد قُدِّر فقط.

فالخالق هو المقدّر هنا في الآية، أما {الْبَارِئُ}: فهو الذي أوجد من العدم، أوجد الخلق على غير مثال سابق، فأوجده فقط.

وأما {الْمُصَوِّرُ}: فهو الذي صوّر له الصورة التي تليق به، {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: 50)، كساه الصورة المناسبة له التي تتناسب مع خلقه، فشكل الأسد مناسب لهيئته، وشكل الزرافة مناسب لطولها، وشكل الأسماك مناسب لحياتها، فصوّر كل شيء بالصورة التي تليق به. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (آل عمران: 6). يبقى لو قلنا: {الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} فكل واحدة هيبقي لها معنى: {الْخَلِيقُ}: المقدّر.

{الْبَارِئُ}: الموجد من العدم على غير مثال سابق.

{الْمُصَوِّرُ}: الذي أعطى كل شيء خلقه وصورته اللائقة به المناسبة لحياته.

تخيّل بقي الذي فعل كل ذلك، كيف يكون له شريك؟! ما فيش أحد بيشاركة في هذا أبداً.

لكن لو قلنا: الخالق وحدها، تشمل المراحل الثلاث.

ولو قلنا: البارئ وحدها، تشمل المراحل الثلاث أيضاً.

لكن إذا جاءت الثلاثة معاً، فكل واحدة منها تكون لمرحلة مستقلة.

ثم قال: {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}.

الله تعالى له تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها دخل الجنة.

هو أسماؤه أكثر من تسعة وتسعين اسماً سبحانه وتعالى،

لكن في تسعة وتسعون اسماً من أسمائه من أحصاها دخل الجنة.

ففضل كبير أن نتتبع أسماء الله كلّها في الكتاب والسنة،

ونفهمها، ونتعبّد بها لله، وندعوه بها،

ونرى أثرها في الكون من حولنا.

وله الأسماء الحسنى، فكل أسمائه حسنى، وكل صفاته عليا، ليس فيه نقص ولا عيب سبحانه وتعالى.
وختم بما بدأ به السورة:
{يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}

فإذا كان ما في السماوات والأرض يسبح لله وهم غير مكلفين ولن يحاسبوا،
فأنت أولى أيها الإنسان المكلف أن تذكر الله وتسبحه وتقدسّه وتعظمه،
وتعمل عملاً صالحاً يُنجيك يوم القيامة.

وختم بالاسمين اللذين مدار السورة عليهما، وهما:

{الْعَزِيزُ} الذي لا يُغالب، **{وَالْحَكِيمُ}** في كل ما فعل.

كان حكيماً في طرد بني النضير فاستحقوا ذلك،

وحكيماً في تقسيم الفيء وتفريقه عن الغنيمة،

وحكيماً في تفضيل المهاجرين والأنصار على غيرهم،

وحكيماً فيما فعل بالمنافقين،

وحكيماً في أنه يعاقب من نسيه بأن يُنسيه نفسه سبحانه وتعالى،

وحكيماً في شرعه،

وحكيماً فيما أنزل من القرآن،

هو العزيز الحكيم سبحانه وتعالى.

وختمت السورة بهذا الختام الرائع المبهّر.

مش عايز أطول عليكم، لكننا استمتعنا بهذه السورة جداً، وخاصةً الختام، كان ختاماً مبهِراً.

اليوم استفدنا كثيراً جداً، من قصة برصيصا وغيره،

وأرجو من الله أن نكون دائماً نحاول تحويل القرآن إلى عمل.

اكتبوا لي يا ريت في التعليقات: ماذا استفدتم من درس اليوم؟

وما الذي تغيّر فيكم بسبب درس اليوم بالذات؟ وهل حفظتم السورة أم لا؟

هل سهّل حفظها أم لا؟ والذي لم يحفظها، لا يُضَيّع مجهودنا في النهاية،

يا ريت نحفظ السورة ونعمل بها،

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يُنزل القرآن على قلوبنا،

فتزداد خشيةً وتتصدّع من خشية الله سبحانه وتعالى،

وتكون قراءتنا للقرآن قراءة تفكّر وتدبّر وعمل، ونجعل القرآن يوم القيامة حجةً لنا لا علينا.

جزاكم الله خيراً،

انتظرونا في المرة القادمة في موعدٍ مع سورة جديدة سورة الممتحنة.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك،

أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،

والسلام عليكم ورحمة الله.

قَدْ رَسَلَهُ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

السابعة

مفهوم الولاء والبراء وحقيقة الدين الإبراهيمي

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في اللقاء السابع من هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدرسة "قد سمع".

بفضل الله سبحانه وتعالى انتهينا من مدارس سورة المجادلة في ثلاث حلقات، وانتهينا من مدارس سورة الحشر في ثلاث حلقات، وبإذن الله تعالى السورة التي معنا الآن هي سورة الممتحنة، ونرجو من الله أن نتمكن من إتمامها في مرتين.

سورة الممتحنة في الحقيقة سورة قوية جداً، وأعتقد أن أغلبكم يجد صعوبة شديدة في حفظ سورة الممتحنة ولا يفهمها تقريباً خالص، ولا يعرف عمّ تحدث. وهي فعلاً تحتوي على ألفاظ صعبة وثقيلة لحد ما. ولكن الذي أستطيع أن أعدكم به هو أننا إن شاء الله بعد هذه المحاضرة والمحاضرة القادمة سنكوّن علاقة مختلفة تماماً مع سورة الممتحنة، وسيكون هناك حب شديد للسورة، وعلاقة طيبة خاصة؛ إذ إن السورة سترجعنا إلى جو السيرة مرة أخرى، وسنفتح موضوعات لها صلة بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

السورة ممتعة جداً بكل المقاييس، ومليئة بالحكم والعبر والفوائد والتربويات، كالعادة. كما كانت علاقتكم بسورة المجادلة محدودة ثم أحببتموها جداً، وكذلك سورة الحشر، أرجو من الله أن تكون سورة الممتحنة صفحة جديدة لكم معها.

لكن أريد أن ننوي — بإذن الله تعالى — أثناء المدارس أن نحفظ السورة، رجاءً. وهذه فرصة قد لا نُعوّض. فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، وأن يستعملنا في الخير يا رب. سورة الممتحنة ممتعة، فلنحاول أن نعيش مع السورة اليوم.

وأعتقد أننا اليوم نستطيع أن ننتهي من مقدار سبع آيات من السورة بإذن الله سبحانه وتعالى. نحاول أن نستعين بالله على التدبر، وننوي في بداية هذا المجلس أننا في مجلس علم ومجلس قرآن، وتحفنا الملائكة بإذن الله سبحانه وتعالى، وأنا نلتمس طريقاً إلى الجنة؛ «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة». ونحتسب هذا الوقت في سبيل الله سبحانه وتعالى، وأن هذا تعلّم لعلم نافع؛ «ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

فلنصحح النوايا ونستعين بالله.

وكالعادة سنبدأ بقراءة الجزء الذي سندارسه اليوم، ونسأل الله التوفيق وأن يبارك لنا في الوقت كي نلحق أن ننتهي من جميع الفوائد الموجودة في درس اليوم.

فاستعينوا بالله، وهيا بنا نقرأ معاً السبع الآيات الأولى من سورة الممتحنة:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) إِنْ يَتَقَفُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

(2)

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)

فهذه الآيات الكريمة المباركة التي قرأناها من سورة الممتحنة. هيا بنا نبدأ في هذه السورة الطيبة المباركة ونتدارس هذه السورة وتفصيلها العظيمة. أولاً: سورة الممتحنة سورة مدنية بالاتفاق؛ طبعاً لأنها نزلت بعد صلح الحديبية. سورة الممتحنة تُسمّى بـ"الممتحنة"، وهي: أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط، وهي التي يتحدث عنها نصُّ السورة الثاني، وعن مثيلاتها ممّن هاجرن إلى النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية، وحصل لهنّ الامتحان، وهذا سنتحدث عنه في المرة القادمة بإذن الله سبحانه وتعالى.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} (الممتحنة: 10)

طيب، لماذا؟ لماذا أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط بالذات؟

لأنها كانت أول امرأة هاجرت، أول واحدة هاجرت، وأول واحدة تمّ امتحانها؛ فتسمّت السورة على حالها "الممتحنة"، وتُسمّى السورة أيضاً "الممتحنة"؛ أي التي امتحنت المهاجرات أو التي فيها الامتحان.

وتُسمّى السورة أحياناً "سورة الامتحان"، وتُسمّى عند بعض السلف "سورة المودّة". سورة الممتحنة — في الحقيقة — تُعيدنا إلى المعنى الذي ذكرناه في أول الكلام على جزء قد سمع: وهو أننا سنجد خطأ يسير معنا، وهو تكريم المرأة والعناية بها. تخيلوا يا جماعة، نحن في ثلاث سور درسناها في هذا الجزء، نجد أن اثنتين منها تتعلقان بأحوال النساء:

حال المجادلة في السورة الأولى (خولة بنت ثعلبة)،

وهذه الممتحنة في السورة الثالثة (أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط).

فبالتالي هذا شيء جميل؛ فالإنسان يتخيّل أحياناً أن السور التي تسمّت بأسماء النساء هي فقط مثل سورة مريم. لا، بل عندنا:

مريم — المجادلة — الممتحنة — النساء

وسنجد أن سوراً كثيرة تحدّثت عن النساء، بل جاء اسم المرأة في اسم السورة نفسها، وهذا يدل على عناية الله سبحانه وتعالى بالمرأة، سواء كانت تشتكي كما في المجادلة، أو كانت مهاجرة كما في الممتحنة.

سورة الممتحنة: عرفنا أسماء السورة.

المتحنة: لو أخذنا الاسم كما هو، فهناك خلاف بين العلماء:

القول الأول — كما ذكرنا — أن المتحنة هي أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مُعيط، على اعتبار أن "أل" هنا أل العهد، أي المقصود امرأة معينة معروفة، كما نقول: "هات لي الكتاب"، فيُفهم أنه كتاب التفسير مثلاً. فهذا معنى "أل العهد".

القول الثاني: أن "أل" في المتحنة هي **أل الجنس**، أي أن المتحنة هنا تُطلق على كل امرأة هاجرت إلى النبي عليه الصلاة والسلام ثم تم امتحانها.
إذن الخلاف: هل المتحنة امرأة بعينها (أم كلثوم)، أم هي اسم عام يشمل جميع النساء اللواتي امتحن بعد الهجرة؟

والسورة سُميت **المتحنة** لأنها نقلت لنا تفاصيل هذا الامتحان.

والحقيقة لفظة جميلة: نحن نتحدث عن مَنْ؟

عن أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مُعيط.

مجرد الفكرة نفسها مشجعة لكل فتاة على الالتزام.

هذه ابنة أشقى القوم!

أتدرون مَنْ عتبة هذا؟ إنه الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي عليه الصلاة والسلام في مكة.

النبي عليه الصلاة والسلام وصفه بأنه أشقى القوم.

كان من أشد الناس عداوةً للنبي عليه الصلاة والسلام، وأشدّهم بُغضاً له.

ومع ذلك: ابنته أول واحدة هاجرت بعد صلح الحديبية!

رسالة لكل فتاة تعيش ظروفاً صعبة، تعيش في مجتمع لا يشجعها على الالتزام والهداية، في مستوى اجتماعي لا يساعد، في ضغوط من النادي والصديقات والأب والبيت.

سنتحدث في نهاية هذا الجزء — في الدورة القادمة — عن هذا الضغط، وسنذكر كذلك آسيا امرأة

فرعون التي ذكرها الله في سورة التحريم:

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ} (التحريم: 11)

امرأة مَنْ؟ فرعون!

وهنا ابنة عتبة... وهناك امرأة فرعون.

الرسالة واضحة:

مَنْ أراد الالتزام لن تمنعه الظروف،

وَمَنْ صدق مع الله يسّر الله له الهداية،

وَمَنْ عزم وأخذ بالأسباب فإنّ الله لا يخذله:

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت: 69)

في الحقيقة، اسم المرأة وحده درس، نعم:

اسم المرأة وحده درس لكل مجاهدة اليوم

تُقاوم المجتمع، وتُصارع ضغوط الأهل والأخوات والصديقات، وضغط العمل، أو تعيش في أوروبا

في ظروف صعبة وهي تريد الالتزام.

المتحنة... هي هذه الرسالة.

اسم المرأة التي نتحدث عنها هي أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط، وهو من أشدّ الناس كُفْرًا في الإسلام، وأكد أنه شَرِبَ ابنته كلَّ البُغض للإسلام، ورغم ذلك: **{مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي}** (الأعراف: 178)، فسبحان الله.

السورة على فكرة، الكلام على الامتحان عمومًا يبدأ من قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}**. لكن النصف الأول من السورة يتحدث عن شيء آخر تمامًا؛ فالسورة نصفان: النصف الأول يتحدث في موضوع، والنصف الثاني يتحدث عن النساء المهاجرات والامتحان وهذه القصة.

طيب... النصف الأول من السورة يتحدث عن ماذا؟ يتحدث في موضوع آخر وهو قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}**. يتحدث عن قصة أخرى تمامًا، وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة. النصف الأول من السورة يتحدث عن قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وأرضاه. ما القصة؟ تعالوا نحكيها بهدوء...

حاطب بن أبي بلتعة أصله من اليمن، وعاش في مكة تحت حلف. أنتم تعلمون أن أهل مكة إمّا أن تكون من أهلها أو يكون لك حلف مع أحد من أهلها. فيقال إن حاطبًا عاش في مكة بعد حلفٍ عقده بينه وبين الزبير بن العوّام، وقيل: كان الحلف بينه وبين عثمان بن عفّان رضي الله عنهما جميعًا. وعاش في مكة، لكنه إلى ذلك الوقت لم تكن له عائلة في مكة، لا قبيلة له، وليس له أحد هو وأسرته المحدودة زوجته وأولاده فقط، لا يوجد له إلا ذلك الحلف مع الزبير أو عثمان، والأثنين في كل الأحوال قد أسلما.

بعدما هاجر حاطب إلى المدينة، وعندما أراد النبي ﷺ أن يفتح مكة — وكان فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة — حدثت القصة.

حاطب ارتكب أمرًا خطأ... خطأ كبيرًا. لكنه كان يظن أن له فيه مبررًا — رغم أنه خطأ. فقد خاف أنه إذا ذهب النبي ﷺ لفتح مكة أن يقوم المشركون برّدّة فعل، فينتقموا من كل ضعيف من المسلمين في مكة، وكانت أسرة حاطب ما تزال في مكة، لم تستطع الهجرة. أسرته كانت مستضعفة، وهو لا أحد له هناك.

فقال في نفسه: إذا وصل النبي ﷺ إلى مكة بهذه الصورة، ربما يقتل أهل مكة أسرتي كاملة. فخاف عليهم وقال: **"ليس لي أحد هناك"**. فأراد أن يقوم بحركة مع أهل مكة ليذكروها له فلا يقتلوا أسرته. ففعل أمرًا خطأ جدًّا... أرسل رسالة إلى أهل مكة يشير فيها إلى مقدم النبي ﷺ. لم يحدد زمانًا ولا مكانًا، حاول أن يجعلها رسالة مبهمة حتى يُشعرهم بأنه قدّم لهم "جميلة"، وفي الوقت نفسه لا يضر المسلمين بهذه الرسالة. لكن أكيد مجرد وصول الخبر لأهل مكة كان نوعًا من التجسس بلا شك. أعطى الرسالة لامرأة كانت متجهة إلى مكة، وقال لها: خذي الرسالة. فأخفتها في شعرها، وذهبت بها لتوصلها.

حاطب كان كاتب رسالته بطريقه إخبار به تخويف هو عارف انه يرتكب خطأ لكنه أراد انه يرسل تخويف بداخل الرسالة لأهل مكة، فكتب: "إن محمدًا قد عزم على غزوكم بجيش كالسيل، يختفي بالنهار، ويسير في الليل، والله لو جاءكم وحده، لنصره الله عليكم. فانظروا في أمركم، والسلام.

المهم يعني الرسالة كان فيها تخويف هو يقول لهم استسلموا، لكن في النهاية هو قالهم وخلص وده مش هيشفع لك أوي.

النبي ﷺ عرف بالأمر بالوحي، وكان الموضوع خطيراً جداً؛ لأن النبي ﷺ كان قد دعا الله أن يُخفي خبرهم عن أهل مكة حتى يصلوا، ليس خوفاً، ولكن لأنه لا يريد دماء ولا قتالاً، وكان يتمنى أن يكون الفتح بلا دماء.

فأخبر النبي ﷺ بالوحي أن حاطباً أرسل الرسالة. فأرسل علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد، وأبا مرثد الغنوي رضي الله عنهم. وقال لهم: اخرجوا فوراً وأتوا بالمرأة. فذهبوا إليها ووصلوا إليها، وضغطوا عليها حتى أخرجت الكتاب، ثم عادوا به إلى النبي ﷺ. أحضر حاطب بن أبي بلتعة، فقال له النبي ﷺ: "ما هذا يا حاطب؟ ما هذا يا حاطب؟". أمر صعب جداً لا يتصور أن يصدر من رجل من الصحابة الكرام مثل حاطب، رجل شهد بدرًا! فكيف يحصل منك هذا يا حاطب؟

فقال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، لا تعجل عليّ. والله إني لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت ولا بدلت، ولكنني كنتُ امرأً مُلصقاً في قريش؛ يعني: أنا لست منهم، لست من أنفسهم، ولي فيهم أهلٌ وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحموني. وكل من معك لهم قرابات يحمونهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي. رأيتم تفسيره؟

فقال عمر رضي الله عنه وأرضاه: دعني يا رسول الله أضرب عنقه — أراد أن يقتله — فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم».

فدرفت عين عمر رضي الله عنه وأرضاه، وقال: الله أعلم. وعفا النبي عليه الصلاة والسلام عن حاطب بسبب أنه شهد بدرًا.

النصف الأول من السورة نازل في هذا الموضوع؛ لأن ما فعله حاطب بن أبي بلتعة خطأ كبير طبعاً، هو تاب منه، والنبي عليه الصلاة والسلام سامحه بسبب شهوده بدرًا، لكن لا شك أنه خطأ ونوع من الموالاة للمشركين؛ موالاة لم تصل إلى الكفر، بدليل أن النبي ﷺ لم يعتبره مرتدًا وعفا عنه. فدلّ ذلك على أن هذا النوع من الموالاة لم يصل إلى الكفر الأكبر، وإنما هو حرام لا شك، لكنه ليس كفرًا أكبر.

فنزل فيه قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ}.

انظروا إلى أنواع الاستنفار التي أحدثها الله في قلوب المؤمنين.

أولاً استنفارهم بلفظ الإيمان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا}، يا مؤمنون، يا موحدون، يا من آمنتم بالله

والرسول عليه الصلاة والسلام، كيف يقع منكم مثل هذا؟

ثم قال: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ}. انظروا إلى الاستفزاز والاستنفار: عدوي وعدوكم. هو عدو لله، وفي الوقت نفسه عدو لكم، فكيف يكون ولياً لكم؟ لابد أن يظل عدوًّا.

{تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا}.

كيف تكون لهم المحبة الخالصة — المودة — وفي الوقت ذاته هم كفروا بالله؟
أنت تحب الله، والكافر بالله يجب أن يُبغض، وإلا فلا تكون حبيباً لله تعالى.

{وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}. ثم قال لهم: **{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ}.**

هؤلاء هم الذين أخرجوا النبي عليه الصلاة والسلام من مكة، واضطروه إلى الهجرة، وأنتم أيضاً خرجتم بسببهم. فكيف بعد كل ذلك يكون منكم ولاء؟

كيف يُعقل أن يواليهم الإنسان أو يرسل إليهم أخبار المسلمين؟ أو يحبهم؟ أو ينصرهم على المسلمين؟ كيف يتصور ذلك؟

{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}.

يعني: أخرجوكم بسبب أنكم آمنتم بالله سبحانه وتعالى. فكيف تكون هذه الموالاة؟
الحقيقة: هذا نهى صريح من الله سبحانه وتعالى عن موالاة الكافرين. والموقف الذي فعله حاطب — وقد قلنا إن نوع الموالاة الذي فعله كان معصية وليس كفراً — وهذا يدل على مسألة في غاية الأهمية، وهي: ليس كل موالاة للكفار كفراً.

الموالاة للمشركين أنواع. ما معنى "أواليه"؟ ماذا يعني أن يكون الإنسان "موالياً للكافرين"؟ الكلمة لها تفصيل كبير. نحاول أن نختصر بعض الصور، ونبين أن هناك صوراً تكون كفراً أكبر، وصوراً تكون كفراً أصغر أو معصية.

الموالاة في اللغة تأتي بمعانٍ منها: الحب، النصرة، الطاعة، الصداقة، التشبه.
فهذه من معاني "والى" في اللغة. ولذلك عندما ننزلها على الأحكام الشرعية نربط بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

فما معنى موالاة الكافرين؟

الله يقول: "لا تتخذوهم أولياء". يعني: ماذا أفعل؟
يعني هذه المعاني المذكورة.

أول معنى: لا تحبهم. كما في سورة المجادلة:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (المجادلة: 22).

هذا أول شيء: يجب أن تبغض الكافر؛ لأن **{اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (آل عمران: 32).**

وسياقي قول إبراهيم عليه السلام: **{وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} (المتحنة: 4).**

كيف يكون في قلب واحد: إيمان بالله، وحب لله، وحب من يسب الله؟
يحب الله ويحب عدو الله؟ هذا لا يستقيم، هنا يوجد مشكلة.

إذن: لا بد أن الإنسان لا يحب الكافرين.

هنا نسأل:

لو أحب الكافرين... هل هذا كفر أم حرام؟

نسأل سؤالاً أدق:

هل هو يحب الكفر نفسه؟

يعني: يحبّ دين النصارى — مثلاً — لأنه يبيح الخمر والزنا وغير ذلك.
إن أحبّ الكافر لأجل كفره نفسه، فهو لم يتبرأ من الكفر. وهذا ينقض لا إله إلا الله؛ لأن الله قال:
{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} (البقرة: 256).

فإن لم يكفر بالطاغوت، وأحبّ الطغيان والكفر، فهذا ليس مسلماً.
في نوع ثانٍ: لا، يقول لك: أنا أكره الكفر طبعاً، لكنني أحبّ الكافر؛ يعني أحبّه لشخصه، لا أحبّ كفره
طبعاً، لكنني أحبّه. نقول له أيضاً: هذا خطأ؛ لأن الكافر هو الذي يفعل الكفر نفسه، فالمفترض أنني لا
أحبّ الكفر ولا أحبّ الكافر.

فلو أنني أحببتُ الكافر، ولكن ليس لكفره، بل لشخصه، نقول: هذا لا يجوز. فيكون هذا حراماً، لكنه
ليس كفراً. ينبغي أن يكون في قلبك بغضٌ لكل الكافرين، كما فعل سيّدنا إبراهيم عليه السلام، **{إِذْ**
قَالُوا لِقَوْمِهِمْ} ... تمام.

أما المعاملة الحسنة والإحسان، فهذا لا مشكلة فيه، إذ لا يتعارض مع البغض؛ فقد يُحسن الإنسان
إلى من يكرهه، ونحن أصلاً في حياتنا كثير من الناس لا نحبّهم، لكن نعاملهم معاملة جيدة. يجب أن
نفعل ذلك؛ فالله الذي أمرني ألا أحبّ الكافر، هو الذي أمرني بالبرّ والقسط والعدل والإحسان، وكلّ
هذه الأمور، ولا يوجد تعارض بين الأمرين.

فبعض الناس عندهم مشكلة: إمّا يغلب هذا أو يغلب ذاك، فإمّا يقول: طالما البرّ والقسط موجودان،
فلا بدّ أن أحبه! لا، ليس لازماً. أو يقول: طالما أبغضه، إذن أظلمه وأؤذيه! وهذا أيضاً خطأ. نحن
وسط: لا نحبه، ولكن نحسن إليه؛ العدل، البرّ، القسط، كل المعاني التي تتعلق بحسن المعاملة ينالها
طالما هو يعاملنا معاملة جيدة. وهذا سيأتي معنا في المرة القادمة في قوله تعالى: **{لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ**
الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ}. (الممتحنة: 8)

وبالتالي، أنا أقول إن المحبة قد تكون كفراً أكبر، وقد تكون معصية. وكذلك النصرة، وهي المعنى
الثاني من الموالاة: أن ننصر الكافر على المسلم.

لكن النصرة أنواع: قد تصل إلى الكفر الأكبر، مثل ماذا؟ مثل أن ينصر شخص الكفار عن طريق القتال
معهم ضدّ المسلمين في معركة دينية، يعني معركة راية كفر وراية إسلام. فجاء شخص وقاتل مع
الكفار، مسلم يقاتل مع الكفار... فهذا يخرج من الإسلام. وهذا خلاف حالة **حاطب**، وسنرى الفرق.
مثل ما حدث في قريش كان هناك من يتكلم بالإسلام؛ مثل **العباس** رضي الله عنه. كان الناس قد
سمعوا أنه أسلم، لكنه لم يهاجر، وبقي في مكة. فلما جاءت غزوة بدر، ضغطوا عليه. لم يكن مكرّها
إكراهاً حقيقياً، لكن من باب "سيف الحياء". أخذوه معهم وقالوا له: ستخرج معنا، ستقاتل معنا.
فخرج معهم حتى يرضيهم. فأسير العباس في غزوة بدر.

النبي عليه الصلاة والسلام عامله معاملة الكفار، ومن كان يتكلم بالإسلام وقُتِل في غزوة بدر، النبي
عليه الصلاة والسلام دفنه مع المشركين، أو عموماً لم يُدفن في مقابر المسلمين. فالنبي اعتبر خروج
هؤلاء في صفوف المشركين يوم بدر ردّة.

مثل ماذا؟ مثل مسلم يقاتل في الجيش الأمريكي ضد المسلمين في العراق، أو يقاتل المسلمين في
أفغانستان: هذه ردّة. مسلم في جيش إسرائيل اليهودي يقاتل الفلسطينيين: هذه ردّة. مسلم في
الجيش الروسي يقاتل المسلمين في الشيشان: هذه ردّة.

وفيه نزل قول الله تعالى: {قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء: 97).

فهؤلاء قالوا: "كنا مستضعفين، ماذا نفعل؟" قال الله: "لا، كان عندكم اختيار أن تهاجروا". فخلاصة الأمر: {فَأُولَئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}

لكن حاطباً رضي الله عنه كانت درجته أقل من هذه الدرجة؛ فهو لم يكن في صفّ المشركين يقاتل، وإنما ساعدهم فقط: أرسل لهم رسالة. فدلّ الدليل على أن المساعدة دون مباشرة القتال ليست كفراً أكبر: مثل التجسس، مثل نقل الأخبار، مثل أن يقدم خدمة من بعيد، لكن دون مشاركة مباشرة في القتال. فهذه تُعتبر حراماً، لكنها لا تصل إلى الكفر الأكبر.

كذلك لو جئنا إلى باب الطاعة: قلنا الآن: المحبة، النصرة، ثم الطاعة. لو أن إنساناً أطاع الكافر في الكفر، فهو كافر. ولو أطاعه في المعصية، فهو عاصٍ. نفس الفكرة.

فأريد أن أقول إنّ "الموالة" فيها صور قد تصل إلى الكفر الأكبر، وفيها صور لا تصل إلى الكفر الأكبر. مثل الطاعة كما قلنا: شخص قال له الكفار: اكتب مقالاً ضدّ الإسلام، فكتب. هذا كافر، كفراً أكبر. وشخص آخر الكفار ينشرون الفسق والفجور والأفلام الإباحية والتبرج والزنى، فأطاعهم في ذلك... هذا ليس كافراً؛ هو يطيعهم مع علمه أنه حرام، شهوات وغيره... فهذه معصية، لا كفر.

ومن صور الموالة أيضاً: أن نتخذهم مقرّبين وأصدقاء. والله نهانا عن ذلك، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} (آل عمران: 118)؛ يعني لا يكونون مقرّبين وأصدقاء. قد يكون زميلك في العمل، أو جاراً، بينكم علاقة جيدة... لكن ليس صديقاً مقرّباً.

النبي عليه الصلاة والسلام قال: "لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيًّا". ومن ذلك: التشبّه؛ فلا يجوز التشبّه بهم فيما هو من خصائصهم، أمّا الأشياء المشتركة بين المسلمين والكفار فليست تشبّهاً؛ لأنّ هناك أموراً كثيرة جدّاً مشتركة بيننا وبينهم في بعض العادات والملابس، فهذه ليست المقصودة. المقصود: ما كان من خصائصهم، هم وحدهم يفعلونه، مثل أنهم يأكلون بالشمال؛ فأنا أكل باليمين. فلماذا تتشبه بهم في أنك تذهب إلى مطعم وتأكل بالشمال؟ حتى لو وجدت الشوكة في الشمال، ضع الشوكة في اليمين وكلّ كما يفعل المسلمون. يقول لك: "هذا هو العُرف، وهذا هو الإتيكيت!". نعم، لكنك بذلك تتشبه بالكافرين، وهذا معصية.

أنت لك هوية، ولك منهج، ولك دين متكامل، فافعل الصواب. يقول لك: "لا، نحن يجب أن نلبس مثلهم". لا، لسنا مجبرين أن نلبس مثلهم؛ لنا هويتنا، ولنا حدود العورات، وهناك شيء اسمه التبرج، وهناك ستر، وهم لا يبالون بهذا الأمر. وبالتالي كل هذه الصور – كما قلنا – منها ما هو هكذا، ومنها ما هو هكذا. فالذي فعله حاطب لا يُعتبر كفراً أكبر كما رأينا.

دعنا نُكمل الصورة حتى تتضح. في الجهة الأخرى هناك صور أخرى من المعاملة مع الكفار لا تُعتبر موالة أصلاً. ما الدليل؟ الدليل أنّ النبي عليه الصلاة والسلام هو نفسه فعلها، فكونه فعلها دليلٌ أنها ليست من الموالة أصلاً.

مثل ماذا؟ مثل البيع والشراء. أن أبيع وأشتري من الكافر: كافر يبيع في السوق أو لديه مصنع أو محل، وأنا أتعامل معه بيعاً وشراءً... هل هذا حرام؟ لا، ليس حراماً. النبي عليه الصلاة والسلام كان يبيع ويشترى مع اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان يبيع ويشترى مع الروم.

يعني كانت هناك تجارة بين المسلمين وغير المسلمين عمومًا، فالبيع والشراء مع الكافر لا علاقة له بالموالاة.

كذلك أن تعمل عنده أو يعمل عندك. النبي عليه الصلاة والسلام استأجر رجلًا كافرًا ليدلّهم على الطريق في الهجرة. وثبت أنّ سيدنا خَبَّابًا كان حدّادًا يعمل عند العاص بن وائل، وهو كافر. فأنّ يعمل هو عندي، أو أعمل عنده، ليس من الموالاة.

كذلك الهدية: النبي عليه الصلاة والسلام أهدى للمشرّكين، وقبِل منهم الهدايا. والمرأة اليهودية أهدت له شاةً مسمومة، وقبِل الهدية عمومًا. إذن: قبول الهدية من الكافر أو إهداؤه ليس من الموالاة. عيادة المريض: النبي عليه الصلاة والسلام زار اليهودي فأسلم، وزار عمّه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام. إذن زيارة المريض الكافر ليست من الموالاة، وكذلك لو زارني هو لسبب ما، لا مشكلة، أستقبله في بيتي وأكرمه وأضيّفه.

صور الإحسان كلّها ليست من الموالاة: أن أطعمه، أسقيه، أكسوه، أساعده، أعطيه من الصدقة (وليس من الزكاة)، أن أقف بجانبه في أزمة، أساعده في حاجة، أسدّ دينه... كل ذلك ليس من الموالاة.

الزواج من الكتابية: اليهودية أو النصرانية، بشرط أن تكون حُرّة عفيفة. فقد أذن الله بالزواج من الكتابية، فدلّ على أنّ ذلك ليس من الموالاة المحرّمة. إذا هذه صور ليست حرامًا: التعامل مع الكافر بالبرّ والقسط والإحسان... كل ذلك غير داخل في الموالاة. وبذلك نكون قد فرّقنا بين هذه الصورة وتلك. وأظنّ أنّ الصورة الآن واضحة. هنا أنت داخل السورة وأنت فاهم؛ لأننا أحيانًا لا نفهم كلمة "أولياء": أولياء في ماذا؟ الآن الصورة واضحة، والرؤية بيّنة.

فيقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ}**.

هل فهمت الآن معنى "لا تتخذوا وليًّا"؟ فهمناها؟

نرجع إلى الاستنفار الذي فعله الله **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا}**. هذا أوّل استنفار: الثاني: **{عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ}**. الثالث: **{وَقَدْ كَفَرُوا}**. الرابع: **{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّكُمْ}**. أرايت كم استنفارًا؟ كيف توالونهم بعد أن كانوا سببًا في إخراجكم؟

في الحقيقة: هم لم يُخرجوا الرسول مباشرة، بل كانوا يريدون قتله أصلًا، لكن لماذا نسب الله إليهم الإخراج؟ لأنهم المتسبّبون فيه، فنُسب إليهم من باب التسبب. كما قال ورقة بن نوفل للنبي عليه الصلاة والسلام: "ليتني فيها جذعًا إذ يُخرجك قومك". قال: "أو مُخرجي هم؟" قال: "ما أتى أحدٌ بمثل ما جئت به إلّا عودي".

فكونهم اضطّروه للخروج، صاروا هم الذين أخرجوه. **{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّكُمْ}**. لماذا؟ **{أَن تُوْمِنُوا}**. وهذه تُسمّى "أنّ التعليلية". أي: لأنكم مؤمنون. وهذا خامس استنفار: كل ما جرى كان بسبب إيمانكم. فكيف – يا مؤمن – بعد هذا كلّهُ توالي الكافر؟

وهذا نفس كلامنا اليوم: كيف نوالي الكفار وقد فعلوا فينا ما فعلوا في فلسطين، في غزّة، في السودان، في العراق، في سوريا؟

إلى الآن هناك مَنْ يحبّهم، إلى الآن مَنْ يتشبه بهم، إلى الآن مَنْ يعظّمهم، إلى الآن مَنْ يتمنى أن يسود هدى الكفار في بلاد المسلمين، إلى الآن مَنْ يتمنى نصرتهم وعلوّهم... متى ستفيق من هذه الغيبوبة؟ قال تعالى: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ} (المتحنة: 2) كما سيأتي {أَنْ تَوَمِّنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ} (المتحنة: 1).

وبعد ذلك يعاتبهم الله ويقول: {إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} (المتحنة: 1) يعني إن كانت هذه هي النية، فإذا كنتم خرجتم لله وابتغاء مرضات الله، فلا ينفع أن توالوا الكافر. فأنت عندما خرجت للجهاد أو للهجرة، خرجت لله وابتغاء مرضات الله، فكيف تقول إنك خرجت لله وفي نفس الوقت توالي عدوه؟ كيف يكون هذا التناقض؟ إن كنتم خرجتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فلا توالوا الأعداء، تسرون إليهم بالمودة؟ تخفون لهم في بطونكم محبة لهم؟! {وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ}

هذه قاعدة عامة: ربنا يعلم ما يخفي وما يعلن، {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} (إبراهيم: 38). {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}. ثم قال تعالى: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ}.

فيتبين حقيقة، ما معنى يثقفوكم؟ يعني يدركوكم، يتمكنوا منكم، {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}. ماذا تعني يتمكنوا منكم؟ يعني: ما يغرك الكافر في البداية، فهو أحياناً يظهر مستضعفاً أو لم يتمكن منك بعد، فيتودد إليك ويظهر مودة، ويضغط عليك، ويساومك، وهذا يحدث حتى يجد منك ضعفاً، كما حدث في العراق وفلسطين وأفغانستان وغيره. أول ما يتمكن منك، لا يرقب فيك إلا ولا ذمة. بعد الابتسامات والاجتماعات والمؤتمرات الدولية والعلاقات الثنائية... كل ذلك يزول بمجرد أن يتمكن منك، فيكون أفضع إرهاب يمكن أن تتخيله في حياتك.

سجن "أبو غريب" في العراق، المقابر الجماعية في سوريا والسودان وغزة. نسأل الله السلامة والعافية.

فلما يتمكن منك الكافر، لن يرحمك أبداً. فربنا يحذر: لا يغركم الآن لسانهم المعسول ودخولهم عليكم، فهذا فقط لأنهم لم يتمكنوا منك بعد. وإذا تمكنوا! بص المشركين لما أصابوا من المسلمين أصابات يوم أحد مثلوا بالجنث فوراً رغم أن العرب كانت لا تفعل ذلك أبداً، شوف الغل! {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ} يكونوا لكم أعداء يعني يظهروا العداوة جداً، هي موجودة من الأول ولكن يظهروا في هيئة مادية

{وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ}.

يبسطوا اليد: أي القتل والإيذاء والضرب والسجن.

وَأَلْسِنَتُهُمْ: أي الشتم والإساءة، والكفر أمامك، ليؤذوا أسماعك، كما يفعلون بسجن المسلمين، ويشتمون دينهم، ويشتمون النبي عليه الصلاة والسلام. المساجين يحكون المآسي: كانوا يقطعون القرآن أمامهم، يشتمون النبي عليه الصلاة والسلام، يسبون الله والدين أمامهم،

{وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ}.

وكذلك: **{وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}**. لن يرضوا عنكم إلا إذا كفرتم، **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** (البقرة: 120). **{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}** (النساء: 89). ثم قال تعالى: **{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ}**.

هذا مناسب للموقف الذي فعله حاطب: عمل كل ذلك من أجل رحمه ليحمي أولاده. ولكن الله يوضح: أنا وحدي الذي ينفعك، ولا أحد ينفعك إلا بإذن الله. أنا فعلت ذلك لأنك كنت ترجو نفع الرسالة إن الكفار ينفعوا أولادك وبيتك ولا يؤذوهم، الله الذي ينفعك **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}** (محمد: 7) لو توكلت على الله، لما وصلنا إلى هذا الوضع، وإنما أوتيت من هزة إيمانية لا بد من تصحيح المسار.

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ} يعني إلا بالله. الله هو الذي ينفع ويسبب الأسباب سبحانه وتعالى. ثم يقول تعالى: **{يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ}** ويحكم بينكم فيعد الإنسان العده لهذا اليوم، **{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**.

البعض يوقف على يوم القيامة، وفي وقف ثاني **{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ}** ويقف، بعدها يقول **{يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** وهذا يضيف معنى زيادة: **{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ}** برضوا، أي لن تنفعكم في الدنيا، ولا تنفعكم يوم القيامة إلا بإذن الله تعالى. وإذا كان الإنسان كافراً أو منافقاً، فلن ينفعه أي شيء من ذلك يوم القيامة: **{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ}** (عبس: 34:36).

طب إذا كان الإنسان مسلماً وقرابته صالحة، ربنا هو الذي ينفعه بهم، ليس هم الذين ينفعون بأنفسهم. فيخاف فيبقى:

{الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (الزخرف: 67)

وربنا يلحق الأدنى بالأعلى في الجنة:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} (الطور: 21)

آه، ساعتها ربنا ينفعك بهم، لكن برضه هم لا أحد ينفع أحداً بنفسه، حتى الشفاعة بإذن الله، حتى شفاعته النبي ﷺ، يجب أن يأذن الله فيها. فالقلب يتعلق بالله فقط لا غير:

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

ثم كان من المناسب جداً ضبط المسار بقودة وأسوة في الولاء والبراء بعد الغلطة التي حصلت من حاطب، التي هزت الولاء والبراء. كان يجب أن نرجع الناس للنصائح والمواعظ والأمر من الله.

وبعد ذلك، أضرب لك مثالاً عملياً وقدوة، لأن القدوة عندما تتواجد، يسهل الامتثال جداً. لا أقول إن الكلام مثالي ومن الصعب تنفيذه، بل أقول لك تعال أريك من عمله وكيف فعله:

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}

إبراهيم عليه السلام، ربنا يضرب لنا مثالاً بهذه القدوة والأسوة الطيبة، إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ربنا يقول لنا: هذا قدوتكم، هذه أسوتكم، أسوة حسنة في إبراهيم **{وَالَّذِينَ مَعَهُ}** ناس قالوا: من هم "والذين معه"؟ نحن نعرف أن سيدنا إبراهيم لم يؤمن به أحد إلا سيدنا لوط وزوجته فقط. فالقول الأول: "والذين معه" أي لوط عليه السلام وزوجة سيدنا إبراهيم، التي هي سارة، هم الذين آمنوا به في ذلك الوقت.

ويقول البعض: "والذين معه" هنا كلام عن الأنبياء، أي اعتبروا معهم في الطريق والمنهج، وهذا القول الثاني: "والذين معه" أي جميع الأنبياء، لأن جميع الأنبياء عملوا مثل سيدنا إبراهيم، تبرأوا من قومهم وأظهروا لهم العداوة والبغضاء ولم يوالوهم إلا من آمن منهم. يبقى الأنبياء كانوا زي سيدنا إبراهيم وبالتالي ينفع أقول والذين معه أي الأنبياء يعني الذين معه في المنهج والطريق، القول الثالث: "والذين معه" يعني الذين اتبعوا سيدنا إبراهيم وساروا على نهجه، سواء كانوا أنبياء أو غيرهم. وهذا القول يشمل جميع الأقوال، لأنه إذا قلنا "والذين معه" أي الذين آمنوا به أو ساروا على نهجه واتبعوا هديه، يشمل سيدنا لوط وزوجة سيدنا إبراهيم، ويشمل جميع الأنبياء، ويشمل كل من كان على ملة إبراهيم عليه السلام، ويشمل أمة النبي ﷺ.

نحن في الذين معه وكأن هذه الآية تحفزنا، تقول لنا: سيدنا إبراهيم وأنت أيضاً، لأنك على ملته. نحن كل يوم نقول على ملة إبراهيم: حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين، أي على التوحيد الخالص، فإن إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد كما هو معلوم.

والذين معه، ماذا فعلوا؟ إذ قالوا لقومهم: **{إِنَّا بَرَاءُكُمْ}** يعني عكس الولاء البراء، البراء يعني بغض الكافرين، عدم نصرتهم على المسلمين، عدم التشبه بهم، وعدم اتخاذهم أولياء أو أصدقاء مقربين، وعدم طاعتهم في الكفر أو في المعصية.

{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ} (القلم: 10)، **{وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا} (الإنسان: 24)**، هذا البراء من فعل ذلك يكون قد تبرأ من الكافرين .

{إِنَّا بَرَاءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}

أي "منكم" أي أنا بريء منك أنت فاعل الكفر. فالكفر نفسه، نحن نكرهه. وليس مسموحاً أن تحب فاعل الكفر رغم كفره، كما لو شتمك شخص، تقول: أنا أكره الشتيمة ولكنني أحب من شتمني، هذا لا يصح، فأنا أكرهه هو وأكره الشتيمة.

البعض يقول أنا أكره الكفر نكره أفعالهم لكن بنحبهم هما، هذا خطأ **{إِنَّا بَرَاءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ}**، يعني كفرنا بالطاغوت، لا نعتقده، لا نؤمن به، لا نحبه. **{كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ}**.

وهنا مسألة مهمة جداً وهي مسألة **{كَفَرْنَا بِكُمْ}** دي أن لا يستقيم إنسان يصح إيمانه بالله حتى يكفر بما يعبد من دون الله كله

يعني هل يصحّ أن يقول واحد: أنا مؤمن بالله وموحد، وأعتقد الإسلام، وكل شيء تمام، لكن أرى أنّ النصرانية حق، واليهودية حق أيضًا، والبوذية حق، وكل الأديان صحيحة، وكل واحد يحاول الوصول إلى ربنا بطريقته، وكلّ يعبد بطريقته، وأن كل الطرق تؤدي إلى الله؛ فهذا وصل من ناحية سيدنا عيسى، وهذا من ناحية زرادشت، وآخر من ناحية بوذا، لكن النية واحدة، وهي الوصول إلى الله، فكل الأديان عنده صحيحة؟

نقول له: أنت كافر، ولا يصحّ لك إيمان. لا يصحّ إيمان حتى كما قال الله تعالى:

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} (البقرة: 256)

لذلك "لا إله إلا الله" نصفان:

لا إله: أي الكفر بما يُعبد من دون الله وعدم الرضا به.

إلا الله: إثبات أنه لا يستحقّ أن يُعبد إلا الله سبحانه وتعالى.

وهذا ينقلنا إلى مسألة خطيرة جدًّا، وأريدك أن تركز في ما سيأتي.

هو الدعوة التي تسمعها الآن كثيرًا في الفترة الأخيرة من ترامب وغيره: الدعوة إلى ما يُسمّى بالدين

الإبراهيمي أو المسار الإبراهيمي أو الديانة الإبراهيمية.

أريدك أن تركز جدًّا في هذه الكلمات في الفترة القادمة؛ لأنك ستسمعها كثيرًا.

هناك ضغط حاليًا لتنفيذ هذا المشروع، مشروع الديانة الإبراهيمية.

ما هي الديانة الإبراهيمية في ظنهم؟

هم يريدون خداع المسلمين.

كيف يخدعونهم؟

يريدون الوصول في النهاية إلى:

أن يكفر المسلمون، وأن يتمكّن اليهود.

هم الآن سيأتون إلينا بكلام معسول، بمؤتمرات، ولن يظهر الغرض الخبيث من البداية.

لكنني أذكر لك خلاصة المكتوب والمخططات التي درسناها.

الدين الإبراهيمي: محاولة لفرض دين جديد على المسلمين تحت مسمّى الإخاء والمحبة وإنهاء

الصراعات الدينية.

يقول لك: ما المشكلة بينكم وبين اليهود؟ وبينكم وبين النصارى؟

الدين هو الذي يفرّقنا وهو سبب الصراعات الدينية.

طيب يا جماعة:

يا يهود، يا نصارى، يا مسلمين...

أليست نقطة الاتفاق بيننا جميعًا هي سيدنا إبراهيم؟ نعم، كلنا نحب سيدنا إبراهيم!

إدًا:

تعالوا نتفق على سيدنا إبراهيم، ونعمل دينًا اسمه الدين الإبراهيمي، يكون مزيجًا بين الإسلام

واليهودية والنصرانية.

لاحظ... هذا الكلام ظهرت بوادره بالفعل في الإمارات للأسف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصار هناك مكان موحد فيه كنيسة ومعبد يهودي ومسجد، وبدأت إجراءات حقيقية لتطبيق هذا

على أرض الواقع.

يعني الأمر ليس تخيلاً؛ بل حقيقة بدأت.

ثم يقولون: نأخذ القواسم المشتركة: الأخلاق، المعاملة...

طيب، كيف سأصنع مزيجاً بين الإسلام واليهودية والنصرانية؟
المسلمون يؤمنون بسيدنا محمد ﷺ.

كيف سيتم المزج؟

إذاً لا بد من التنازل عن هذا لأنه غير مشترك.

النصارى يؤمنون بسيدنا عيسى عليه السلام، واليهود لا يؤمنون به.

إذاً لا بد من التنازل عن هذا أيضاً.

فما القاسم المشترك إذاً؟

سيبقى الإيمان بسيدنا موسى فقط، وعلى الطريقة اليهودية.

فهم الذين سيفرضون منهجهم.

وهكذا، سنصل في النهاية إلى ديانة أقرب ما تكون إلى اليهودية، أو سيجعلون القواسم المشتركة

مجرد أخلاق وآداب، ويتم إلغاء العقيدة تماماً.

لن يتحدث في العقيدة أصلاً، ويقنعونك بأن هذا هو المسار الإبراهيمي الذي سيؤحد الصفوف.

وفي نفس الوقت، هم متمسكون بدينهم بشدة، بينما يريدون نزع مصدر قوتك، وهو دينك، تحت

مسمى أنهم سيأخذونك إلى "دين آخر"؛ لكنه دين مفرغ من المحتوى، بلا قيمة.

دين يسمونه "إبراهيمي" وهم الذين يضعون معاييرهم.

دعني أكمل لك حتى أصل إلى النقطة الأخطر:

بعد ذلك سيقولون: كل المسلمين يتوحدون على الدين الإبراهيمي، ويُفرض في المدارس، وتُعقد له

المؤتمرات، ويقتنع به الناس، ويُضغط على الدول وزعماء الدول لفرضه على الشعوب.

ومع مرور الزمن — وقد ينتظرون خمسين سنة — لا مشكلة لديهم.

ربما يحدث في أحفادنا — لا قدر الله — إن لم ننتبه.

فتصبح الدول الإسلامية كلها تدين بدين إبراهيم، وكذلك إسرائيل.

ثم تأتي الخطوة التالية:

يقولون: دعونا نضع شيئاً اسمه الولايات الإبراهيمية.

هذا مكتوب ومخطط.

نجمع كل من دان بدين إبراهيم في ولاية كبيرة، أو دولة ضخمة مثل الولايات المتحدة، ونسميها

الولايات الإبراهيمية.

يا سلام... كلام معسول لكنه كله سم.

من سيتولى أمر "الولايات الإبراهيمية" إذاً؟

من سيكون القائد؟

طبعاً أقوى دولة في المنطقة.

وما هي أقوى دولة في المنطقة؟

... فهمت الآن؟

وهكذا يُنفذ مشروع من النيل إلى الفرات ...
بمزاجك، وببيدك، وعلى عينك، وأنت مبسوط وراضٍ وتضحك.
فهمنا؟

فده قصة الدين الإبراهيمي من وجهة نظرهم، احنا ممكن نقلب الطاولة عليهم إزاي؟ أقول له: بص أنا معاك، أنا عايز الدين الإبراهيمي، إزاي؟ هقول له: الدين الإبراهيمي ربنا قاله، **{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** (آل عمران: 67).
سيدنا إبراهيم، دينه زي ما النبي ﷺ قال: "لو كان موسى بن عمران حيًّا لما وسعه إلا أن يتبعني، لو سيدنا إبراهيم حي نفسه كان سيتبع دين الإسلام".

سيدنا إبراهيم صلى بصلاة النبي ﷺ في بيت المقدس، في رحلة الإسراء، فلو الدين الإبراهيمي بمفهومنا، الدين الإبراهيمي هو: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لأن ربنا أخذ العهد على الأنبياء: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}** (آل عمران: 81)

الحقيقة أن سيدنا إبراهيم، ربنا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بالنبي ﷺ إذا بعث، إذا الدين الإبراهيمي بالنسبة لي، لا هو اليهودية ولا النصرانية ولا له أي علاقة به، وإنما هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا هو دين إبراهيم عليه السلام.

لو أنتم عايزين فعلاً نقول: ما هو دين سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قال عنه الله: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** (النحل: 120).
لم يكن من المشركين، قال: **{وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}**.

احنا يا جماعة عبيد لله، ربنا يقول لي حب فلان أحبه، اكره فلان أكرهه، عادي جدًا. أنا يا جماعة ماليش اختيار، **{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}** (القصص: 68).

سيدنا عمر لما النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، قال: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

قال الآن يا رسول الله: أنت أحب إلي من نفسي، سهلة جدًا، أنا بضبط بوصلة قلبي على ما يريد الله، لو قال لي أحب هذا أحبه والله.

والله لو ربنا قال لي أحب الكافر، كنت سأحبه، لكن الله قال لي **{فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}**، وقال لي: ابغضوا، خلاص، أنا بغضت، لأن هذا مراد الله، أنا عبد، ليس لي اختيار.

تمام، حتى تؤمنوا بالله، طب آمن، يتحول فورًا. هذا دليل أن أنا مع ربنا. الكافر نفسه، لو أسلم الآن، أحبه جدًا في لحظة.

{حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ}، ثم قال تعالى:

{إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}.

إلا قول إبراهيم الاحتمال الأول في "إلا" إن هذا استثناء متصل. ماذا يعني استثناء متصل؟

استثناء متصل يعني: المستثنى جزء من المستثنى منه، أي الذي بعد "إلا" مستثنى من الذي قبل "إلا".

الذي قبل "إلا" هو الأسوة، يبقى الذي بعد "إلا" مستثنى من الأسوة، يعني كأن ربنا يقول: هو أسوة، سيدنا إبراهيم أسوة في كل شيء إلا في شيء واحد فقط، عندما استغفر لأبيه، لا تقلدوه في هذا. لأن المسلمين عندما عرفوا أن سيدنا إبراهيم استغفر لأبيه، كانوا يستغفرون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك، بحجة أن سيدنا إبراهيم استغفر لأبيه، فأنزل الله هذه الآيات وقال: لا تتابعوا إبراهيم عليه السلام في هذا، لأنه حالة استثنائية لأنه وعد أباه بذلك.

قال: {قَالَ سَلِمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} (مريم: 47)

ربنا قال: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} (التوبة: 114).

فلما مات أبوه على الكفر، توقف تمامًا عن الاستغفار له. لماذا؟ لأنه كان يرجو بالاستغفار أن يهدي أبوه للإسلام، فلما مات على الكفر، بطل الاستغفار له: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} (التوبة: 114).

يبقى أنتم كيف تستغفروا لأبائكم الذين ماتوا على الكفر؟ هذا لا ينفع.

إذن هذا استثناء في {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}.

وبعض العلماء يقولون: لا، هذا اسمه استثناء منفصل، لأن سيدنا إبراهيم بالفعل بطل استغفار لأبيه بعد أن مات على الكفر، وبالتالي هو ملتزم بالنهي الذي نهى الله به المؤمنين: ألا يستغفروا للمشركين الذين ماتوا على الكفر.

فالاستثناء هنا يُسمى استثناء منفصل.

يعني "إلا" هنا بمعنى "لكن"، أي أن الكلام الذي بعد "إلا" ليس مستثنى من الكلام الذي قبله، كأن الكلام بعد "إلا" هو حكاية أخرى غير الكلام الذي قبل "إلا". فهذا يسمى استثناء منفصل. وكأن الكلام إن ربنا يقول لكن دعوني أبين لكم أمراً سأقص عليكم موقفاً لإبراهيم عليه السلام، أنه استغفر لأبيه لأنه وعده بذلك، وبعد ذلك توقف عن ذلك لما مات أبوه على الكفر: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}.

وبعد ذلك {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}

بص هنا، مهم جداً هذا الجزء: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا}. لماذا عليك توكلنا؟

لأن هنا في الولاء والبراء، أنت تتبرأ من الكافرين، فهنا قد يدخل الشيطان ويقول لك: أنت محتاجهم، قد تصيبك دائرة، أنت ستعيش كيف من دون موالاتهم؟

فيقول لك: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}.

الدار الآخرة تفكر أنك ستتحاسب، فتستقيم وتلتزم، كما حدث للمسلمين عندما قال لهم ربنا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} (التوبة: 28)

أنت عارف يعني إيه المشركين لا يدخلون المسجد الحرام، فالتجارة والفلوس والاقتصاد قد يقع ولا نستطيع العيش، ولكن الله قال لهم:

{وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ إِنْ شَاءَ} (التوبة: 28)

ومن ساعتها، لم يدخل مكة كافر، ومن أغنى بلاد الدنيا إلى الآن، سبحانه الله.

ولذلك، يقول الله لك: توكلوا عليّ، أنا أقول لك: تبرأ من الكافر ولا تخف، لن تضيع ولن تحتاجه، لن أخذلك، {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا}.

فهذه المناسبة، **{وَالْيَا أَيُّهَا الْمَصِيرُ}**، نفس الفكرة لمن يلتزم حديثاً: قد يأتيه الشيطان ويقول: أنت ستلتزم، يعني لن تعمل، كل ما تذهب مكاناً يقول لك: لحيتك ومش لحيتك، لن تعرف كيف تتزوج، وأنت يا بنت المنتقبة، سيقولون: هتتزوجين كيف؟ هتاكلي عيش من أين؟ هتشتغلي أين؟ أصحابك لن يحبوك، سيطر كونك، وأنت ستتاذى، والأمن سيؤذيك. نفس الرد، نفس الفكرة بالضبط، فتقول لنفسك: **{رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا}**، وربنا لا يخذل أحد من توكل عليه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

فتوكلوا على الله يا جماعة، في الهداية، في الاستقامة، في البراءة، في الالتزام، لا تخافوا: **{رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَالْيَا أَيُّهَا الْمَصِيرُ}**.

ثم قال: **{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**. خذ بالك، هذه الآية خطيرة جداً ولها معنى رهيب: **{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}**، ماذا يعني هذا الكلام؟

يعني إيه: **{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}**. كلمة فتنة مصدر، خذ بالك، هناك خلاف في هذه الآية، والخلاف يعطي معاني رائعة جداً لأنه خلاف تنوع.

المصدر في اللغة أحياناً يأتي بمعنى الفاعل وأحياناً بمعنى المفعول. يعني فتنة هنا، إذا قلنا إن المصدر بمعنى الفاعل، فالمعنى: لا تجعلنا فاتنين للكفار. وإذا قلنا إن المصدر بمعنى المفعول، فالمعنى: لا تجعلنا مفتونين من الكفار.

إذن، معنى كلمة فتنة في **{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً}**: لا تجعلنا فاتنين أو لا تجعلنا مفتونين.

ولو مسكنا كل معنى هنطلع بمعاني جميلة اوي إذا اخدنا المعنى الأسهل، وهو: مفتونين، لأن هذا يأتي في ذهنك مباشرة: لا تجعلنا مفتونين للذين كفروا، أي: لا تجعلنا نفتن بهم.

كيف نفتن بالكفار؟

نفتن بهم عندما يتسلطون على بلاد المسلمين، فتجد نفسك ترغب في النفاق لتكون معهم، حتى لا تتضرر، حتى لا تتأذى منهم، فتصبح فتنة.

افتنت بتسلطهم على المسلمين. فتنة أنهم يكون لهم الدنيا، التقدم، الحضارة، التكنولوجيا عندهم. قد يفتن المسلم ويقول: هم إذا أخطأوا لماذا يعطيهم الله؟ كما نشاهد الشباب يفتنون بالغرب، يقولون: كيف تقولوا عنهم كفار وربنا غضبان عليهم؟ لابد أن يكون ربنا غضبان علينا احنا وراضٍ عنهم.

انظر، ماذا لديهم؟

النظافة، السيارات، التقدم، الحضارة، المال... إذا كانوا مخطئين لماذا يعطيهم الله؟ إذا هم على حق، فيفتن بالدنيا التي عند الكافرين.

أو قد يفتن المسلم بالكافرين عندما يعيش وسطهم، مثل من هاجر إلى أوروبا: ألمانيا، فرنسا، النمسا، النرويج، هولندا... افتتن هناك بعدة احتمالات: انتشار الكفر، الفجور، المعاصي... كان يظن أنه سيثبت، لكنه افتتن، فصار يشرب الخمر، ويصاحب، يزني، أو افتتن هناك بسبب الضغط عليه.

تم الضغط عليها، فخلعت النقاب، وضغط عليها ثانية فخلعت الحجاب، لكي تستطيع العيش وتنجو من الاضطهاد.

تم الضغط عليه، فلم يعد يصلي الجمعة، ولم يعد يصلي في المسجد أصلاً، لأنه في العمل لا يتركوه يذهب للصلاة.

فصار مفتوناً بالكافرين.

أيضاً حدثت فتنة لأولاده، أن أولادهم يذهبون للمدارس الغربية، يتعلمون الشذوذ، قلة الأدب، الحرية الجنسية، الكفر نفسه، فصاروا لا يعرفون كيف يربوا أولادهم.

افتتنوا بالكافرين، لأنه لم يستطع حتى أن يقول لابنه: هذا خطأ، وإذا حدث وقال لابنه ذلك والمدرسة عرفت، المدرسة قد تستدعي البوليس وتأخذ ابنه وتضعه في أسرة نصرانية تربيته... هذا يحدث فعلاً، مآسي حقيقية.

يفتن المسلم بقوة الكافرين، تسلطهم على المسلمين، مناهجهم التي يبثونها على قنواتهم وعلى الإعلام، فتنة بأن الكافر يتمكن منك فعلاً، وفي سجنه مثلاً يعذبك لترتد أو يؤذيك في أولادك أو في رزقك، لترضى بطريقة الكفار أو تخرج من دينك أو تنتكس على الأقل.

كل هذه أنواع تحت معنى **{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً}** بمعنى المفعول: أي مفتونين من الذين كفروا. فتقول: يا رب، لا يحصل هذا أبداً، ولا تفتن بالذي عند الكفار، ولا بكل الصور التي ذكرناها. ادعوا بهذا الدعاء، خاصة الناس الذين يعيشون في أوروبا، ادعوا كثيراً بالدعاء هذا لكم ولأولادكم.

المعنى الثاني، وهو خطير، **{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً}** بمعنى الفاعل: أي لا تجعلنا فاتنين.

المعنى هنا: احنا نفتنهم، كيف نفتنهم؟

قالوا أولاً: أن هم يتسلطوا علينا، نفس الفكرة، لكن بصورة عكسية، يتسلطون علينا، فيصبحون الأعلى في الدنيا، ونحن المقهورون، فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل.

ولو كنا على الحق، لنصرنا الله عليهم، وكون الله لم ينصرنا عليهم بسرعة، فهذا يعني أن ديننا غلط ودينهم هو الصحيح، فيثبتون على دينهم، فتكون هزيمتنا فتنة لهم، أو يكون الذل الذي حصل للمسلمين بسبب المعاصي.

فطالما تسلط عليك الكافر، هذا ليس بسبب ديننا، بل بسبب أفعالنا. لا يمكن أن يصيب المسلمين ذل وهم بينصروا الله، فالقاعدة: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}** (محمد: 7).

إذا حصل تسلط علينا، فهذا بسبب المعصية:

{وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} (الشورى: 30) وجعل الذل والصغار على من خالف أمري

وفي الحديث: إذا تبايعتم بالعينة (الربا) ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم.

وقال سيدنا عمر: "كنا أذل قوم حتى أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غير دين الله أذلنا الله".

إذن، ما حصل من تسلط الكافرين كان بسبب المسلمين، لكن بغض النظر عن السبب، فالكافر عندما يتسلط علينا، هذا يصبح فتنة له، فيقول: أنا على حق، ونحن سببنا ذلك، أي نحن الذين فتناهم، يعني مش كفاية معصيتنا سببت تسلطهم علينا ولكن أيضاً بسبب معصيتنا هما افتتنوا وظنوا أنهم على حق.

الاحتمال الثاني في فاتنين: أن هم يتصدوا عن سبيل الله بسبب أخلاقنا، بسبب معاملتنا السيئة بعض المسلمين يسافرون إلى أوروبا، فيراهم الأوروبيون يعيشون بينهم، ويقومون بأفعال سيئة: يشربون الخمر، يسرقون، يغشون، لا يلتزمون بمواعيدهم، يتسولون. فيقول الأوروبيون: هؤلاء هم المسلمون، هذا هو الإسلام، نحن لا نريد الإسلام.

أو قد يأتون إلى بلاد المسلمين، ويرون أخلاقنا ومعاملتنا، وضعف العلم، ضعف التقدم، فيقولون: هؤلاء هم المسلمون، نحن لا نريد الإسلام.

أو قد يشاهدون المتطرفين فينا، فيصدون عن سبيل الله. مثال: داعش، تكفير المسلمين، تفجير المسلمين، العمليات الإرهابية، فيقولون: هؤلاء هم المسلمون الإرهابيون، ونحن لا نريد الإسلام. أو الشيعة عندما يرونهم يجلدون أنفسهم، يضربون أولادهم بسكاكين في يوم مقتل الحسين، يقولون: هذا هو الإسلام، نحن لا نريد الإسلام.

إذن، أصبحنا فتنة لهم بسبب البدع، بسبب الانحرافات المنهجية.

أنت تظن أن الغرب لا يريد داعش، بالعكس هو يريد لها لأنه هو من يصدر هذه الصورة الي الغرب حيث يقول لهم هذا هو الإسلام، فبقاء الشيعة بالنسبة لهم مصلحة وهو من ينشر فيديوهاتهم ويتمنى أن كل الناس ترى أفعال الشيعة ليقول هذا هو الإسلام يبقى احنا صيرنا فتنة للذين كفروا لأن ما يصلهم هما أهل البدعة، المنحرفين فكرياً حتى أهل السنة الذين أخلاقهم سيئة ومعاملتهم سيئة، صدر عنهم صورة سيئة للإسلام، فصرنا {فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}.

بل الواحد يكاد يقول في دعائه ربنا لا تجعلنا فتنة للذين آمنوا وأحياناً نرى واحداً ملتزماً ظاهرياً، يرّبي لحيته، ترتدي النقاب، لكن أخلاقه سيئة، معاملته سيئة، يخدع في البيع والشراء، يحلف كذباً، فيظن الناس: هذا هو الدين، هؤلاء هما الشيوخ، والله ما هلتزم، هو ده النقاب، هذه أخلاق المنتقبة، مش عايزة التزم، لذلك ربنا قال:

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

(النحل: 94)

أي أن أخلاقك السيئة تصد الناس عن الالتزام، تقول لهم: إذا هذا الالتزام، أنا لا أريد أن ألتزم. لو هؤلاء الملتحون، أنا لا أريد أن ألتحي، إذا هذا هو اللباس الشرعي، أنا لا أريد أن ألبس اللباس الشرعي، إذا كانت هذه أخلاق من يلبسون اللباس الشرعي، خذ بالك: أخلاقك دعوة، معاملتك دعوة، فكرك دعوة.

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}.

لذلك قال بعد ذلك: {وَأَغْفِرْ لَنَا}.

ماذا يعني {وَأَغْفِرْ لَنَا}؟

يقول لك: واغفر، جاية من المغفر، والمغفر يعمل شيئان: يسترك ويحميك.

فلما أقول: يا رب، اغفر لي، يعني: استرني واحمني، استرني فلا تفضحني، واحمني فلا تعاقبني، استرني فلا أكون فتنة، لا للمؤمنين ولا للكافرين.

واحمني من عقوبة الذنب، فلا تعاقبني عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لذلك، إذا غفر لك الله، فلن يعاقبك على ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة.

{وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

قد يستغرب البعض: **{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**، أليس كان يجب أن يقول: الغفور الرحيم؟ لا، الأنسب أن يُقال **{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**، لأن السياق كله على موالة الكافرين، ما الذي يجعلني أوالي ربنا وبكل ثقة وأنا عارف اني انا الكسبان في النهاية، اني أعرف ربنا باسم العزيز واعرف ان كل أوامره وتوجيه لي، وما طلبه مني كله ناتج عن حكمة، فكان الأنسب في المقام هذا لتعزيز قلوب المؤمنين على الكافرين، لكي يتبرأوا منهم ولا يوالوهم، إن يقال العزيز الحكيم. بعد ذلك، تقول الآية: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} لمن؟ {لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}**. وفي النهاية: **{وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**. هل تظن أن كل هذه الطلبات يحتاجها الله؟

الله غني عن عبادته، والله يقول:

{يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} (فاطر: 16-15)

اعرف أن ربنا مستغن عن عبادتك، أنت تنفع نفسك، تجاهد لنفسك، تزكي نفسك. **{الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}** لماذا **{الْحَمِيدُ}**؟

لأن الغني غالبًا يخلي الشخص يطغى، ويجعل أفعاله غير محمودة. أما الله غني، وفي نفس الوقت أفعاله كلها تحمد، ليس كغنى البشر، بل غنى مع أفعال محمودة، وهذا كمال فوق الكمال، فهو **{الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}** سبحانه وتعالى.

بعد ذلك، ربنا يعطي بارقة أمل في النهاية: **{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً}** أي: لعل الله يقذف في قلوب بعضهم الإسلام والإيمان فيسلموا بعد ذلك، فتتقلب العداوة إلى محبة. وهذا حصل بالفعل: أغلب الكفار في مكة أسلموا، سواء تباعًا بعد صلح الحديبية أو بعد فتح مكة، فتحولت العداوة إلى مودة.

لذلك يقول: لا تفقد الأمل، لا تغلق جميع الأبواب على من تكره، لا تدري، لعل الأمور تتغير، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

لذلك قال بعد ذلك: **{وَاللَّهُ قَدِيرٌ}**، مناسب جدًا هذا الاسم، فالله قدير أن يقلب القلوب، قدير أن يغير مجرى الأمور، قدير أن يبدل الحال بعد الكفر إلى الإيمان، قدير يهدي أبعد واحد تتخيله، مثل: أبو سفيان، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عكرمة بن أبي جهل، جميعهم أسلموا.

وهنا صار مناسبًا بعد التحدث عن الهداية والتحول للإسلام أن يذكر الاسم: **{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**، ليشجع الكافر على أن يسلم، فالإسلام يجب ما قبله فيغفر له جميع الذنوب السابقة إذا أسلم.

الحمد لله، فنسأل الله: **{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** ونسأل الله أن يبدل أحوالنا إلى ما يحب ويرضى، ويتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

الحمد لله، انتهى تقريبًا الجزء الذي أردناه.

جزاكم الله خيرًا.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مَدْرَسَةٌ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الثامنة

حرية المرأة الحقيقية

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الثامن من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدرسة "قد سمع".

بفضل الله سبحانه وتعالى انتهينا من **سورة المجادلة**، وكذلك انتهينا من **سورة الحشر**، ونحن الآن في **سورة الممتحنة**.

سورة الممتحنة من السور التي يستصعبها الناس جداً في الحفظ فضلاً عن الفهم. بفضل الله، المرة الأولى سهلنا جداً — يمكن أول صفحة ونصف من السورة — وفهمنا حاجات كثيرة، معانٍ كثيرة متعلقة بالولاء والبراء، متعلقة بقصة سيدنا إبراهيم، متعلقة بالديانة الإبراهيمية.

هذه المرة إن شاء الله سنكمل الجزء الثاني من السورة، والحقيقة أن هذا الجزء يُعتبر أصعب في الفهم والحفظ، على اعتبار أن فيه أحكاماً جديدة جداً سنتعرف عليها، وفيه آيات مُشكلة جداً، يعني ليس أي أحد يفهمها بسهولة.

بس أوعدوني إنكم تركزوا معاً في الساعة دي، ونستعين بالله سبحانه وتعالى ونطلب منه التوفيق والتيسير، أن يساعدنا أن نصل إلى المعاني الضخمة جداً التي في السورة الجميلة دي ونبسطها، وإن شاء الله سبحانه وتعالى يكون لقاء ممتع، ونحاول — إن شاء الله — النهاردة أن نكمل السورة، ونسأل الله التيسير والتوفيق.

كالعادة، نبدأ بقراءة السورة أو الجزء الذي سنأخذه، وهو النص الثاني من السورة إن شاء الله النهاردة، ونستعين بالله، وننوي أن نحفظ — إن شاء الله — الجزء الذي سنأخذه معاً. هيا بنا.

النهاردة سنأخذ من الآية (8) إلى آخر السورة، وهي الآية (13):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِّنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجَرَتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَانُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ ءُمُومُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ }

هذه الآيات الكريمة المباركة من سورة الممتحنة، أو التي خُتِمَتْ بها هذه السورة الطيبة المباركة. الحقيقة كان آخر مشهد وقفنا عنده قول الله تعالى:

{ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.

سبحان الله... يعني الآية دي فتحت لنا باب الأمل، كأنها بتقول لك: مفيش حد مافيهوش أمل! يا أخي، يمكن البعيد ده يرجع! قد إيه الآية اللي فاتت علقت قلبنا بالله سبحانه وتعالى—سواء الهداية ليا أو لغيري.

بمعنى: قوله تعالى {وَاللَّهُ قَدِيرٌ}... قدير يغير القلوب، قدير يهدي من يشاء.

أنا بتعلق باسم الله القدير في هداية نفسي،

بتعلق باسم الله القدير في هداية ابني،

في هداية بنتي،

في هداية زوجك،

في هداية زوجتك،

في هداية المدعو اللي أنا بدعوه.

أقول: مهما بَعُد، مهما كان وحش، مهما تغيّر... سبحان الله!

سبحان الله!

كان حد يصدق إن أبا سفيان يدخل الإسلام؟

ولا صفوان بن أمية؟

ولا عكرمة بن أبي جهل؟

ولا خالد بن الوليد؟

ولا عمرو بن العاص؟

الذي غيّر هؤلاء، يغيّر أي حد.

أنا مش هكون أسوأ منهم لما كانوا في الجاهلية؛ فالذي غيّرهم يغيّرني، والذي غيّرهم يغيّر الشخص

اللي بدعوه، أو البنت اللي أنت بتدعوها، أو ابني أو بنتي. {وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

فكانت نهاية المرة اللي فاتت بارقة أمل، ورسالة أمل من الله تحت اسم: {وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ}.

بعد كده جاءت الآيات معنا، ربنا بيقول:

{ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ }

الآية دي بتتكلم عن الكفار غير المحاربين لنا.

الذين لا يحاربون، كما قال تعالى: { وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ }.

كافر:

كالكافر الذمي،

أو الكافر المستأمن،

أو الكافر المُعَاهَد...

تمام، خلاص: ما في عدااء، ما في شيء من الاعتداء منهم أو إظهار العداوة. هنا ربنا بيقول: { لَا يَنْهَكُمُ } عن هؤلاء أن أنتم تبرّوهم وتُقسطوا إليهم. وهنا ربنا بيقول: أنا مش بنهاكم عن إيه؟ عن البر والقسط.

ما هو البرّ؟

البرّ هو فعل الخير، بذل المعروف.

وما هو القسط؟

القسط هو العدل...

العدل في المعاملة عمومًا، سواء في البيع، أو الشراء، أو القضاء، أو التحاكم... العدل عمومًا. أول حاجة عايزين نفهمها من الآية دي:

إن ربنا مش بينهانا عن إيه؟

احنا قلنا: ربنا بيقول أنا مش بنهاكم أنكم تحسنوا إليهم وتعدلوا معهم.

فالآية مش بتقول إن ربنا غير ناهٍ عن موالاة الكفار.

هو أصلًا لا يجوز موالاة الكافر على أي حال من الأحوال، سواء كان الكافر اللي قاتلنا أو اللي ما قاتلناش.

كده كده لا تجوز الموالاة بالصور اللي اتكلمنا عنها المرة اللي فاتت.

لأن ربنا سبحانه وتعالى بيّن إنه ينهى عن الموالاة عمومًا:

﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾

﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾

فالنهي عن موالاة الكافر نهى عام يشمل جميع الكفار.

إيه هي الموالاة؟ (كما ذكرنا المرة السابقة):

الموالاة تعني المحبة.

وتعني النصر على المسلمين، خصوصًا في حرب دينية.

وتعني أن تتشبه به، تتخذه مقربًا أو صديقًا حميمًا.

وتعني طاعته في معصية الله، فضلًا عن طاعته في الكفر.

قال تعالى: { وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا } (الإنسان: 24).

هذه معاني الولاية أما في معاني ليست من الولاية أصلًا، مثل:

الإحسان للكافر.

إطعامه.

سقيه.

الصدقة عليه لو كان فقيرًا.

قبول الهدية منه.

إهداؤه.

زيارة المريض الكافر.

البيع والشراء معه...

ده كله جائز ولا علاقة له بالموالاة.
وكذلك:

أن يتزوج المسلم امرأة من أهل الكتاب، بشرط أن تكون حرّة عفيفة... هذا جائز، وليس من الموالاة.
هنا ربنا يقول لنا بقى:
الذي يعاملنا معاملة حسنة ولا يظهر لنا عدااء... ربنا مش بينهاك أنك تعمل معه الصور الجائزة غير
الداخله في الموالاة.
زي أنه يجي لك ضيفاً، أو تقبل منه هدية، أو يقبل هو منك هدية.

سبب نزول الآية:

الآية نزلت في حادثة حصلت سببت نزولها، وهي:

أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها...

أسماء بنت أبي بكر أمها اسمها قتيلة بنت عبد العزى.

سيدنا أبو بكر كان متزوجاً أكثر من واحدة، لذلك:

السيدة أسماء أخت السيدة عائشة من ناحية الأب فقط.

وأما عبد الله بن أبي بكر فهو أخو أسماء من ناحية الأب والأم.

أم أسماء وأم عبد الله اسمها: قتيلة بنت عبد العزى.

والمرأة دي سيدنا أبو بكر طلقها قبل الإسلام.

يعني: تزوجها وأنجب منها أسماء وعبد الله، ثم طلقها قبل الإسلام أصلاً.

بعد الإسلام هي ما أسلمت.

ونحن الآن في العصر المدني، في العهد المدني... وكل ده ولسه ما أسلمت.

فاللي حصل أنها جاءت المدينة، وعازية تزور أسماء، وجاية لها هدايا... شوية حاجات كده.

فالسيدة أسماء — من شدة حرصها على الولاء — رغم أن دي أمها... ذهبت للنبي ﷺ تريد أن تعرف:

هل اللي هيحصل صح ولا غلط؟

هي جاية لي هدية وجاية تزورني...

قالت:

يا رسول الله، إن أمي قد قدمت راغبة.

يعني: راغبة في زيارتي، راغبة في الهدايا أو أن أعطيها شيئاً...

مش معناها راغبة في الإسلام، لأن هي ما أسلمت ولا في الزيارة دي أسلمت.

ولو كانت أسلمت كان الموضوع اتحسم.

لكن هي بتقول: راغبة في زيارتي والتبادل بيننا.

أفصلها؟

أصلها؟ أحسن إليها؟ أقبل الهدية؟

فنزلت الآية:

{ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ }

فالنبي ﷺ قال:

«اقبلي منها الهدية، وصلّيها، وأحسني إليها».

يبقى ده سبب أصلاً لنزول الآية، فالآية دي بتقول لنا إن من البر أو بذل الخير مع الكافر؛ سواء بالهدية، أو بإطعامه، أو بقبول هديته، أو بالبيع والشراء، أو بالعدل معه، تمام. زي ما ربنا قال:

{وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (الإنسان:8)،

والأسير لا يكون إلا كافرًا، فالآية بتبين إن الصور دي مش منهية عنها، خاصة مع الذين لم يقاتلونا في الدين.

بنقول الكلام ده في الآية دي علشان في ناس بتخلط بين المعاني.

خليني أقول لكم جزء مهم بيثار دائماً في العلاقة مع الكافرين، وهي مسألة خطيرة: هل تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية تدخل في الموالاة المحرمة، ولا تدخل في البر والقسط؟ هي مسألة خطيرة، وكل ما يجي عيد للكفار يحصل خلاف وجدال كبير. في ناس يقول لك: "لا، ده كده..."، وناس يقول لك: "ده..."، وربنا قال:

{لَا يَنْهَنُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}.

فالسؤال الآن — علشان تبقى المسألة واضحة —: هل تهنئة الكافر بعيده الديني تدخل في الموالاة المحرمة؟ ولا تدخل في الصور اللي مش من الموالاة المحرمة اللي إحنا ذكرناها؟

الصحيح — والله تعالى أعلم — زي ما ابن القيم رحمه الله عليه ذكر في كتاب له، كتاب جميل اسمه "أحكام أهل الذمة". ذكر اتفاق العلماء على عدم جواز تهنئة الكافر بعيده الديني؛ اللي هو بيحتفل بيه بحاجة دينية أنا أصلاً أراها كفرًا. وهذه في اعتقادي أنها كفر؛ زي احتفاله بميلاد الرب، أو بقيامه الرب من الموت، أو باحتفالات لها علاقة بدينه اللي هو قائم أصلاً على الكفر بالنسبة لي. فإزاي المسلم يهنئه على كفر؟

تقول لي: "ما هو ده عيده!"

أيوه، بس أنت المفروض ده شيء أنت تكرهه، شيء أنت شايفه كفر. هل ينفع لو هو مثلاً زنى، وعمل اليوم ده عيد، هل ينفع أهنيه باعتبار إن هو شايفه عيد؟ أكيد هتقول: "إزاي يعني؟ ده زنى! أهنيه على زنى؟!"

لو هو سبّ أباك في يوم من الأيام، وجعل هذا اليوم عيدًا، وكل سنة يحتفل بسبّ أبيك في هذا اليوم، هل ممكن تقول إن من البر إن طالما هو عمله عيد أهنيه بيه؟ ده بالنسبة لي عيد لطيف؟ تقول لي: "إزاي يعني؟ ده شتم أبويا!" نفس الفكرة بالضبط.

الآن: هذا العيد يُكفر فيه بالله تعالى، تمام. وربنا قال:

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} (الفرقان: 72)،

وقال الصحابة: "لا يشهدون أعياد الكافرين". وبالتالي، ده عيد يُسب فيه الله سبحانه وتعالى، ويُنسب فيه إليه الولد.

إذا كنت أنت لا ترضى تهنئة واحد بيحتفل بيوم سبّ فيه أباك، فمن باب أولى لا تهنئه بعيده الذي يُسب فيه الله سبحانه وتعالى!

طيب، يوم العيد بتاع الكافر: أنا بعمل إيه؟
ما بعملش أي حاجة؛ يوم عادي، بيمرّ عادي. لا أؤذيه، ولا أهنيّه. يوم عيد وخلص، أنا ماليش دعوة بيه. فلا أقول له: "كل سنة وأنت طيب"، ولا "عيد سعيد"، ولا "عيد مبارك".

ابن القيم قال: ده من أشدّ المحرمات عند الله تعالى، بل اعتبره أشد من فعل الكبائر. تمام. فالإنسان ينبغي أن يحترس في ذلك.

مالوش علاقة خالص إني تاني يوم أو في نفس اليوم أعامله كويس، وأعدل معه، وأبرّه، وأحسن إليه... دي مسألة، ودي مسألة ثانية خالص.

عشان كده هنقول مثلاً مسألة ثانية:

افترض إن هو عنده مناسبة ثانية غير العيد الديني — مناسبة دنيوية — ربنا رزقه بولد، اتزوج، اترقى في الشغل، جاب عربية... ينفع أهنيّه؟

طبعاً ينفع. ليه؟ دي حاجة مشروعة في جميع الشرائع، ومش غلط. الزواج، الإنجاب، الترقية، أو مصلحة دنيوية... إيه المانع إني أهنيّه؟

عشان كده إحنا "وسط" في المسألة دي.

كل المسائل المتعلقة بالدنيا — المسائل المتعلقة بحاجات دنيوية — بالنسبة له عادي إنك تهنيّه، وده فعلاً داخل في البر والقسط والإحسان والعدل.

أما ما يتعلق بالأعياد الدينية؛ فده يرجعنا لمسألة دينية بحتة. طالما مسألة دينية؛ يبقى أنا أتبرأ:

{وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ}.

فإزاي أقول له: "أنا أصلاً أبغضك بسبب الكفر اللي أنت فيه والباطل اللي أنت عليه" وفي نفس الوقت أروح له في عيده وأقول: "كل سنة وأنت طيب"؟! بل ده يُعتبر من الصدّ عن سبيل الله.

يعني إزاي بعد ما أهنيّه على عيده، أجي تاني يوم أقول له: "دينك باطل وتعال ادخل الإسلام"؟ هيقول لك: "ما أنت لسه مهنيني على عيدي!"

فالتهنئة بتثبت العيد وتؤيده، وبتطمنه إنه على حق.

هيقول لك: "إذا كان المسلمون بيهنئوني على عيدي، يبقى إزاي تقول لي بعد كده إن أنا غلط؟!"

يبقى ده من مصلحتهم إن إحنا ما نهنيهمش على عيدهم، علشان يُستثار في ذهنهم سؤال: هو ليه لا يهنئني على عيدي؟ آه، عشان شايف إن ده حرام وكفر. طب ليه شايف كده؟ فيتساءل، يخلي مخّه يشتغل، يمكن ربنا يهديه في يوم من الأيام. فدي مسألة مهمة كان لازم نوضحها: إن البر والقسط مش بيدخل فيه التهنئة بالأعياد الدينية، لكن يدخل فيه التهنئة بالمناسبات الدنيوية كما ذكرنا.

قال سبحانه وتعالى: **{وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.**

يا سلام على جمال النهاية دي! **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.** قال لك ليه بقي؟ لأن القسط — عادةً — العدل، بيزعل الناس. أنا هاعمل عدل دلوقتي؛ ممكن العدل ده يخليني آجي على مسلم كمان لو الكافر هو اللي معه الحق، أو لو اتنين مسلمين قدامي هاجي على واحد، حتى لو قريبي، طالما قلنا هنعلم بالعدل.

وبالتالي الموضوع ممكن يزعل ناس مني، فممكن بعض الناس يظلم علشان الناس ما تزعلش منه. فالآية دي بتقول لك: لا، العدل هو المقدم، ول لازم تعرف إن اللي هيعوضك عن اللي هيحصل ده إنك تعرف إن اللي عملته ده يخلي ربنا يحبك. فلو حتى أحد زعل منك، يكفيك أن الله يحبك. والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

"المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ عِزٌّ وَجَلٌّ"،
{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.

إذا كان القسط — يا جماعة — مع الكافر بهذه الصورة، وربنا يحب اللي بيمارس العدل مع الكافر، فأولاً هذا يدل على عِظَم الإسلام وسماحته. وهنشوفه في السورة دي نفسها النهاردة: صورة خطيرة من عدل الإسلام لما هنتكلم على إسلام المهاجرات. كان عايز أوصل لمعنى جميل:

إذا كان ده الكلام مع الكافر، كيف العدل مع المبتدع؟ وكيف العدل مع العاصي؟ بعض الناس بيجور قوي لما يتكلم على أهل البدع. بنكر عليهم، ننصحهم... والكلام ده، بس الإنصاف يا إخواني... يعني ممكن يكون أحد مبتدع، بس قال كلمة حق. إيه المانع إني أقول إنه قال حق؟ واحد بيخالفك في المنهج، بيخالفك في مسألة عقدية، فهو مبتدع — أنت شايف إنه مبتدع — بس مرة أصاب.

لا! بيقول لك: "لا، ما أقولش إنه أصاب".
ليه؟

ده النبي عليه الصلاة والسلام قال: "صدقك وهو كذوب" للشيطان في حديث أبي هريرة الشهير. تخيل بقي.. تعالى نطلع لمستوى أعلى... كيف بالعدل مع العلماء والدعاة اللي هم منك؟ للأسف ممكن إحنا نكون كلنا من أهل السنة مثلاً، بس مختلفين في السياسة، أو بعض الاجتهادات، أو بعض الآراء المعاصرة في فتاوى في النوازل. يحصل عدااء... ويحصل بقي إيه؟ يحصل فجور في الخصومة!

وما تلاقيش بقي عدل خالص!

مهما خصمك في الرأي السياسي، أو في النازلة... لو قال حق، عمرك ما تُثني عليه. وأول ما يزل زلة صغيرة... تضرب عليها الطبول!

يا إخواني، لا بد من القسط مع اللي بيخالفك، مش بس مع اللي بيوافقك. اللي بيوافقك أكيد هتمارس القسط معه، لكن الاعتبار باللي يخالفك. والآية دي بتتكلم عن اللي بيخالفك بالفعل، ومش على دينك أصلاً!

فكيف بمن هو على دينك؟، لكنه مبتدع أو عاصٍ، فضلاً عن إنه لا مبتدع ولا عاصٍ، لكن اختلفتم في مسألة اجتهادية يسع فيها الاختلاف

لا بد أن إحنا نتراحم، ويكون بيننا عدل: بين الدعاة، بين العلماء، بين طلبة العلم...

هذا خُلِقَ نادر والله.
عشان كده فعلاً المقسطين يوم القيامة على منابر من نور، وعلى يمين الرحمن. لأنهم مش كثير،
صدقني... مش كثير.
شوف كده أي نقاش على الفيسبوك، أو أي خلاف... بيتقلب إزاي؟
سبّ، وشتّم، وطعن في الأعراض، وفتح ملفات!
ساعتها تعرف إن المقسطين فئة نادرة.
بعد كده قال:

{إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ}...

دي سهلة بقي. خلاص، كأننا قلناها:

{إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ}،

هنا قال: {أَن تَوَلَّوْهُمْ} يعني لا تولوهم أبداً،

{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

وبعد كده تنتقل معنا السورة نقلة ثانية خالص.

لو هتعتبر إن النصف الثاني من السورة هو اللي نزل بعد صلح الحديبية، لأنه أصلاً مرتبط بصلح
الحديبية.

الكلام على:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}،

وده يعتبر الجزء الأصعب في السورة. وغالباً — وأنا متأكد — إن أغلبكم بيقرأ الجزء ده وما بي فهمش
منه أي حاجة خالص.

فهنفهمه، وبعد ما تفهموه ادعوا لي بالخير علشان أنتم فاهمين حاجة مش سهلة خالص إنها تتفهم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}...

بس أنا عايز — برضه — خُذ بالك وإحنا ماشيين كده: هنمسيك الخيط بتاع تكريم المرأة في جزء قد
سمع. يعني عايزين نعمل بحث في الموضوع ده، وامشوا معي لغاية آخر الجزء، وحد يجمع لي: كم
مرة أكرمت المرأة في جزء قد سمع؟

آية كاملة نازلة علشان المهاجرات.

السورة أصلاً نزلت علشان امرأة،

الي هي: أم كلثوم بنت مينا؟

عُقبه بن أبي مُعيط، أشقى القوم، لأن دي أول واحدة هاجرت بعد صلح الحديبية.

خلينا الأول: إيه هو صلح الحديبية يا جماعة؟

علشان الناس التي لم تتابع معنا السيرة، أو مش حافظين السيرة والكلام ده.

علشان كده بنقول: دراسة السيرة مهمة جداً.

روح اسمع سلسلة السيرة الي أنا شرحتها.

دراسة السيرة بتفهمك القرآن؛ اللي مش عارف سيرة مش هيفهم جزء كبير جداً من القرآن يا
جماعة.

من الحاجات المترتبة على فهمك للسيرة: فهمك الآية دي.

إيه اللي حصل بالضبط؟

الي حصل إن سنة ستة من الهجرة، النبي عليه الصلاة والسلام كان عايز يأخذ الصحابة ويروحوا يعملوا عمرة، والعُرف السائد في جزيرة العرب إن ما فيش أحد يمنع من العمرة. حتى لو عدوك... هتدخله يعمل عمرة ويطلع، ونتفاهم بعدين. فهو رايح على اعتبار إن قريش مش هتمنعني أكيد من العمرة؛ يعني دي عمرة، أنا مش جاي في قتال، وده البيت حق أي أحد إنه يعمل عمرة. لكن قريش بقي... العند والكبر وحمية الجاهلية... راحوا منعوه فعلاً من العمرة. ووقف النبي عليه الصلاة والسلام في مكان اسمه **الحديبية**. **الحديبية** دي على أطراف الحرم؛ يعني خلاص شوية وهيدخل جوه حرم مكة. **فالحديبية على أطراف الحرم**. وقف هناك... مُنع: "مش هتدخل".

حصل إن النبي عليه الصلاة والسلام لا يريد أن يقاتل قريش بدأت تبعث ناس تفاوض النبي عليه الصلاة والسلام: إيه اللي هيحصل؟ لغاية ما في الآخر جاء سهيل بن عمرو — مفاوض جيد من المشركين، وأسلم بعد كده رضي الله عنه — وتفاوض مع النبي عليه الصلاة والسلام على شروط، والنبي وافق عليها. **الشروط كانت إيه؟**

كان منها: إنكم مش هتعملوا عمرة السنة دي. خلاص، "إحنا أخذتنا العزة والحمية، مش هينفع ندخلكم السنة دي. بس تعالوا السنة الجاية، بمزاجنا وبإذننا، وهندخلكم". وافق النبي عليه الصلاة والسلام إنهم يرجعوا السنة دي، يَحِلُّوا من العمرة، ويرجعوا، ويجوا السنة الجاية، ويعملوا عمرة، ومش هنأذيكُم. **الشرط الثاني — وده المكسب الكبير — إن الحرب تتوقف عشر سنوات بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين أهل مكة.**

وده المكسب الكبير الذي من أجله وافق النبي على كل الشروط الثانية. **من الشروط بقي اللي هو اللي إحنا عايزين نتكلم فيه:** إن لو أحد من قريش — أو اللي معها في الصلح — أسلم وهاجر للمدينة من غير إذن وليّه، تُرجعوه لنا تاني.

لو واحد أسلم من قريش وراح المدينة من غير إذن وليّه... ترجعوه لنا تاني. **العكس:**

لو أحد ارتد من المدينة وراح مكة... مش هنرجعه لك تاني. لو أحد ارتد من أهل المدينة ورجع لمكة... مش هنرجعه لك. وده كان شرط مُجحف جداً، وظالم جداً. لكن النبي عليه الصلاة والسلام وافق عليه؛ علشان المصلحة الكبيرة اللي كانت هتترتب على الهدنة عشر سنوات.

قدر في العشر سنوات دي إنه:

– يدعو الملوك والأمراء،

– يفتح خيبر،

– يعمل حاجات كتير قوي بسبب الهدنة دي.

بل الهدنة دي — اللي درس معنا السيرة عارف — إنها أصلاً السبب بعد كده في فتح مكة وإسلام أهلها.

فهي ترتب عليها خير كتير قوي.

فدي مفسدة محدودة مقابل مصلحة ضخمة جدًّا.

المهم... إن فعلاً النبي وافق عليه الصلاة والسلام.

المفاجأة بقي اللي حصلت:

إن أم كلثوم هاجرت للمدينة.

لما هاجرت للمدينة، أخوها — ليها أخ اسمه عمارة — طلع وراها.

طبعاً أبوها مات في غزوة بدر (عقبة بن أبي معيط) من الناس اللي قتلوا في بدر فكدا كدا عقبة غير موجود أصلاً

اللي موجود أخوها عمارة، وأخوها الثاني الوليد.

أول ما عرفوا إن أم كلثوم هاجرت إلى المدينة، طلعا وراها على المدينة، وراحوا للنبي عليه الصلاة والسلام، وقالوا له:

"رجّع لنا أم كلثوم... على الاتفاق اللي اتفقناه. طالما هي أسلمت وراحت المدينة... ترجعها لنا تاني." وطلبوا إنه يرجّع لهم أم كلثوم.

بُص بقي... القرآن يتفاعل مع امرأة، وتنزل آيات علشان امرأة، وتنزل آيات علشان النساء المهاجرات... كرامة!

إيه اللي حصل بقي؟

اللي حصل إن ربنا أنزل الآية دي، وبَيِّن فيها إن الحكم ده لا يشمل النساء أصلاً.

إنما الحكم ده متعلق بالرجال فقط.

وده يرجّعنا لصيغة صلح الحديبية.

ركز معي في النقطة دي:

إيه اللي اتكتب في صلح الحديبية؟

أصل في المسألة قولان:

القول الأول: إن أصلاً الذي كُتب في صلح الحديبية أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما كُتب هذا الشرط، ولما كتبت قريش الشرط، كتبوا فيه: "على ألا يأتيك منّا رجلٌ إلّا رددته إلينا"؛ وإنهم أصلاً

كتبوا في الصيغة "رجل"، فالنبي عليه الصلاة والسلام رجع للصلح وقال لهم: نحن أصلاً كاتبين

"رجل" ولم نكتب "امرأة"، فرفض أن يردّ أم كلثوم؛ باعتبار أننا أصلاً كاتبين في الصلح: "على ألا

يأتيك منّا رجلٌ إلّا رددته إلينا".

وبعض الروايات تقول: لا، الذي كُتِبَ في الصلح هو: "على ألا يأتيك منّا أحدٌ إلّا رددته إلينا". فلو افترضنا أن المكتوب هو "أحد"، فربنا سبحانه وتعالى بيّن أن حكمه سبحانه وتعالى في صلح الحديبية أن كلمة "أحد" معناها الرجل، وأن النساء خارجة عن الاتفاق. ولهذا يقولون: إن القرآن خصّص السنّة. وهذا من المواضع التي يتكلم فيها علماء الأصول؛ لأن القرآن يمكن أن يخصّص السنة، أي يبيّن أن الحكم العام لا يدخل فيه بعض أفراده. فنزلت الآية لتقول إن الحكم الذي كُتِبَ في المعاهدة: "ألا يأتيك منّا أحد"، القرآن خصّصه بالرجال، وأخرج النساء منه، وهذا حكم الله، كما قال ربنا: **{ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}**.

الآن أصبح هناك خلاف بين المشركين وبين النبي عليه الصلاة والسلام في فهم النص لو كان مكتوباً "أحد"، فحكم الرب سبحانه وتعالى — ملك هؤلاء جميعاً — أن هذه الكلمة تختص بالرجال دون النساء.

فأله أمر النبي عليه الصلاة والسلام ألا يردّ النساء أبداً إلى المشركين، وأن المعاهدة مستمرة في حق الرجال فقط لا غير. فنزلت الآيات، ولكن ربنا جعل شرطاً: أن نتأكد أن المرأة القادمة مؤمنة أصلاً؛ لأنها قد تكون جاءت بسبب مشكلة مع زوجها، أو هرباً، أو طمعاً في مال، أو لأي سبب غير الإسلام. فقال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}.

ومعنى "امتحنوهن" هنا: أن تُسأل عن رغبتها في الإسلام، هل قدمت رغبة في الإسلام بالفعل أم لا. والأمر الثاني: أن تقول الشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وهذا هو الامتحان فقط: التأكد أنها رغبة في الإسلام، وأنها نطقت الشهادتين، فبهذا تكون أسلمت. هذا هو القول الأول في صفة الامتحان.

القول الثاني: أن الامتحان هو ما ذكرناه، ويضاف إليه بنود البيعة:

{عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ ۚ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ}.

فيبايعن على ذلك، تمام. فإذا تم هذا، فالمرأة لا تُردّ أبداً إلى المشركين.

وطبعاً دخول الإسلام يكفي فيه أصلاً الشهادتان؛ فبمجرد أن يقول الإنسان الشهادتين صار مسلماً ابتداءً. وبعد ذلك تُعرض عليه أحكام الإسلام، فقبوله لهذه الأحكام هو استمرار لإسلامه. فإذا رفض أحكام الإسلام وأبى الانقياد لله سبحانه وتعالى، فقد ارتد؛ لأنه بذلك يرفض الخضوع لله. والشاهد: إمّا أن الامتحان يكون بالتأكد من رغبتها في الإسلام ونطقها بالشهادتين، أو يُزاد عليه البيعة على شعائر الإسلام وقبول الأحكام؛ لقوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة: 208).

وهذا يفيدنا في مسألة عملية معاصرة:

كأن تأتي امرأة نصرانية وتسلم، وتذهب إلى الأزهر أو أي مؤسسة دينية لإشهار إسلامها وتغيير دينها. فنحن نمتحنها:

نتأكد من رغبتها في الإسلام،

ونتأكد من فهمها للإسلام،

ونطلب منها نطق الشهادتين؛ فتكون أسلمت.

ثم نعرض عليها أحكام الإسلام، فإذا قبلتها فهي مسلمة، مرحبًا بها في الإسلام.

وليس كما يحدث — للأسف — من رد هذه المرأة إلى القساوسة مثلًا ليمتحنوها في دينها القديم، أو يقنعوها به، وطبعًا هما لم يأخذوها لاقناعها بل يأخذوها ليعذبوها، أو يخفوها. فهذا غير جائز أبدًا أن تُرد المرأة إلى الكفار ليمتحنوها منها.

وهذا أصلًا هو سبب الحكم الشرعي:

المرأة ضعيفة، ولو رجعت للكفار سيتسلطون عليها، ويجعلونها تكفر بلا شك بالضرب والتعذيب، مع ضعفها عن الهرب وضعفها عن المقاومة.

الكِفة خسرانة جدًّا؛ لكن الرجل أقوى بكثير، وقدرته على التحمل مختلفة. فذلك من عناية الله بالمرأة. وده يرجعنا إلى خيط إكرام المرأة؛ شوف ربنا فرق بين الرجل والمرأة، رغم أن دي مظلمة، لكن ربنا — يعني لضعف المرأة — قال: لا، لا، لا... المرأة لا. الكلام ده على الرجالة؛ الرجالة يتحملوا، استحمل، خلاص شرط اتفقنا عليه، الرجالة يستحملوا من أجل المصلحة الكبيرة، لكن لا، لا... إلّا النساء؛ النساء لا تتحمل.

إزاي أرجعها لكافر يفتنها في دينها، ويضغط عليها، ويعذبها، ويضربها؟! الرجل يستحمل، لكن المرأة ما نعرضهاش للإيذاء ده؛ نحميها، كل المسلمين يحمونها، وما حدش أبدًا يرجعها للكفار. يا سلام على عزّ المرأة في الإسلام وكرامة المرأة في الإسلام؛ الجيوش تتحرك من أجل المرأة، تمام؟ فالمرأة جاءت تُسلم الآن، فنحن نأخذها عندنا كمسلمين ونحميها من الكنيسة، نحميها من المشركين، ونحن الذين نمتحنها.

اتأكدنا أنها مسلمة، فهي الآن في حمايتنا، نغيّر ورقها، ونعمل لها بطاقة، والموضوع ينتهي، وتظل في حماية المسلمين، وليس أن نسلمها للكفار ليفتنوها عن دينها، وتحصل المآسي الكثيرة التي نسمع عنها؛ ونسأل الله السلامة والعافية.

قال: {فَامْتَحِنُوهُنَّ}. وبعد كده قال:

{اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}.

لما قال ذلك؟ لأن هي دي الحقيقة: أنا الآن أمتحنها، فقالت لي: "أنا مسلمة"، وقالت: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله".

هل أنا متأكد أنها مؤمنة بالفعل؟ لا أستطيع أن أنقب أو أشقّ عن صدرها، لكن لي الظاهر. ما هو الظاهر؟ أنها قالت الشهادتين، والظاهر أنها مقبلة على الإسلام. وبالتالي خلاص، أعتبر بما ظهر لي منها، وأكل الحقيقة إلى الله؛ {اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}.

عشان كده نحن نُعامل الناس بالظاهر عمومًا، سواء في أحكام الكفر أو أحكام الإسلام. أنا أعامل الناس بالظاهر، والله يتولى السرائر. لكن مع ذلك أنا لازم أحكم على الذي أمامي؛ لأن هناك أحكامًا مترتبة على هذا الحكم.

فلازم أحدد: من الكافر؟ ومن المسلم؟

واحد يقول لك: ما أدراك؟

أنا ليس لي دعوة بالحقيقة، لي الظاهر؛ لأن فيه أحكامًا مترتبة: الزواج، المواريث، الدفن، الصلاة،
التغسيل... هذه أحكام متعلقة: هل هو مسلم أم كافر؟ وبالتالي لازم يكون عندي تصور: هل الذي
أمامي مسلم أم كافر؟

فدي مش مسألة "أنتم تكفّرون الناس!" لا، هو ظهر منه الكفر، فأنا أعتبره بما ظهر منه. والمسألة
يترتب عليها أحكام كما قلنا. فربنا قال: **{فَامْتَحِنُوهُنَّ}**.

{اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ} — الحكم بقي — **{فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}**.
يا سلام على عناية الله بالمرأة! وحماية المسلمين للمرأة!
{فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}.

بعد كده ربنا قال الحكم الجديد:

{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}.

آه، ده حكم جديد؛ خد بالك: الجملة دي ليست تقريرًا لحكم قديم؛ لا، بل هذا حكم جديد.
يعني إيه جديد؟

{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ} تقول لي: طب ما طبيعي المرأة لا تكون زوجة لكافر!

أقول لك: ده من ساعة نزول هذه الآية، قبل ذلك كان عادي. يعني قبل نزول هذه الآية كانت المرأة
المسلمة إذا أسلمت تبقى مع زوجها الكافر عادي، وتظل معه، ولم يكن إسلامها يعني انفصالها عنه.
كان في أول الإسلام جائزًا أن تبقى المرأة مع زوجها الوثني عادي، حتى نزلت هذه الآية.
اضرب لك مثالًا معروفًا:

زينب بنت النبي عليه الصلاة والسلام.

زوجها أبو العاص بن الربيع لم يكن أسلم في البداية، ورفض أن تهاجر، وحبسها في مكة، ولم يُمكنها
من الهجرة. وشارك في بدر، وأسر.

فالسيدة زينب بعثت قلادة كانت قد ورثتها من السيدة خديجة؛ لتفدي بها أبا العاص. فلما رأى النبي
القلادة رقق جدًا، واستأذن الصحابة أن يطلقوا سراح أبي العاص، ووافقوا.

واشترط النبي عليه الصلاة والسلام لإطلاق السراح: أن يرسل أبا العاص زينب إليه.

وكان رجلًا وفياً، فعاد إلى مكة وأرسل زينب، وبقيت زوجته، وكانت ما زالت على عصمته على فكرة،
كانت زوجته حتى ذلك الوقت؛ لأن الحكم القديم كان يجوز فيه بقاء المرأة مع زوجها الوثني.

فلما نزلت هذه الآية، وقع الانفصال بين أي امرأة مسلمة وبين زوجها المشرك.

ثم أسلم أبو العاص بعد ذلك، فردّه النبي إلى زينب، وهذا ليس موضوعنا.

موضوعنا: أن الحكم العام بعد نزول الآية حصل الفرقة بين المسلمة وبين زوجها المشرك بقوله
تعالى:

{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}.

ونفس الكلام بالعكس: رجل مسلم وزوجته وثنية؛ قبل نزول الآية كان ممكن يفضل الزواج مستمراً
عادي جدًا.

بعد نزول هذه الآية بيّنت أن برضه الحكم ده للمسلم: ما ينفعش مسلم يبقى على زوجة وثنية. وهنا
مش هنتكلم على أهل الكتاب دلوقتي؛ كده كده الشريعة أباحت الزواج من أهل الكتاب

والإبقاء على زوجة لو هي من أهل الكتاب: يهودية أو نصرانية. لكن الكلام دلوقتي على المشتركة الوثنية، اللي هي لا يهودية ولا نصرانية، بتعبد أصنام، مُلحد أو مُلحدة بتعبد بوذا. ما ينفعش مسلم يتزوج واحدة بهذه الصورة.

طيب، اللي كان متزوج واحدة بهذه الصورة، نزلت الآية: قال لازم انفصلوا؛ {لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا}. عشان كده: {وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا}، {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}. برضه دي اللي هي بيئت للرجالة بقي أن ما ينفعش يفضل تحت عصمتك واحدة كافرة.

ولما نزلت هذه الآية، سيدنا عمر طلق امرأتين، كان عنده اثنتان من زوجاته اللي هم ما زالوا مُشركات، طلق امرأتين استجابة سريعة للشريعة. قال سبحانه وتعالى: {لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا}.

وهنا عشان نبقي واقعيين وننزل على مثال واقعي برضه: دلوقتي يا جماعة في فتنة جامدة جدًا حاصلة في بنات المسلمين، ولازم إن إحنا نشرح للبنات الكلام ده. إحنا قلنا دلوقتي الحكم إيه؟ الحكم: إن ما ينفعش واحد مُشرك يتجوز واحدة مسلمة، ولا ينفع مسلم يبقى على زوجة أو يتزوج واحدة من غير أهل الكتاب. فاضل لنا صورة: لو واحد من أهل الكتاب مع مسلمة، ينفع يتجوزها؟ لا برضه.

الله! طب ما العكس كان ينفع؟ ينفع مسلم يتجوز واحدة من أهل الكتاب، صح؟ العكس ما ينفعش. ليه؟ لأن الرجل بيتسلط على المرأة، وده من عناية الله بالنساء؛ أن ربنا حمى المسلمة من الحكم ده، وما نزلش الحكم ده. لأن الرجل الكافر لو تزوج مسلمة ممكن يؤثر عليها، يضغط عليها، يعذبها علشان ترجع عن دينها. فده حماية للمرأة وحماية لدين المرأة، ما ينفعش امرأة تتزوج كافر مهما كان، فضلًا عن أن السلطان الأب على الأولاد، فمممكن يطلعهم على دينه برضه. لكن العكس ما بيحصلش بقي؛ لو أن رجلًا مسلمًا تزوج كتابية، عادة هو اللي بيأثر فيها. طبعًا الأولاد بينسبوا ليه في الدين، وبالتالي خلّيت البطن دي — حتى لو بقيت على دينها — بقت بتخلف مسلمين، فضلًا أن هي بعد فترة غالبًا بتدخل الإسلام. فواضح جدًا حكمة ربنا في التفريق بين الحكمين.

أنا بقول ده ليه بقي؟ لأن في بعض بنات المسلمين دلوقتي بتحب واحد كافر، بتحب واحد نصراني، أكيد كلنا شُفنا الحالات دي، بنشوفها في الجامعة، وبنشوفها في بنات لا يفهموا دين أبدًا. فتقول لك: إيه المشكلة؟ أنا بحبه، أنا عايزة أتجوزه ومش حرام. حرام يا بنتي! ده إجماع المسلمين. طب ما المسلم بيتجوز نصرانية عادي. ماشي، بس العكس ما ينفعش. فلازم نُوعي بناتنا من هذا الحكم الشرعي: إن ما ينفعش بنتي تتزوج كافر، حتى لو نصراني، مسيحي يعني، أو يهودي، فضلًا عن مُلحد، فضلًا عن مشرك وثني. ده لا يجوز بالإجماع.

العكس ممكن في حال أهل الكتاب: ينفع رجل يتزوج واحدة يهودية أو نصرانية، ينفع. ليه؟ لأنه هو اللي هيدعوها، وهو اللي هيبقى له سلطان عليها، فدي مصلحة يمكن تدخل الإسلام، وولاده هيكونوا مسلمين. لكن العكس ما بيحصلش؛ لو تسلط كافر على مسلمة غالبًا هيفتنها في دينها، غالبًا هيضيع دينها، غالبًا هتترك دينها، فربنا منع ده تمامًا، فضلًا عن سلطانه على الأولاد. بنات المسلمين لازم يفهموا هذا الحكم. إحنا بنشوف مآسي دلوقتي:

بنت بتحب ولد مسيحي، بنت بتحب ولد نصراني، وعايضة تهرب من أهلها وعايضة تتجوزه. الحكم الشرعي: لو إن بنت تزوجت نصراني — يعني مسيحي — فهي زانية. اللي بيحصل ده زنا، والزواج لا يصح مطلقاً، ولو كان فيه شهود، ولو وافق عليه الولي نفسه. هذا لا يقع، بل لو حصل يكون الزواج ده زنا، زنا امرأة بتعمل فواحش. تمام؟
فلا يجوز أبداً أبداً امرأة مسلمة تفكر في هذا الأمر تماماً، وتعلم أن هذا حكم لا خلاف عليه بين علماء المسلمين:

{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ}.

ثم قال تعالى: {وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا}...

{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ}

{وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسَئَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا}.

إيه الحكم هنا؟ الحكم كالتالي:

إحنا قلنا إن المرأة دي انفصلت عن زوجها الكافر، بعد انقضاء العدة ينفع مسلم يتجوزها؟

— ينفع مسلم يتجوزها بشرط أن يديها مهر كامل:

{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ}

مهر كامل، ومهر يليق بها.

مش معنى إنها مهاجرة وأنها لسه منفصلة عن كافر أستغل بقى الموقف وأقول لها: "ده احمدي ربنا إني أتجوزتك!" زي للأسف ما بيحصل مع بعض المسلمين مع المهاجرات".

مش هقول بقى نفس الصورة، لكن واحدة جاية من سوريا، واحدة جاية من اليمن، واحدة جاية من أي مكان فيه ابتلاءات، فبيحصل استغلال بقى للحالات دي للأسف. فيجي واحد يقول لك: أنا عايز أتجوز سورية. هو عايز يتجوزها ليه؟ عشان ما يدفعش مهر! خلاص، هي أصلاً... يقول لها: "كويس! انتِ ليس لك أحد، احمدي ربنا إنك أنتِ لقيتي حد يتجوزك ويسترك".

لا يا جماعة، لابد إن المرأة يُؤتى لها مهر، ده مقابل الاستمتاع يعني، يعني مهر يليق بها سواء كبير أو صغير، بس المهم يكون فيه مهر يليق بها، مناسب لها، تمام؟ لديها ولحسبها ولجمالها، والحاجات دي معروفة يعني.

ولكن إن إحنا نستغل موقف زي ده، هذا من الدناءة أو من قلة المروءة. ربنا بيقول: واحدة مهاجرة جاية من مكة، منفصلة عن كافر، واستقبلوها في المدينة، فمممكن الواحد بقى يستغل الفرصة ويقول لك: هتجوزها من غير مهر.

لا، ربنا يقول: لا، تديها مهر كامل: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ}.

وشوف ربنا لم يقول: "آتيتموهن المهر"... قال: {أَجُورَهُنَّ}، نسبه لهم، وده فيه إكرام للمرأة؛ إنه بيبين أن المهر حق المرأة، وملك للمرأة، وأن المفترض المرأة تاخد المهر ده يبقى ملكها.

إحنا في العُرف بتاعنا أحياناً الوالد بيستعمل جزء من مهر بنته في تكاليف الزواج. هذا من الإحسان، وده من كرم المرأة. لكن الأصل أن المهر يُعطى للمرأة وتملكه بشكل كامل. أمّا إذا جرى العرف والناس نفوسها سمحت وطابت بذلك إكراماً للوالد ومساعدة منها في الموضوع، فده من كرم المرأة، ومن الإحسان اللي فيه المرأة. تمام؟ لكن لا يلزمها فعل ذلك.

لكن عمومًا هي جرت الأعراف بكده، وده من الكرم الي إحنا المفترض إن إحنا يعني إيه نتعاون فيه والكلام ده.

عايز أقول لك: المرأة لها وضع كبير قوي في الإسلام. {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}... يفترض المرأة تَفْخَرُ بِسُورَةِ الْمَمْتَحَنَةِ دي. شوفوا أنتم من بعد ما كنتم مش فاهمينها خالص، تكتشفوا إن دي من أعلى مظاهر تكريم المرأة: سورة الممتحنة.

{إِذَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ}.

ربنا قال بقي يا رجالة:

{وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}.

الي متجوز واحدة كافرة ينفصل عنها فورًا. وسيدنا عمر. زي ما قلنا. في الموضوع ده طَلَّق امرأتين. قال سبحانه وتعالى:

{وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا}.

يعني إيه بقي الكلمة دي؟ عشان دي صعبة شوية.

تاني: {وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا}.

مين {وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ}؟

تعالى نتخيل السورة:

مسلم كان متزوج واحدة مسلمة في المدينة. المسلمة دي ارتدت، وراحت قريش، سافرت راحت مكة، مش هترجع تاني. من حق المسلم أن يطالب الكفار بالمهر الي دفعه لهذه المرأة دي. هو ده معنى قوله تعالى: {وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ}؛ يعني يا أيها المسلمون اسألوا الكفار، اطلبوا منهم، وده حقكم. قولوا: "رَجِعُوا لَنَا الْمَهْرَ بِتَاعِ الْمَرْأَةِ الَّتِي ارْتَدَّتْ وَرَاحَتْ عِنْدَكُمْ مَكَّةَ".

تعال بقي في العدل: {وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا}.

العكس! ربنا حَكَمَ بالعكس. تخيلوا لو واحدة مسلمة هاجرت، سابت جوزها، ودلوقتي راحت للمسلمين؛ فجوزها خلاص خسرها تمامًا؛ أسلمت بقي... ربنا بيقول: من حق الكافر إن هو يطلب من المسلمين المهر الي دفعه للمرأة دي!

يا سبحان الله!

هو ده معنى: {وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا}؛

يعني الكفار من حقهم يطلبوا منكم. أيها المسلمون. مهر المرأة التي أسلمت، وترجعوا المهر بتاعها للراجل الكافر الي كان متجوزها.

سبحان الله! انظر إلى كمال العدل في الإسلام.

شفت بقي تطبيق عملي على طول للقسط؟ سبحان الله!

تقول: "يعني دي أصلًا دي مسلمة وجاية... ده إحنا ما نرجعلوش حاجة، وهو كافر وبتاع؟"

سبحان الله! يقول: لأ، حقه يرجع له مهره، طالما إحنا خَدْنَا منه امرأته.

خدنا منه امرأته؟ نرجع له مهره.

والعكس: واحدة مسلمة ارتدت، راحت للكفار، خدوها مَنَّا؛ يرجعوا لنا مهرنا.

فهمتوا الآية؟ هو أول مرة في حياتكم تفهموها؟ يعني الحمد لله

{وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ}: أيها المسلمون، اسألوا الكفار المهر اللي أنتم دفعتموه، يرجع لكم، لو إمرأتك ارتدت وراحت مكة.

العكس: مسلمة جت المدينة. مش هنرجعها لكم، بس هنرجع لك المهر اللي أنت دفعته، ومن حقك تسأله.

{وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا}: المهر اللي أنت دفعته من حقه يسألك عليه.

{ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}.

خلصت خلاص.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

الله على الاسمين دول متشابهات بقى... بص: طول ما أنت بتفهم، عمر ما يحصل لك لغبطة في المتشابهات. هو الاسم ده ما ينفعش غير كده: **{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**؛ كل الأحكام دي نابعة عن علم، وعن حكمة، وعن إن ربنا بيضع الشيء في موضعه.

طيب... الآية اللي بعد كده بقى — يعني عايزة تركيز جامد — قال تعالى:

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءٌ مُّؤْمِنُونَ}.

يعني إيه الكلام ده؟

أقول لك الصورة وهنفهم الموضوع إزاي.

دلوقتي لو افترضنا إن مسلم زوجته ارتدت وراحت للمشركين، وطلب منهم المهر ولم يوافقوا على الدفع، يعمل إيه؟

الآية بتقول: خلاص، لو لم يوافقوا على رد المهر لكم الذي يخص المرأة التي ارتدت وراحت لهم. لما يحصل، لما يجي مسلمات بقى، لما يجي مسلمات للمدينة وهم يطلبوا المهر بتاعهم، اخصموا! اخصموا مهر الرجل المسلم ده من حق الكفار ورجعوا لهم الباقي.

يعني نفترض فرض: واحد مسلم مراته ارتدت راحت للمشركين، كان مهرها 50,000 درهم، في المقابل ثلاثة مسلمين أسلموا نساء وجم المدينة. الكفار طلبوا مهر الثلاثة دول، قلنا لهم: "طب عايزين مهر المسلمة اللي راحت عندكم دي؟" قالوا: "مش هنديكم حاجة." تمام.

طيب، أنت بقى عايز مني كم في مهر الثلاثة اللي أنت بعثتهم؟ قال لك: مهر الثلاثة كان كل واحدة مثلاً 50,000 درهم، يبقى المجموع 150,000 درهم. طيب، هتأخذوا 100 بس، عشان إحنا أصلاً عايزين منكم 50,000 درهم وأنتم لم تدفعوه، يبقى هنخصم من حقكم اللي أنتم أكلتوه علينا. ده معنى الآية:

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءٌ مُّؤْمِنُونَ}.

فاتكم شيء: يعني زوجتك راحت للكفار، راحت منك، سابتك وراحت للكفار.

فاتوا الذين ذهب أزواجهم: أيها المسلمون، اتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا، يعني اتوا المهر.

ثاني ربنا بيقول، لو واحد من المسلمين مراته راحت للكفار ولم يعطوه المهر بتاعها، نجيب له المهر منين؟

ربنا بيقول: **{فَعَاقَبْتُمْ}**. هنشرح يعني إيه "فعاقبتهم" دي **{فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ}** يعني هذا الرجل الذي ذهب زوجته **{مَثَلًا مَّا أَنْفَقُوا}** مش يبقى خسر زوجته وخسر المهر فنعطيه مهره، هنعطيه له منين؟! هي دي بقي فعاقبتهم. كلمة **{فَعَاقَبْتُمْ}** تحتمل معنيين:

إما فعاقبتهم بمعنى العقوبة: يعني فعاقبتهم الكفار فتقتطعوا من حقهم الذي عندكم الجزء المالي الذي لم يوافقوا أن يعطوه لكم، يبقى دي العقوبة بتاعتهم. أو فعاقبتهم بمعنى "العقب" يعني ما بقي، يعني الفلوس اللي أنتم في إيديكم لسه، وهتدوها للكفار.

فعاقبتهم يعني احتفظوا بالعقب بحق هذا الزوج المسلم، وأعطوا الكفار ما بقي، يعني خصموا. دي اسمها **المقاصة**. يعني لو أنت أنا عايز منك 50,000 وأنت عايز مني 150,000، خلاص: ليك عندي 100,000 بس، وخصمت الـ 50,000 اللي أنا عايزهم منك، وأعطى الـ 50,000 دول للراجل المسلم اللي زوجته راحت.

نفترض ان لو ما كانش للكفار حاجة عندنا، مهر الراجل ده يأخذه من الغنائم أو من الفيء. شوف عدل الإسلام وجمال الإسلام: هنجيب لك حقك من فلوسهم، من مهر، من الغنيمة... ليه؟! لأن **{اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**.

ثم قال سبحانه وتعالى:

{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ}.

أحكام جميلة.

ثم قال سبحانه للنبي عليه الصلاة والسلام:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعَنَّكَ ...}.

هنا ربنا بيبين تفاصيل بيعة النساء:

لا يشركن شيئاً

لا يسرقن

لا يزني

لا يقتلن أولادهن

لا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن

ولا يعصينك في معروف

دي بيسموها بيعة النساء.

فاكرين اللي درس معنا السيرة؟

بيعة العقبة الأولى: النبي صلى الله عليه وسلم بايع فيها الأنصار على الإسلام وعلى بعض التفاصيل في الإسلام، منها: لا شرك، لا سرقة، لا قتل أولاد، والكلام ده. بس ما كانش في بيعة العقبة الأولى أن بايعهم على الجهاد أو القتال أو الدفاع عنه، عشان كده بيسموها بيعة العقبة الأولى **بيعة النساء**.

ليس المقصود هنا أن حضرها النساء بل إن تفاصيل البيعة شبه التفاصيل في هذه الآية. فـ لأن بيعة العقبة الأولى لم يكن بها كلام على قتال أو جهاد فسميت بيعة النساء، يعني التفاصيل هي التفاصيل المشتركة بين الرجال والنساء، وهي شبه الآية دي. وأما بيعة العقبة الثانية، فكان فيها شوية تفاصيل زيادة، وهي: تدافعوا عني وتقاتلوا وما إلى ذلك ف تسمى بيعة الرجال. النبي عليه الصلاة والسلام لما كان يبايع النساء على الالتزام بشعائر الإسلام، كان يقول لهم البنود دي: على ألا يشركن بالله شيئاً.

في حديث عائشة، قال عروة ابن الزبير ابن العوام، (وهو ابن أخت السيدة عائشة). فعروة يروي عن عائشة أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية. فقال عروة: وقالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد بايعتك" كلاماً، قد بايعتك كلاماً.

والله ما مست يده يد امرأة في مبايعة قط، وما بايعهن إلا بقوله: "قد بايعتك على ذلك". وروى الإمام أحمد عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نبايعه فأخذ علينا ما في القرآن ألا نشرك به شيئاً... ، ثم قلنا: "يا رسول الله، ألا تصافحنا؟" قال: إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة كقولي لـ 100 امرأة. يا بنات المسلمات، يا رجال المسلمين، النبي عليه الصلاة والسلام في أشرف بيعة، رفض يصافح النساء، رفض يلمس امرأة. لما جاء له النساء في البيعة، كانوا بيخشوا الإسلام وعاززين يبايعوه على شعائر الإسلام: ألا يشركوا بالله شيئاً، ألا يسرقوا، ألا يزنوا، زي ما جاء في آية سورة الممتحنة. كان يبايعهم على الكلام ده، وكانوا يمدوا أيديهم ويقولوا له: "ألا تصافحنا؟" قال: "لا، أنا لا أصافح النساء".

إنما كان يبايعهم، كما تقول السيدة عائشة، كلاماً. السيدة عائشة تقول: "والله، والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط (إلا محارمه طبعاً) وإنما كان يبايع النساء كلاماً".

أنا بقول الكلام ده ليه؟

عشان بعض الرجال، أو النساء، وللأسف كمان بعض الفتاوى الباطلة، بتقول لك الموضوع مرتبط بالنية.

يعني إيه بالنية؟

يقول لك: المصافحة دي حسب نيتك.

لو نيتك سليمة وصافية: صافح عادي، المس المرأة عادي، وسلم على واحدة عادي.

لو نيتك مش تمام: لا يبقى كده حرام.

وأنا هأسأل عن النية؟ أولاً، في مشكلة: النية دي هنعرفها منين؟ شيء وقر في القلب.

يعني لما ما أسلمش على واحدة، يبقى أنا كده أقول لها: "معلش، أستأذنك"، أصل نيتي شمال مش هينفع أسلم عليك النهاردة.

إيه الإحراج ده ما هو أكيد كله هيسلم في الآخر! مين هيعرف النية؟ مين هيسأل عن النية؟ ممكن واحد أصلاً ما يدركش نيته؟

مين قال إن الموضوع مرتبط بالنية؟

وده رد على الموضوع ده: سؤال.

هل نية النبي عليه الصلاة والسلام فيها شك؟ ولا نيته سليمة؟ أكيد سليمة جداً.

هل الصحابيَات اللي حاضرين البيعة دي نيتهم فيها شك؟ ولا فيهم واحدة مش تمام؟ لا. دول أشرف نساء الدنيا.

الموقف نفسه فيه ريبة؟

إحنا في فرح؟ إحنا في خطوبة؟ إحنا في ملهى ليلي؟

لا، إحنا في بيعة على الإسلام، أشرف موقف،

يبقى أشرف رجل، أشرف نساء، في أشرف موقف.

وما رضاش يصافح، يبقى الموضوع مطلق، مش مرتبط بالنية.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

"لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد في رأسه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له".

وهذا من إكرام الله للمرأة، إذ منع الرجال كلهم يمسوها إلا محارمها.

بعض الناس بيقول: إيه المشكلة إن أنا أسلم؟

أقول له: ما تبص لهاش من الزاوية دي.

بص، إن منعك تلمس المرأة الأجنبية عنك، منع كل الرجالة يلمسوا مراتك وأختك وأمك.

دي كرامة ليك، اللي منعك إن أنت تصافحي رجل معين تعتبرينه كأنه أخوك.

مقابل كده، منع كل الرجال يمدوا أيديهم ليكي ويلمسوكي، وخلاك عزيزة.

الحكم ده، في الحقيقة، لو المرأة وعيت والرجل وعى، هو إكرام للنساء، إكرام للحرمان، إكرام لغيرة الرجل على نسائه.

فالواجب إن إحنا نلتزم.

هذا الموضوع الحكم مطلق، مش مرتبط بالنية.

فلا يمس الإنسان إلا محارمه فقط.

طيب، البيعة بقى كانت على إيه؟ كانت على تفاصيل الآتية:

ألا يشركن بالله شيئاً، لا يقعن في الشرك الأكبر والأصغر والكلام ده.

ولا يسرقن: ما تسرقش، ما تمدش أيديها على حاجة مش حقها،

لذلك هند، امرأة أبي سفيان، لما سمعت "لا يسرقن"، طبعا النساء ما بيسرقوش، لكن هي جات في بالها مسألة كده.

قالت له: "يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وإنه لا يعطيني ما يكفيني، فهل لي أن آخذ من

ماله؟ أنا بأخذ من وراه فلوس أحياناً، هو رجل شحيح، مش بيديني كفايتي خالص لا أنا ولا ابني،

فأنا الحقيقة بأمد إيدي على فلوسه من وراه وأأخذ وأصرف على البيت وعلى نفسي وعلى ابني على القد؟" هل هذا يعتبر سرقة؟؟

فقال لها: "لا، قال لها خذي ما يكفيك وولدتك بالمعروف".

فعلم إن دي مش سرقة، لأن هو واجب عليه أن ينفق على زوجته وابنه، فهو مش بينفق، فالمرأة تعرف توصل للفلوس، تعرف تأخذ منها.

فلو هي هتعرف تأخذ بقدر الحاجة فقط، بالمعروف، يعني المتعارف عليه: المرأة وابنها في المستوى العادي اللي متعارف عليه الناس، يحتاجوا كم في الشهر، بيأكلوا بقدر إيه، بيشر بوا بقدر إيه؟ مش تجيب كماليات، مش تعيش في عيشة مش عيشتها. فتعيش عيشتها والمطلوب على قدر المطلوب، ما توسعش قوي.

فلو أخذت كده من زوجها البخيل من وراه، هذا مش سرقة، ده حقها أصلاً وهي بتأخذه. لكن أخذته بالطريقة دي لأن زوجها ما أعطاهاش بمزاجه.

المهم، هي سألت عشان ترفع الإشكال في المسألة دي، وعلمت خلاص أن النبي نهى عن السرقة. عموماً، أي اعتداء المرأة على مال مش مالها: مال زوجها، في شيء هو ما قالهاش تأخذ، هو بيصرف عليها كويس، تأخذ ليه؟ يعني هو يديها حقها بكفاية، ما ينفعش تأخذ من ماله إلا بإذنه، فضلاً إن هي تأخذ مال من أبيها أو من أختها؟ أحياناً الإخوات يسرقوا بعض، يعني دي مشكلة كبيرة، يسرقوا هدموم بعض، يسرقوا ساعات.

يعني ينبغي، يا جماعة، يبقى في استئذان طالما ملكية شخصية، **{وَلَا يَسْرِقَنَّ}**. قال سبحانه وتعالى:

{وَلَا يَزْنِينَ}

لا يقعن في الزنا.

امرأة تزني: معروف، يعني إيه تزني؟ تمام.

المهم، لما النبي عليه الصلاة والسلام قال الكلمة دي: **{وَلَا يَزْنِينَ}**، حصلت مشكلة.

النبي عليه الصلاة والسلام لما أخذ البيعة على النساء أن ما يزنوش، في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا**

جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ}

ركزوا معي: فاطمة بنت عتبة، بنات، ركزوا.

فاطمة بنت عتبة عملت حاجة خطيرة.

فلما قال **{وَلَا يَزْنِينَ}**، أول ما قالت **{وَلَا يَزْنِينَ}**، وضعت يدها على رأسها حياءً، اتكسفت من الكلمة.

إن يتقال لها الكلمة دي بس، إن يتقال لها في البيعة: **{وَلَا يَزْنِينَ}**، اتخرجت جداً، وضعت يدها على رأسها حياءً.

في الرواية، عائشة تقول: "فأعجب النبي بما رأى"، يعني عجبه قوي إن البنت بشدة الحياء دي، أصلاً الكلمة نفسها مش قادرة تسمعها.

فالسيدة عائشة قالت: "أقر يا أيتها المرأة، أقر يا أيتها المرأة"، يعني بايعي، بايعي.

فعلى هذا بايعنا، فبايعت المرأة، يعني مكسوفة قوي وهي تسمع الكلمة، رسالة للبنات اللي بتسمع كلام مش كويس في أفلام ومسلسلات وأغاني وبرامج "Blind Date".

مش عارف برنامج العروسة اللي بيستقبل ممثلين ويقعدوا يتكلموا كلام إباحي، ووقح جدًا، تسمعوا البنات وبيهزروا ويضحكوا وبيهزروا مع بعض بالكلام الإباحي، ويهزروا مع أولاد بعد كذا ويحكوا مشاهد من أفلام ومسلسلات، والبرنامج الوقح اللي بيتذاع ده. عادي، إحنا بنتكلم ده هزار، المرأة بس في بيعة. والمتكلم النبي عليه الصلاة والسلام، هو يبيباعها على موضوع الزنا. مش قادرة تسمع، مش قادرة تسمع.

الهاجس ده موجود دلوقتي في بعض البرامج اللي تجيب واحدة تقعد تتكلم في تفاصيل العلاقة بين الرجل والمرأة، ويقول لك ده ثقافة وبنعلم الناس، ده قلة حياء. الكلام ده يتقال بشكل خاص، مش بشكل عام، وعند الحاجة، المرأة بتستحي. الموقف الأصعب: هند امرأة أبي سفیان، النساء تسمع لأن الموقف ده رهيب.

لما النبي عليه الصلاة والسلام أخذ البيعة على النساء: إن هما ما يزنوش، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ}

أول ما سمعت {وَلَا يَزْنِينَ}، قالت: "يا رسول الله، أتزني الحرة؟"، يعني: أنت ليه بتبايعنا إن لا نزني؟ هو احنا بنزني؟

هو البيعة عمومًا، يعني مش اتهام بالزنا، بس هي أخذتها على محمل ثاني شوية، كانها وجعتها. قالت: "أتزني الحرة"، قصدها إيه؟

قصدها إن الزنا ده ممكن يكون في الإماء، المستويات اللي تحت، المستويات الوضيعة. المرأة الشريفة، المرأة الحرة، المرأة "بنت الناس" لا تزني، وده ما بيكونش أبدًا في الجاهلية. دي جاية من الجاهلية، "أتزني الحرة" دي بتحكي عن الجاهلية، بتقول: في الجاهلية المرأة ما بتزنيش، ما بتزنيش، فين؟ في الجاهلية، المرأة ما كانتش بتزني إذا كانت حرة. وده تعريف بتحطه لنا هند: "للحرية".

يعني إيه امرأة حرة؟ لما الواحدة تقول: أنا حرة، يعني إيه؟ أنا حرة؟ دي تساوي عندنا أنا عفيفة. للأسف، المصطلح ده البنات بتستعمله في العكس: أنا حرة ألبس قصير، أنا حرة أصحاب أولاد، أنا حرة أعمل اللي أنا عايزه. ما لكمش دعوة، ما حدش يقول: "البنت دي شرفي"، ده شرفي أنا، أبويا ماله، وأخويا ماله.

لا، خذوا بقى من هند، اللي جاية من الجاهلية للإسلام، بتقول: ده في الجاهلية الحرة ما تزنيش، الزنا ده في الإماء، المستويات الوضيعة.

الآن المرأة، لما مستواها الاجتماعي يعلى، بيكثر للأسف، كل ما المستوى الاجتماعي علي، كل ما كثرت الفواحش والعري والزنا.

وكان ده رمز للمستوى الاجتماعي العالي للأسف.

والعكس كان زمان: كل ما المرأة مستواها الاجتماعي يعلى، كل ما ندر فيها الفواحش، وكل ما لبسها كان أعلى، وكل ما كان سترها أعلى، كان بيتعرف: دي بنت ناس، دي غنية، دي راقية، دي مجتمع راقى. بدليل العفة، بدليل ما بتزنيش، بدليل ما بتمشي مع رجاله، بدليل لبسها محترم.

عشان كده ربنا قال في آية الحجاب:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ { (الأحزاب: 59)

في التفسير: ذلك أدنى أن يعرفن أنهن حرائر، وليسوا إماء.

من مستوى الحجاب بيتعرف إن دي امرأة حرة، يتعرف دي بنت ناس، ما حدش يقدر يأذيها.

شوفوا، المرأة كانت عاملة إزاي يا جماعة؟

المرأة الحرة لما تقول لك أنا حرة، يعني إيه حرية عند المرأة في القديم؟ يعني: أنا عفيفة. مش "أنا حرة" بمعنى أفجر، "أنا حرة" يعني أنا عفيفة.

ده رمز العفة، الحرية تساوي العفة.

عايزة بقى تبقي وضيفة، تبقي قلة أدب، يبقى المستوى نزل، مهما كان مستواك المادي، أنت كده اتشبهتي بالإماء زمان، اتشبهتي بالمستويات الوضيعة.

الزنا ده في المستويات الوضيعة بس، أما المستويات الراقية، ما تزنيش، والمرأة اللي شايفة نفسها غالية ما بتعرفش أولاد، والمرأة اللي شايفة نفسها غالية بتلبس محترم، مش بتعري نفسها، مش بتهين أهلها.

عشان كده قلت لكم: سورة الممتحنة فعلاً فيها إكرام للمرأة، إكرام للمرأة.

كل ما حجابك أعلى، كل ما حياؤك أعلى، دل أن أنت أغلى، وإن أنت حرة، وإن أنت قيمة عند نفسك وعند أهلك.

كل ما بتنزلي للعلاقات المحرمة، واللبس المش محترم، بتقل من نفسك ومن أهلك، ويدل إن أنت ما لكش قيمة، ولا عند نفسك حتى.

المرأة الحرة قالت: "أتزني الحرة؟"

بقي هي بيعة: {ولا يزنين}.

ثم قال الله تعالى: {وَلَا يَزْنِيْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ}.

والمقصود كان زمان في الجاهلية، كانوا بيقتلوا أولادهم فعلاً.

أولادهم كان ممكن يجيء له ولد، فكانوا أحياناً يقتلوهم خوف الفقر، وأحياناً من العجب.

عشان تعرفوا المسألة، نرجع لمسألة الزنا تاني.

أحياناً البعض يقتل البنات خشية العار. مجرد إنه يخاف لو كبرت تزني، كان ممكن يقتلها دلوقت وهي صغيرة.

إن عندهم واحدة تزني دي عار رهيب، ده الجاهلية.

سبحان الله، دلوقت بقي إيه؟ دلوقت احنا بنسمع عن المساكنة، مستويات عالية بتتكلم في المساكنة.

الأب بيتكلم في المساكنة، وابنتي تعمل اللي هي عايزاه، وأنا "open minded"، وابنتي تأخذ راحتها،

وأنا ما أمنعش بنتي من حاجة، وعادي أختي تعمل اللي هي عايزاه.

أحياناً يتقال لبعض الناس في المستويات دي: "ترضاه لأختك؟"

أه، أرضاها.

"لبنتك؟" أه، أرضاها.

ده أبو جهل ما يرضاهوش لبناته،

فكانوا زمان ممكن يقتلوا بنت وهي صغيرة، عشان فكرة إن احتمال تزني لما تكبر، خشية العار. وكانوا أحياناً يقتلوا الأولاد والبنات خشية الفقر. قربنا أخذ العهد عليهم: ما حدش يقتل أولاده، **{وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ}**، ويدخل في ذلك الإجهاض بعد نفخ الروح.

هذا يعتبر من قتل النفس، فلا يجوز الإجهاض بعد نفخ الروح بأي حال من الأحوال، إلا لو الأم هتموت. والقرار ده هيرجع للطبيب ساعتها.

ثم قال:

{وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ}

يعني إيه الكلام ده؟ فسرت: **{وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ}**.

إيه هو اللي بين أيديهن وأرجلهن؟ الفرج والرحم والحاجات دي، صح؟

ده تعبير عن حاجة خطيرة، إنه كان بيحصل في الجاهلية أن المرأة تزني، وجوزها موجود، تزني، وتحمل، وتولد، وتنسب الولد إلى زوجها، تقول له: "ده ابنك"، وما يعرفش، ما يعرفش، ممكن تعمل ده من وراه.

وأحياناً المصيبة إنهم أحياناً ممكن يعملوا ده بالاتفاق. ده كانت المرأة، وده من الجهل في الجاهلية، كان عشان المرأة تنجب ولد نجيب، كان ممكن يجامعها كذا رجل، للأسف، عشان تأخذ الصفات الوراثية منهم كلهم، فيطلع ولد نجيب. فنهاهم عن ذلك، ده كان في الجاهلية، وكان الفكر غبي عندهم، ما كانوش فاهمين، تمام؟

فالمهم فكرة الجملة دي إن المرأة لا تنسب لزوجها ولد ليس بولده، تمام؟ فالحمد لله الموضوع ده تقريباً انتهى في المسلمين.

تعال بقى نشوف الناس المنبهة بالكفار، وشوفوا كم الأولاد المنسوبين لآباء مش آبائهم، في برنامج كامل في أمريكا مشهور قوي اسمه "You Are Not The Father"، يعني أنت لست الأب. بيحصل إيه؟ إن واحد شاكك في أولاده من مراته، إن هم أولاده، شكلهم مش شبهه، فيرفع قضية في المحكمة، يقول: أنا عايز أعمل تحليل DNA لأولادي. نسبة كبيرة جداً جداً بيطلع من التحليل إنهم مش أولاده فعلاً، وتيجي القاضية تقول: الأولاد دول مش أولادك. ويكون عندهم خمس سنين وعشر سنين، والمرأة زنت وأنجبت، وهم مش أولاده أصلاً وعاشين كده.

ده كثير في المجتمعات الغربية، سواء في أوروبا أو في أمريكا، عشان تعرف المرأة كيف أكرمت في الإسلام. الانبهار الساذج بالتقدم الغربي المادي ما ينفعش، نتعامى عن التخلف الأخلاقي والعقدي. احنا الحمد لله في نعمة كبيرة: نعمة العفة، نعمة الحياء، نعمة الأسرة، نعمة الأعراف، نعمة الأدب، الأخلاق، قيود الإسلام حمت المرأة من حاجات كثيرة قوي.

لأنه بعد كده، أصلاً، بعد القضية ما بتخلص، الراجل ما بياخدش حق ولا باطل، القضية بتخلص خلاص، يقولوا له: ده مش أولادك وخلاص، لا عقوبة للمرأة، ولا شيء. بالنسبة له، المرأة حرة، ما عملته حرية شخصية، ما فيش حاجة، يعني بس هم مش أولادك وخلاص.

شوف أنت هتعمل إيه بقى؟ تخيلوا المأساة. بل في المجتمعات بره، ممكن المرأة تروح تشتري نطفة، ده بقى الجديد، مش عايزة تتجوز خالص، هي عايزة تخلف من غير ما تتجوز، طب إزاي؟

ولا تزني، مش عايزة وجع دماغ، مش عايزة راجل في الحياة أصلاً. هناك عندهم بنوك اسمها بنوك حيوانات منوية، في رجال بيروحووا يبيعوا الحاجات دي، والمرأة تروح تشتري حاجة، وتحطها في الرحم وتخلف، ولا عارفة الأب، ولا في أي علاقة.

هو كده، يعني هي عايزة تبقى "single mother" أم مع نفسها، يعني مش عايزة أب خالص، ولا تعرفه، ولا تشوفه، ولا أي حاجة.

احنا في مآسي، في أنواع من الحاجات دي في الغرب، مرعبة، مرعبة. الحمد لله، بص، الإسلام: **{وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ}**.

لو التزمنا بشعائر الإسلام، أرقى أمة في الدنيا. ولو كنا فقراء، فالرقي مش مرتبط بالغنى، والفقر مرتبط بالأفكار والأخلاق والسلوكيات.

{وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبَهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ}، يعني لا يعصينك في أي معروف بقي تأمرهم به.

يعني كان ساعتها يأخذ العهد عليهم الحاجات اللي هي متعلقة بالنساء: لا يضربن، لا يشقن الجيوب، لا يلطمن الخدود، لا يدعون بدعوى الجاهلية، لا ينوحوا.

دي حاجات متصلة في النساء، فكان بيركز معهم على الحاجات دي. وعموماً يدخل في ذلك كل معروف يأمرهم به: **{وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ}**.

فبايعهن. بص بقي الجمال اللي جاي: واستغفر لهن الله، لأنه برده ما فيش أحد هيعرف يلتزم قوي، أكيد كلنا بنغلط، فاستغفر لهن الله. شوف رحمة ربنا: **{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**.

ثم قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}**

رجعنا لبداية السورة والأساس الذي بنيت عليه السورة.. **{لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}**.

يعني إيه الجملة دي؟

{قَدْ يَئْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ}: يعني الكفار، اللي هو قوم ربنا غضب عليهم، يئسوا من الآخرة، يئسوا من ثوابها، يئسوا من رحمة ربنا، لأنهم كفروا به، فيئسوا من رحمة ربنا، ويئسوا من النعيم، ويئسوا من الثواب، ما عندهم رجاء في رحمة ولا في ثواب ولا أجر يوم القيامة.

{يَئْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}

{يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} دي لها احتمالين:

المعنى الأول: يئس الكفار، يعني المشركين اللي هم عايشين، يئسوا من أصحاب القبور، أن يلقوهم مرة ثانية، لأنهم لا يؤمنون بالبعث. هم لا يؤمنون بالبعث، وبالتالي يئسوا الكفار الأحياء من أصحاب القبور اللي هم الكفار اللي زيهم، أن يلتقوا بهم ثانية، لأنهم لا يؤمنون أصلاً بالبعث.

الاحتمال الثاني: المقصود بالكفار من أصحاب القبور (من هنا بيانية) ، يعني الكفار اللي جوه القبور، مش الكفار الأحياء.

قالوا: يئسوا من رحمة الله بعدما عاينوا العذاب في القبور، يئسوا من رحمة الله ويئسوا من النجاة يوم القيامة، عندما رأوا وعاينوا الحقائق في القبور وعلموا أنهم قد هلكوا بسبب الكفر.

يبقى الكفار كما يؤس الكفار من أصحاب القبور:
إما المقصود بالكفار الأحياء يؤسوا من أصحاب القبور إن هم يلتقوا بهم مرة ثانية، لأنهم كفروا
بالبعث كده كده، أو يكون المقصود أصلاً الكفار من أصحاب القبور.
هي دي كلها بتتكلم على الكفار اللي جوه القبور، لما ماتوا وعابنوا الحقائق، ورأوا ما أعد الله للكافرين،
علموا أنهم يؤسوا من النجاة يوم القيامة ومن رحمة الله سبحانه وتعالى.

وبالتالي خلصت السورة الجميلة المباركة، وأظن فهمنا كمية حاجات مهولة النهاردة لأول مرة في
حياتنا تفهموها.

يا ريت نكتب في التعليقات: فهمنا إيه النهاردة، وإيه الحاجات الجديدة اللي استفدناها، وتكتبوا لي
كده: المرأة حاسة بإيه بعد سورة الممتحنة؟

يا ريت نحفظ، دي فرصة هائلة لحفظ السورة اللي كانت صعبة جداً. تحفظوها الآن، أعتقد بقت
من السهولة بمكان حفظها.

ربنا يعلمنا وإياكم، ويوفقنا وإياكم لكل خير، جزاكم الله خيراً.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

مَدْرَسَةٌ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

التاسعة

كونوا أنصار الله

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء التاسع من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدرسة قد سمع.

بفضل الله سبحانه وتعالى انتهينا من السور الثلاث الأولى من جزء قد سمع. خالصنا المجادلة في ثلاث دروس، وخلصنا الحشر في ثلاث دروس، وخلصنا الممتحنة الجميلة في درسين. ومعنا النهاردة بإذن الله سبحانه وتعالى الدرس التاسع، وسنتدارس بإذن الله سورة الصف. وأرجو من الله أن إحنا نخلصها في مرة واحدة. هي سورة طبعاً كبيرة وعميقة، لكن نحاول أن إحنا نختصر شوية بحيث إن إحنا ننجز ونختصر السورة في مرة واحدة بإذن الله سبحانه وتعالى. ونستعين بالله في ذلك، ونرجو من الله أن تكون دائماً نيتنا في المدارس العمل، ونيتنا في المدارس فعلاً تدبر القرآن والعمل بالقرآن، وأن إحنا نحفظ ونصلي كثير باللي إحنا فهمناه، ونشكر ربنا كثير قوي على العلم والفهم؛ لأن الفهم ده يعني — سبحان الله — نعمة من الله، فمن رُزق الفهم أو وصله الفهم يعني بجد... ده هو نعيم الدنيا، والله العظيم. نعيم الدنيا في فهم القرآن. وأكد تجربتكم في مدارس القرآن أثبتت أن فعلاً نعيم الدنيا في مدارس القرآن. فأرجو من الله أن يكون جزء قد سمع فعلاً قلب حياتكم نعيم، بعد ما كان جزء قد سمع جزء صعب: "أنا مش فاهم... الممتحنة دي صعبة... الصف دي... لا، ما خلاص... بقى الجزء ده من أجمل الأجزاء اللي أنت بتقرأها وبتصلي بيها، ومستمتع جداً بالفهم.

خلونا النهاردة نضيف زهرة في بستان القرآن، في فهمكم للقرآن، وهي سورة الصف. وكالعادة نبداً بالقراءة ونستعين بالله سبحانه وتعالى على التدبر. نسأل الله التيسير والتوفيق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَنَ مَرَّضُونَ (4) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا رَاغَوْا أَرَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مَنْ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)}

هذه الآيات الكريمة المباركة من سورة الصف.

سورة الصف سورة مدنية، سورة الصف لو حبينا إن إحنا نقول: بتدور حوالين إيه؟ نقدر إن إحنا نقول إن موضوعها يدور حول الاستجابة لله وللرسول. لاحظ مدارها حول الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

أولها: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} يعني كله بيستجيب لله... ما عدا أنت! فاستجب لله، وبعد كده يعاتبهم: {لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}؟ ليه بتقول وبتوعد بالإجابة، وبتوعد بأعمال كبيرة، وبعد كده ما بتنقذش؟

وبعد كده يُثني على الذين يقاتلون في سبيله صفًا، وبعد كده يجيب قصة سيدنا موسى وقومه: إزاي آذوه وما استجابوش ليه؟ قومه ما استجابوش ليه، وكم ان كانوا بيؤذوه. وبعد كده يتكلم عن سيدنا عيسى والحواريين اللي استجابوا ليه، وكم ان كانوا أنصارًا لله سبحانه وتعالى.

وما بين ذلك يأمر أهل الإيمان بالاستجابة لأمر الله تعالى، والدخول في التجارة الرباحة بطاعة الله وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام والجهاد في سبيل الله، وبيوعدهم بقى بالجوائز القيّمة من الجنّات والنصر القريب والفتح القريب ونحو ذلك. فإذا مدار السورة—يعني تحسّ السورة كلها بتتكلم على الاستجابة—فأنا داخل نفسيًا أستجيب. يعني أنا جاي هنا آخذ درس في الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، فأنا نفسيًا كده قبل ما أبدأ السورة بفتكر كل حاجة أنا متقاعس فيها، أنا مقصّر فيها مع ربنا. أنا عارف إن ده صح وما أعملوش، أنا عارف إنه غلط ولسه ما تُبتش منه. فيعني حضّر نفسك عشان دي المفروض الثمرة اللي نطلع بيها من السورة. مش حكاية هي! هي تلاوة وتدبر عشان نطلع بمعاني وعمل. إيه العمل الإجمالي اللي هنطلع بيه؟ لازم بعد السورة دي تطلع باستجابة جديدة. في حاجة جديدة هتحصل. في حاجة ما كنتش بتعملها هتعملها: هتصلي الفجر حاضر، هحسن حجابي، في حاجة غلط هنتركها: الغيبة، النميمة، علاقة محرّمة. لازم نطلع بحاجة. أول السورة هتبدأ كده، بتبين بقى هذا المعنى:

{سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

أول طلعة كده بتقول لك: كله بيستجيب، كله مستجيب لله. سَبِّحْ لله يعني نزه الله سبحانه وتعالى عن النقص والعيب كل من في السماوات ومن في الأرض، فالجميع يستجيب إلا ما كان من عصاة بني آدم وعصاة الجن.

والنبي عليه الصلاة والسلام بيّن في حديث هذا المعنى: قال عليه الصلاة والسلام:

"ما تستقلّ الشمس بشيءٍ من خلق الله إلا سَبَّحَ الله بحمده إلا ما كان من الشياطين، وأغبياء بني آدم."

تخيّل! يعني ما تستقل الشمس بشيء يعني ما تشرق على شيء، وهي بتشرق على الجميع. يعني كل المخلوقات ما تستقلّ الشمس بشيء إلا وهو يُسَبِّح بحمد الله تعالى، إلا ما كان من الشياطين—يعني كفر الجن—وأغبياء بني آدم اللي ما فهموش: إنت جاي ليه؟ وبتعمل إيه؟

فده بيديك معنى إن الحكمة والعقل يقول إنك تستجيب لله وللرسول عليه الصلاة والسلام.

والحقيقة إن: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} بتقول لك: أنت لو عاصي، فضلًا عن كافر—يعني عيادًا بالله تعالى—أنت تسير عكس التيار. قد يبدو الملتزم وسط الناس غريب،

لكن لو تتأمل في الكون: هو الطبيعي. أنا ماشي صح، أنا ماشي مع الأرض والسما والملتكة والبحار والمحيطات والحيوان والطير. كله، كله، كله ملتزم زيي، لكن الوحيد اللي مش ملتزم هو بعض بني آدم. بعض بني آدم مش ملتزمين.

فده بيحسني إن أنا طبيعي، أنا ماشي مع التيار، وإن اللي مش ملتزم هو اللي ماشي عكس التيار. فده بيخفف عني إحساس الغربة. أنا بحس أحياناً فعلاً: طوبى للغرباء. يعني الملتزم بيحس إنه غريب، اللي لابسة حجاب شرعي بتحس إنها غريبة وسط زميلاتها. لكن لما تطلعي برّه البني آدمين وبصي للسما والشجر: تخيلي الملتكة اللي حواليك، تخيلي الأرض والسما، يعني كل ده بيستجيب لله. الكافر لما ييموت، قال تعالى:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾. (الدخان: 29)

يعني طبيعي تحبني الأرض والسما والملتكة، أنا متسق مع كل المخلوقات، إلا ما كان من عصاة بني آدم. فده بيهون علينا الغربة في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى.

كلمة سَبَّحَ نفسها تَدِينِي معنى حلو، هو التسبيح اللي هو إيه؟ تنزيه ربنا عن كل نقص وعيب. تمام. إحنا قلنا إن السورة مدارها على الاستجابة. استجابة لإيه؟ لأمر الله. طب أنا أستجيب لأمر الله ليه؟ لأن أمر الله ما في هوش نقص ولا عيب، أمر الله ما بيتراجعش، أمر الله لا يُستدرك عليه، أمر الله ما بنشكش فيه. فأنا العقل بيقول: استجيب على طول. لأنه الله ليس فيه نقص ولا عيب، وكذلك شرعه، أمره، نهيه ليس فيها نقص ولا عيب. فالعقل بيستجيب فوراً لله، حتى لو أنا مش مستوعب، حتى لو أنا مش فاهم شوية.

بعض الناس يقول لك: "وأي حاجة كده نمشي وراها على طول؟ أنت ليك عقل تفكر بيه! مش أنت ليك عقل تفكر بيه؟ شوف ده ينفع ولا ما ينفعش."

أيوه، هو ده عقل أفكر فيه... لو أصلاً الطرف الثاني ممكن يغلط، أو الطرف الثاني مساوي ليا في العلم. لكن لما أقول إن أنا بتعامل مع ربنا سبحانه وتعالى الذي وسع كل شيء علماً، العليم الخبير، اللي هو أصلاً خلق البني آدم، هو أدري به، وأعلم به، وأعلم بصنعتة سبحانه وتعالى، فضلاً عن أنني أعلم أنه منزّه عن الخطأ والنقص والعيب والزلل والجهل والنسيان والضلال.

يبقى إذا استجابتي له الفورية بدون تفكير... هو ده العقل، هو ده الحكمة.

وأن الغباء أن أنا أراجع أوامر ربنا، أو أقول: أنا مش مقتنع بأوامر ربنا، أو أقول: لا، أنا مش هعمل إلا لما أقتنع. ما أنا لازم أقتنع. أقتنع بإيه؟ أقتنع أن ربنا منزّه عن النقص والعيب. يبقى كده لا، إحنا لازم هنخش الدين بقى تمام. عشان كده كان مناسب قوي أن الآية دي بالذات تَخْتَم بِـ {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}؛ لأن الحكيم مرتبطة جداً باستجابتنا. ما هو أنا يستجيب للحكيم سبحانه وتعالى.

ونعطي مثال — ولله المثل الأعلى — أنت دلوقتي رُحت لدكتور، كنت تعبان شوية، وأنت ما بتفهمش حاجة في الطب، أو ضعيف جداً فيه، فروحت لأشهر دكتور في العالم تمام. كتب لك رويشتة، وأنت مش فاهم أصلاً هو كاتب إيه خالص، يعني كتب شوية شخبطة كده، قال لك: اشرب ده. هل أنت هتراجعه؟ تقول: لا، ما راجعتوش. طب هو ليه ما قعدتش معاه، وقلت له: أقنعني بالدواء، وفهمني أنت كاتب إيه؟ يقول لك: يا باشا، أراجع مين؟ ده أكبر دكتور في العالم، ومش محتاجة، ده أنا أروح أجيب الدوا "عمياني".

يعني أنت اقتنعت بدكتور وارد عليه الخطأ كمان، بمجرد أن سمعت أنه أشهر دكتور في العالم. ووالله سبحانه وتعالى العليم الخبير العزيز الحكيم بتراجعه في أوامره ونواهيه!! يبقى إذا العقل، زي ما أنت بتقول: أنا عاقل، ما ينفعش أراجع الدكتور، كذلك العاقل ما بيراجعش ربنا؛ فلا معقّب لحكمه سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى عزيز حكيم.

فده مرتبط بالاستجابة، وكلمة **العزيز** بتقول لك يعني: خلي بالك، نوع من التهديد؛ لأن برضه أنا أهو بقنعك **بالحكيم**، وبقنعك أنك ماشي مع التيار كله، وأنتك مش غريب، بس برضه لازم حجة الترهيب؛ لأن الإنسان بيحي بالترغيب والترهيب. يعني كل ده ترغيب: أنت ماشي مع التيار، ربك الحكيم، كل الأوامر فيها حكمة. بس خلي بالك: الله **عزيز**، يغلب أي حد، ولا حد يقدر يقرب منه ولا يغالبه سبحانه وتعالى.

والعزيز مع الحكيم فيها كمال فوق الكمال. بص دايماً، إحنا عارفين أن أسماء ربنا حُسنَى صح؟ فالله سبحانه وتعالى أسماؤه وصفاته فيها كمال مطلق، صح. في بقى كمال بيزيد لما بيحي اسمين مع بعض. يعني إيه؟ يعني العزيز لوحده فيه كمال مطلق: فيه عزّة وقوة وغلبة والكلام ده. والحكيم لوحده اسم فيه كل الكمال. الاثنين مع بعض يبقى فيه كمال زائد بقى. إزاي بقى؟ يقول لك: مثلاً، **العزّة** لما تيجي مع **الحكمة**، ده كمال فوق الكمال. ليه؟ لأن جرت العادة أن الشخص العزيز — اللي هو القوي، اللي ما حدش بيغلبه — قلّما يكون **حكيم** في العادة في الناس. يعني دايماً عزته ممكن تخليه يطيش، أو ياخذ قرارات انفعالية، أو عزته بقى لأنه قوي فينتقم ممكن بزيادة، فيظلم. يقول لك: **الحكيم** عادة بيكون ضعيف. عارف صورة **الحكيم** اللي في ذهننا دائماً في الأفلام وكده؟ الشخص الراحل الكبير اللي لحيته بيضاء وكبيرة وعجوز كده، يقول لك: ده الحكيم بتاعنا. فالصورة الذهنية للشخص الحكيم دائماً يكون شخص ضعيف، يعني عقله قوي، بس جسمه في العادة ضعيف.

لكن الله سبحانه وتعالى عزيز حكيم، فاجتمع فيه حاجات لا يمكن، صعب جداً تجد اجتماع **العزّة** مع **الحكمة**، ولكن الله اجتمع فيه الكمالات، وكل كمال تحطه جنب كمال ثانٍ يطلع كمال أكبر وأكمل. **{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**

ثم قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

كَبُرَ مَقْتًا يعني عظم الغضب عند الله

الآية دي ورد فيها عدة أسباب نزول، وإن كان في كثير منها مقال أو ضعف يعني، لكن خلينا نقول إجمالاً:

قيل إنها نزلت في بعض أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، سألوا عن كثير من الأعمال التي يحبها الله سبحانه وتعالى، وكأنهم سألوا كثير وما عملوش قوي في الآخر، فنزل العتاب: **{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}**، أن تسألوا عن الأعمال وبعد كده مش بتعملوا كل اللي سألتهم عنه. إذا طلبت شيئاً، تحمست لشيء، فكن على قدر الوعد، وافعل ما وعدت به.

وقيل إنها نزلت بعد أحد. إن الصحابة كانوا يسألون النبي عليه الصلاة والسلام عن الأعمال التي يحبها الله، فأخبرهم أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً.

فلما كان يوم أحد تفرّقوا عن النبي عليه الصلاة والسلام، وفرّوا، وحصل اليّ حصل يوم أحد، فعاتبهم الله تعالى وقال: **{لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**.

وقيل نزلت في قوم، أو في بعض الناس، كانوا يقولون بعد المعركة: قاتلت وما قاتل، ضربت وما ضرب، تمام، يعني جاهدت وما جاهد؛ يعني بيقد يوصف نفسه بعد المعركة في حاجات هو ما عملهاش، يعني ببالغ، ويقول كلام ما حصلش يعني. ربنا قال:

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (آل عمران: 178)

فإياك أن تحب أن تحمد بما لم تفعل. أحياناً البعض منا الناس بتثني عليه في حاجات هو ما عملهاش فعلاً.

فيسكت، ويبقى فرحان إنهم شايفينه كده وخلاص. لا، أنا عايزك تقول: لا، أنا ما عملتش كده. الناس تقول حاجة هي مش فيك، تقول: يا جماعة، أنا مش كده. يقول لك: اللهم بارك عليك، ما شاء الله صوّام قوّام. تقول: أنا لا صوّام ولا قوّام. "ما شاء الله عليك، والله شكلك بتقري كل يوم 10 أجزاء". لا، ما بقرأش 10 أجزاء كل يوم. لا يا جماعة، ما تبلغوش فيّ، أنا مش كده، أنا ما بعملش كده. "شكلك اللهم بارك، يعني مقطّعة سجادة الصلاة". تقول: أنا مقصّرة أصلاً في الصلاة، ومقصّرة في النوافل. يعني الإنسان ما يفرحش إنه ينسب إلى شيء ما بيعملوش. أنكر، وده من التواضع، وده من الأدب، وده مش هيبضرك، بالعكس، يخلي الناس تصدّقك بعد كده. تخلي الناس تحترمك.

{لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

فُضلاً إن أنت بقى اللي كمان تبتدئ الزعم ده. يعني ده بقول لك: لو اتقال لك، المفروض تنكر. فما بالك لو أنت اللي بتألف بقى؟ تقول: أنا بصلي وبصوم، ولا أنت بتصلي ولا بتصوم. "وأنا بطلب علم وبسهر طول الليل على الكتب"، ولا بتسهر ولا بتعمل حاجة. تمام، **{لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**. أو يكون الآية بتعاتب شخص اللي هو بيوعد بقى، بيوعد بحاجة وما بينفذهاش. وهذا يدل على ضرورة الوفاء بالوعد؛ فعدم الوفاء بالوعد هو نوع من الكذب.

النبي عليه الصلاة والسلام قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان".

النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوّتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".

يعني لو الأربعة دول في واحد، لا يتصوّر إنه يكون لسه مسلم، ده أكيد وصل للنفاق الأكبر، أو اكتملت فيه صفات المنافقين العملية. ففي حاجة اسمها النفاق العملي، يعني دي صفات المنافق العملية. فإذا وُجدت في شخص، مش لازم يكون كافر، ممكن توجد في مؤمن، بس بنقول: المؤمن ده صار في خطر؛ إن عنده صفات كتير يشابه بها المنافقين النفاق الأكبر، فده في أقرب فرصة ممكن يتحول إلى النفاق الأكبر. اللي هو بيكذب كتير، بيوعد ويخلف، بيخون الأمانة عادة.

فده العتاب ليه. فلذلك نقول إن الآية دي بتقول:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

يا إخواننا الوعد، المواعيد. للأسف ناس كتير بتبقى — اللهم بارك — سلكت في الطريق إلى الله، وصلاة وصيام والكلام ده، ولسه عنده مشكلة في الوعود. الناس اللي بتتعرض وتوعد بالسداد، وما بتوفيش رغم قدرتها على السداد. الشخص اللي بيدي معاد وما بيلتزمش بيه. الشخص اللي بيوعدك ينقذ حاجة معينة، أنت معتمد عليه فيها، ويخذلك. الشخص اللي بيقول لك: هقابلك في المكان الفلاني، وما يروحش، ويعتذر لك بعد ما أنت وصلت.

الإمام أحمد، قيل له: كيف تعرف الكذابين؟ قال: من مواعيدهم.

فالإنسان ينبغي إذا وعد، يوفّي. عشت حدّ بحاجة تعملها. **{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}.** وإلا ما تعشّمش، ما توعدش. فالوعد ده يا جماعة مسؤولية كبيرة قوي قوي. فالإنسان إذا كان قدّ الوعد، يوعد. مش قدّ الوعد، ما توعدش. أنت في عافية من إنك توعد ابتداءً. يعني ليه وعدت لو أنت مش قادر إنك توفّي؟

النبي عليه الصلاة والسلام يعني وصل لمرحلة تحذيرية خطيرة جدّا. كان في صحابي صغير في هذا الوقت، كان اسمه عبد الله بن عامر بن ربيعة. فبيقول: زارنا النبي صلى الله عليه وسلم يومًا، فخرجت لألعب، فنادتني أمي وقالت: يا عبد الله، تعال أعطك. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "ما تُعْطِيهِ؟" قالت: أُعْطِيهِ تَمْرًا. قال: "أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ لَكُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ".

يا سلام! يعني أم بتقول لابنها: "تعالى يا حبيبي، هديك حاجة حلوة"، وما ادتوش، دي كذبة؟ آه. واحد بيقول لعيل صغير: "تعالى يا حبيبي، هفسّحك"، ولا وديته ولا أي حاجة، بتضحك عليه زي ما بيقولوا كده، فدي كذبة. فتخيّل الإسلام يرفض الكذب على الأطفال. فكيف بالكذب مع الكبار؟ وكيف بالكذب في المواعيد؟ وكيف بالكذب في سداد الديون؟ وكيف بالكذب في الوعود؟ يعني يا جماعة، الموضوع خطير. أنت ملتزم، ملتزم في كل حاجة، مش صلاة وصيام وحجاب وبتاع، وبعد كده تعالى لي في المواعيد والعود مأساة. الناس بتشتكي منا في الكلام ده.

{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

بُص بقي: **{كَبُرَ مَقْتًا}، {كَبُرَ مَقْتًا}.** الموضوع مخيف.

{كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

ثم قال سبحانه وتعالى:

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ۖ صَفًّا ۖ كَانَهُمْ بُنَيَّنَ مَرَّضُوصَ}.

لما سألوا النبي عليه الصلاة والسلام عمّا يحبه الله، قال: إن الله يحب مين؟ يحب مين؟ **{الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ۖ صَفًّا ۖ كَانَهُمْ بُنَيَّنَ مَرَّضُوصَ}.** العرب في الزمن القديم كانت لا تعرف الحروب النظامية؛ لأن ما كانش في حروب بالمعنى الحديث، كانوا مجرد قطاع طريق وشغل عشوائي يعني. بدأت الحروب بقي بعد كده في الغزوات وكده، بدأوا يفهموا يعني إيه حروب بالحجم الكبير ده. ما كانوا يعرفوا مسألة الصفوف دي. لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حتى في غزوة بدر كان يعلم الصحابة الصفوف، فكان يصفّ الجيش على هيئة صفوف.

فربنا بيقول إنه بيحب كده، يحب الناس لما تقاتل تقاتل بنظام، تقاتل كأن النظام سبب للتعاون وسبب لتعظيم العمل لما يتحول من عمل فردي لعمل جماعي. يعني أنا دلوقتي لو لوحدي هعمل إنتاج معين، لو إحنا مع بعض بنفس إنتاجي ده، لا في الجملة هنطلع إنتاج أعلى بكثير قوي لو كل واحد كان اشتغل لوحده. فالتعاون تكامل يخلي إنتاجنا أكبر بكثير، خاصة في المعارك لما يبقى أكيد الناس صفوف يحموا بعضهم، يبقوا جنب بعضهم، ده بقى أرهب للعدو من إنهم يبقوا متفرقين.

فربنا بيحب القتال بالصفة دي: صفًا. ثم قال: **{كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}**.

يعني إيه بنيان مرصوص؟ فيها قولين: البنيان المرصوص، المرصوص يعني من الرص، اللي هما جنب بعض يعني، يشد بعضهم أزر بعض بسبب التصاف على هيئة إيه؟ مرصوصين كده جنب بعض. **القول الثاني:** مرصوص من الرصاص، كأنهم بنيان مرصوص، مرصوص يعني من الرصاص، يعني عارفين بنيان يببقى فيه حجارة، بدل الأسمنت اللي بيبقى ما بين الحجارة هنحط رصاص، فده أقوى في الثبات، وكأن المونة اللي هي بتوصل الحجارة ببعضها رصاص. بنيان مرصوص يعني يتخلل الأحجار في هذا البنيان رصاص، مش مجرد أسمنت. **طبعًا القول الأول هو الأشهر واللي عليه جمهور المفسرين: أن بنيان مرصوص يعني متراس يشد بعضه أزر بعض.**

وكان ده عمومًا في القتال وفي غيره، ربنا يحب إن إحنا نبقي بنيانًا مرصوصًا يا جماعة، يحب إن إحنا نتحد، يحب إن إحنا ما نتفرقش. تمام؟ مش كل خلاف بين اثنين يتحول إلى شقاق، مش كل معلمة وليها طلبة والثانية ليها طلبة ويعادوا بعض وينافسوا بعض، ودي تزعل من الطالب بتاعها لو راح لدي. طب ما نتعاون أصلًا. شيخ في مسجد وشيخ في مسجد ثانٍ وبينافسوا بعض: مين اللي يسحب الناس عنده؟ ومين اللي عنده طلبة أكثر؟ طب ما نتعاون مع بعض. كنا بنتعاون مع بعض في عمل ما، اختلفنا في سياسة ولا في بعض النوازل، كله بقى يسبب كله، وده يحذر من ده، وده يحذر من ده، راح التعاون بسبب خلافات كان ممكن كمان تبقى خلافات سائغة ويسعنا الخلاف فيها.

يا جماعة ربنا بيحب كل ما نتعاون، الناس بيفرحوا لما احنا بنتفرق، كل ما نتفرق كل ما يسهل هزيمتنا، وكل ما أثرتنا يبقى ضعيف، كل ما نتجمع ونتوحد على قد ما نقدر، كل ما كنا قوة على غيرنا. **طبعًا بنتوحد على السنة وبننكر على المبتدع وبننكر على المخطئ، بس الإنكار ده برده حتى هدفه إن إحنا نتوحد، إن المخطئ يرجع فنفضل دائمًا وحدة واحدة.**

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثال بقى، كأن البنيان المرصوص ده برضه بيرجعنا لنفس الفكرة بتاعة السورة إن هي بتتكلم على الاستجابة. لأن أنا لما أقول إن أنا هقف على هيئة صفوف وبنيان مرصوص، ده يدل على استجابة قوية جدًا. أنا محافظ على مكان محدد ما أتحركش منه بأمر من النبي عليه الصلاة والسلام في الغزوة مثلاً، ده يدل على قوة الاستجابة للنبي عليه الصلاة والسلام. إن أنت كمان قال لك تقف هنا، في الصف الفلاني، خلاص.

بعد كده بقى راح مدينا الآيات: نموذج عكسي بقى، نموذج لم يستجب أبدًا لله ولم يستجب لرسوله عليه الصلاة والسلام، هو نموذج بني إسرائيل أو نموذج اليهود يعني. في حكاية عن موسى عليه السلام ربنا حكى على لسان موسى عليه السلام وهو بيشتكي من قومه: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَاقَوْمِ لِمَ تَأْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}**.

خد بالك بقى من الشكوى الحارة دي: **{لَمْ تُؤْذُونِي}**؟ "مين اللي بيشتكي؟ الرسول. بيشتكي مين؟ بيشتكي القوم اللي كفروا بيه؟ لا، الغريب إنه بيشتكي من القوم اللي آمنوا به، ده الغريب. يعني بيشتكي اللي هم آمنوا به، أمال اللي كفروا به هيعملوا فيا إيه؟ ده المؤمنين بيّا عملوا فيا كده. **{لَمْ تُؤْذُونِي}**؟" أنتم بتؤذوني ليه؟ **{وَقَدْ تَعْلَمُونَ}** يعني أنتم مؤمنين بيّا، **{وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}**. **{لَمْ تُؤْذُونِي}**؟

سيدنا موسى يا جماعة اتأذى قوي من قومه يعني في حاجات كتير قوي، يعني شوية يقولوا له: **{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}** (البقرة: 55)، ليه؟ ومرة ثانية يقولوا له: **{لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}** (البقرة: 61)، ليه برضه؟ وبعد كده يعني يطلعوا من مصر وربنا يغرق فرعون والكلام ده، وبعد كده ييجي عند الأرض المقدسة يقول: هيا ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم.

يقولوا له: **{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** (المائدة: 24)!! ليه؟ ليه ليه الأذية دي؟ يعني حتى آذوه في حاجات شخصية، حاجات شخصية جدًا. أنتم عارفين قوم سيدنا موسى كان عندهم حلال: الرجال يغتسلوا عِراة قدام بعض، هذا حلال يجوز في شريعة موسى عليه السلام، يجوز أن يغتسل الرجل أمام رجل عريان تمامًا، ما كانش في عورة في الاغتسال بالذات. لكن سيدنا موسى كان شديد الحياء، رغم إن يحلّ الموضوع ده، ما كانش يعمل له أبدًا؛ كان إذا اغتسل اغتسل وحده. فتخيل قومه طلعوا عليه إشاعة، قالوا: إنما يغتسل وحده من عيب فيه، عشان في عيب خلقي، واتهموه بعيب خلقي في جسمه. قالوا: أن في عيب خلقي في جسمه، عشان كده مش عايز يوريه لنا، عشان كده بيغتسل وحده. تخيل! يعني المفروض الأنبياء ربنا بيخلقهم على أكمل ما يكونوا، حتى جسدًا يكونوا أكمل ما يكونوا.

فربنا سبحانه وتعالى أراد أن يدافع عن سيدنا موسى، عمل حاجة كده أجبرت سيدنا موسى يطلع لقومه على الحالة دي. سيدنا موسى كان حاطط ثوبه على حجر، هو كان بيغتسل، يحطّ الثوب بتاعه على حجر ويغتسل عريان بقى بس لوحده. فربنا أمر الحجر إنه يجري، الحجر خد ثوب موسى وجري، سبحان الله بقدرة الله يعني. سيدنا موسى من شدة حيائه: "الثوب بتاعي!" قعد يجري وراء الحجر، فمرّ على قومه على هذه الحالة، فوجدوه أحسن ما خلق الله تعالى.

فلما حصل كده وقف الحجر، سيدنا موسى لبس ثوبه بسرعة، وقعد يضرب في الحجر، يضرب في الحجر، وكان قاعد يقول له: "ثوبي حجر! ثوبي حجر!" ويضرب فيه. النبي عليه الصلاة والسلام بيقول: كأني أرى الحجر فيه ندبات من ضرب موسى عليه السلام. من شدة حيائه يعني؛ كان مستحي جدًا يحصل حاجة زي كده.

رسالة للبنات والشباب: فين حياء البنات؟ فين حياء الشباب؟ سيدنا موسى مع حلّ إنه يغتسل أمام قومه عريان، كان يستحي أن يرى جسده بالكامل. فللأسف يا ريتنا نتعلم الحياء، حياء سيدنا موسى، ونستر أنفسنا، مش نقعد نفاصل بقى: أصل دي عورة ولا مش عورة؟ أصل دي فيها خلاف ولا ما فيهاش خلاف؟ يا جماعة الحياء لا يتجزأ، الحياء لا يتجزأ.

المهم، ربنا بقى أخبر في القرآن في سورة الأحزاب، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا { (الأحزاب: 69)

ربنا بيضرب مثل بقوم آذوا نبيهم، لم يستجيبوا له، كل ما يأمرهم بحاجة يجادلوه؛ يقول لهم اذبحوا بقرة يجادلوه، يقول لهم ادخلوا الأرض المقدسة يجادلوه، يقول لهم يؤمنوا يجادلوه. حاجة رهيبه. فاشتكى: ليه بتعملوا معايا كده؟ يعني أنتم مؤمنين بيّا، أنتم أتباعي، خواص أتباعي، لما تؤذوني؟ كأن ربنا بيضرب النموذج ده عشان ما نبقاش زيه، لا نشبهه. إنما علاقتنا بالنبي عليه الصلاة والسلام: الاستجابة السريعة. وجزى الله خير الصحابة، حقيقة ضربوا مثلاً رهيباً ورائعاً في قوة الإستجابة وسرعة الإستجابة للنبي عليه الصلاة والسلام.

ربنا قال:

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ}.

فلما زاغوا أزاع الله إيه؟ قلوبهم. آه، الآية دي بتحط لنا أصل رهيب: إن ربنا ما بيظلمش أحد، وإن لو ربنا أضلّ أحد فيبقى بسببه هو، وهو اللي بدأ، وهو اللي عمل في نفسه كده. لما ربنا يختم على قلب أو يضلّ صاحبه يبقى بسببه هو. بص ربنا قال: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ}.**

زي ما ربنا قال في قوله تعالى:

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الأنعام: 110)،

وقوله تعالى:

{وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَءَتْ مَصِيرًا} (النساء: 115).

تمام. يبقى العبد هو اللي بيظلم نفسه، فلما ربنا يضله ما ظلموش، كما قال سبحانه وتعالى:

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ ٱللَّهَ ۚ هَوَاهُ ۖ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ ۖ وَقَلْبِهِ ۖ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ ۖ غِشًوَةً ۖ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (الجاثية: 23).

فالإنسان يا جماعة، يعني بص: على الأقل ليرى الله منك خيرًا. عارف أنت؟ لو ما استجبتش حتى بشكل كامل، بين لربنا إن نفسك تقول: يا رب، أنا عارف إن أنا مقصر، بس أنا مش وحش، أنا يا رب لو عليّ أستجيب لك، بس ساعدني. **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.** وخذ خطوة خطوة. مش عارف تعمل الخير كله، اعمل جزء منه، وكأني بالجزء ده بقول: يا رب، أنا مش من النوع اللي زاغوا، فيا رب متزغش قلبي. أنا جاي، أنا مقبل، أنا ناوي، أنا هأعمل خطوة صغيرة، بس ده اللي أقدر عليه دلوقتي. ساعدني.

عايزك دائماً تظهر شيئاً من الصدق لله، مش اللي هو: "أنا مش قادر بقى على الخير كله؟ خلاص بقى إيه؟ أروح الناحية الثانية."

طب افرض ربنا ختم على قلبك، يبقى أنا بأستجيب، بأحاول أستجيب على قد ما أقدر ولو بأبسط شيء، ولو آخذ خطوة واحدة لله سبحانه وتعالى. من تقرب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً.

{وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ}.

هنا وصفهم، أظهر صفة الفسق، اللي هو الخروج عن طاعة الله، عشان يبين هو ليه ما هداهمش.

هم فاسقون، خارجون عن طاعة الله تعالى، مصرّون على ذلك، فلو ربنا ما هداهمش يبقى ما ظلمهمش:

{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (النحل: 118).

ثم قال تعالى:

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}.

هنا واضح: عيسى عليه السلام يقول: إني يا بني إسرائيل، ما قالش "يا أيها الناس". ليه؟ لأن هو فعلاً سيدنا عيسى أرسل إلى بني إسرائيل فقط. وفي كتب أهل الكتاب: "إني أرسلت إلى خراف بني إسرائيل الضالة".

النص كده في الإنجيل: إني أرسلت إلى خراف بني إسرائيل الضالة.

فسيدنا عيسى دعوته فقط لبني إسرائيل. وده بيخلي الواحد يتعجب: هو ليه في حملات تبشير أو تنصير في العالم كله يعني؟ المفترض إن النصارى يعلمون أن دعوة عيسى عليه السلام قاصرة على بني إسرائيل. ما الفائدة أن يُسلم أهل المشرق والمغرب وأفريقيا وآسيا؟ هذا من الحَبَل. يعني حتى دعوتهم تُناقض دينهم. هم يعلمون في كتبهم أن عيسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل، ودعوته تختص ببني إسرائيل. فما قيمة التبشير لعيسى وبدين عيسى عليه السلام في أنحاء الأرض؟ هذا ليس له قيمة عندكم أنتم، وليس له معنى لو أنتم فاهمين دينكم يعني.

قال: يا بني إسرائيل إني رسول الله إيه؟ إليكم.

غير بقى... شوف سورة الأعراف، ربنا قال عن النبي عليه الصلاة والسلام:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} (الأعراف: 158).

صح؟

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}.

وقال تعالى:

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان: 1).

وفي الحديث: "أُعطيْتُ خمسًا لم يُعطهن أحد قبلي، منها: وكان الرسول يُبعث إلى قومه خاصة، وُبعثت إلى الناس كافة".

وقال تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (سبأ: 28).

والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

"والذي نفسي بيده، والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أهل النار".

إلا كان إيه؟ من أهل النار.

فده طبعاً دليل واضح على الفرق بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين سائر الأنبياء في إرساله إلى الناس كافة.

المهم، قال لهم: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}. تمام.

{وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ} (آل عمران: 50) يعني أُصدق محتوى التوراة.

إنما أنا جئت مصدقاً به. بل كان سيدنا عيسى يعمل بالتوراة؛ لأن يا جماعة رسالة سيدنا عيسى لم تكن رسالة مستقلة، إنما كانت رسالة مكملة للتوراة، فبنو إسرائيل كانوا متعبدين بالتوراة حتى في زمن عيسى عليه السلام.

وده الي بيسموه العهد القديم. عندهم الكتب يقول لك: العهد القديم والعهد الجديد. إيه هو العهد القديم؟ الي هي التوراة. والعهد الجديد: الإنجيل، بالشرائع الي فيه. وزى ما سيدنا عيسى قال: **{وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} (آل عمران: 50).**

كان في رسالة أخلاقية، وفيها بعض النسخ لبعض الأحكام في التوراة. فكانت التوراة شغالة عادي معهم، والإنجيل هو إضافة، فيها نُسخ، وفيها مزيد من الرسالة الأخلاقية. يبقى هو: **{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ}.**

وبعد كده قال إيه بقى؟ خلاص، دي علاقتي بموسى عليه السلام. الي جاي بقى: **{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} صلى الله عليه وسلم.**

{مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}. وهذا ثابت في كتب أهل الكتاب، البشارة بالنبي عليه الصلاة والسلام: كما قال تعالى:

{ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } (الأعراف: 157)

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

"أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى".

سيدنا إبراهيم لما قال:

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ } (البقرة: 129)،

قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام.

{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} صلى الله عليه وسلم.

الحقيقة إن النبي عليه الصلاة والسلام، لما جعفر بن أبي طالب في رحلة الحبشة المعروفة، كلم النجاشي وحكى له عقيدتنا في عيسى عليه السلام وحكى له رسالة النبي عليه الصلاة والسلام، النجاشي آمن به على طول؛ إن هو يعلم إن ده الحق في عيسى عليه السلام، وكذلك يعلم بنبي يُبعث في آخر الزمان.

وعن عبد الله بن مسعود حكى يعني قصة رحلة النجاشي. فيقول:

"بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً، منهم جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون، وغيرهم.

فأتوا النجاشي. قال: وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية. فلما دخل إلى النجاشي سجد له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قال له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا.

قال: فأين هم؟

قال: هم في أرضك، فابعث إليهم.

فبعث إليهم. فقال جعفر بن أبي طالب: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه. فسَلَّمَ على النجاشي ولم يسجد للنجاشي، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله تعالى. قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص: يا أيها الملك، إنهم يخالفونك في أمر عيسى ابن مريم. قال: وما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر، ولم يَغْتَرِضْهَا ولد. قال: فرفع عودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا. مرحبًا بكم وبما جئتم، وبمن جئتم من عنده. أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، شوف بقى الشاهد: وأنه الذي نجده في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيت حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه. وأمر بهدية الآخرين، فرُدَّت إليهما.

فهذا أثر عجيب عن النجاشي، وهو يقول عن النبي عليه الصلاة والسلام: هذا الذي نجده في الإنجيل، وهذا الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام. والحقيقة إن البشارات بالنبي عليه الصلاة والسلام في الإنجيل ما زالت موجودة إلى يومنا هذا.

وقد جاء في الإنجيل والتوراة — يعني في العهد القديم فيه، وفي العهد الجديد فيه — أنقل لكم شيئًا يسيرًا:

جاء في التوراة في سفر التثنية الإصحاح 18، الفقرات 18 و19:

"يا موسى، إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي فيه، ويقول لهم ما أمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه."

الشاهد هنا: قال "يا موسى، إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم"، لم يقل: منهم. يعني إيه من إخوتهم؟ مَنْ إخوة بني إسرائيل؟ بني إسرائيل أبناء يعقوب، يعني أبناء إسحاق. "من إخوتهم" يعني من أبناء إسماعيل، يعني دول أولاد عمهم. مَقَالَش: منهم، إنما قال: من إخوتهم، يعني من إسماعيل عليه السلام. فبيقول: هأبعث لهم نبيًا من إخوتهم، يعني من إسماعيل عليه السلام. فهذه بشارة واضحة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وجاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر:

عيسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل "إن خيرًا لكم أن أنطلق؛ لأنني إن لم أذهب لم يأتكم الـ بارقليط."

البارقليط أو البارقليوس هذه كلمة يونانية تعني المبالغ في الحمد، يعني: أحمد. بارقليط — أو البارقليوس، أو البارقليس — دي كلمة يونانية تعني في اللغة القديمة اليونانية: المبالغ في الحمد، يعني: "أحمد".

لكن في كتب أهل الكتاب الآن حَرَّفوا الترجمة، وبتتكتب في الترجمة العربية: المُعْزِّي. بيكتبوا: المعزي، مش بيكتبوا: أحمد، عشان هي أصلها البارقليط. لما تجيء في أصل اليوناني للإنجيل مكتوبة: البارقليط أو البارقليوس. لكن هم في الترجمة — وهم عارفين إنها ترجمة "أحمد" — بدّلوا وحَرَّفوا وغيروا في الترجمة، وخلوها: المعزي، عشان يضلّلوا الناس عن اسم النبي عليه الصلاة والسلام.

فبيقول:

"إن لم أذهب لم يأتكم البارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم."

لأن لازم النبي يجيء بعد عيسى عليه السلام.

"فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة."

كما جاء:

إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا غبّرا من أهل الكتاب. ثم قال عيسى عليه السلام:

"وإن لي كلامًا كثيرًا أريد قوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله. لكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما يأتي."

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم: 4، 3).

يخبركم بما يأتي، يعني يخبركم بغيبات: زي أشراف الساعة، وزى {غَلَبَتِ الرُّومُ} (الروم: 2)، وزى غيرها من الغيبات التي أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام.

وجاء في التوراة في السفر الخامس:

"أقبل الله من سيناء، وتجلّى من ساعير، وظهر من جبال فاران."

أقبل الله من سيناء: اللي هو كلام الله لموسى عليه السلام في جبل الطور.

وتجلّى من ساعير: ساعير دي اللي هي بيت المقدس، والمقصود بها رسالة عيسى عليه السلام.

وظهر من جبال فاران: جبال فاران دي اللي هي جبال مكة.

إذا: موسى، ثم عيسى، ثم محمد عليه الصلاة والسلام.

الأناجيل المشهورة وهي أربعة: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا — في بقى إنجيل غير مشهور، اسمه إنجيل برنابا.

إنجيل برنابا ده النصراني نفسهم يختفي من الوجود، وعشان كده هم ما بيعتمدوهوش أبدًا، ودائمًا بيخبئوا نسخ إنجيل برنابا ده.

في برنامج جميل كده، لو حابين تتسلّوا وتسمعوه، اكتب على اليوتيوب: الأناجيل المفقودة. هيطلع لك برنامج كده، اللي عامله أصلًا رجل دين مسيحي كاثوليكي، تكلم عن كمية الأناجيل الموجودة التي لا يعتمدها النصراني، وقد ايه؟ من أسباب ذلك أن الأناجيل دي فيها كثير من الكلام عن النبي عليه الصلاة والسلام.

تعلمون أن الأناجيل دي كتبها أتباع المسيح عليه السلام.

إنجيل برنابا أكثر إنجيل فيه بشارة بالنبي عليه الصلاة والسلام، لذلك في بقى كلام صريح في إنجيل برنابا بالذات. ففي إنجيل برنابا قال عيسى عليه السلام: "وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع الذي يؤمنون به".

وجاء في سفر أشعياء: "إني جعلت اسمك محمدًا يا محمد، يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد".

وجاء أيضًا: "وأما أعطيته، لا أعطيه لغيري أحمد، يحمد الله حمدًا حديثًا، يأتي من أفضل الأرض، يعني مكة، فتفرح به البارية، ويوحدون على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية".

طبعًا في بعض النصوص ممكن قالها بعض العلماء في الكتب ما تلاقيهاش دلوقتي، ليه؟ لأن التحريف مستمر في كتب النصارى.

لكن عمومًا، اللي عايز يتوسع في هذا الباب، أنصحكم بعدة كتب:

كتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله الهندي.

كتاب "هداية الحيارى من النصارى" للإمام ابن القيم.

كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}.

خد بالك هنا الآية دي فيها خلاف: مين الذي {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}؟

الاحتمال الأول: الضمير يعود لأقرب مذكور، مين أقرب مذكور؟ أحمد صلى الله عليه وسلم. يبقى:

فلما جاءهم أحمد بالبينات، جاء إلى النصارى واليهود، قالوا: {هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}، وكذبوا به.

الاحتمال الثاني: الكلام عائد على عيسى عليه السلام، يبقى فلما جاءهم، يعني جاء عيسى لليهود

بالبينات، اليهود أنفسهم كفروا بعيسى عليه السلام.

وده كده كده السورة بتتكلم عن الاستجابة، فلاحتمالين موجودين في الآية، وده يوسع المعنى.

إما المقصود بالآية: إن أغلب النصارى وكذلك اليهود، لما جاءهم النبي عليه الصلاة والسلام، ما

آمنوش به، بل بقي اليهود كمان، لما جاءهم عيسى عليه السلام بالبينات، برضه ما آمنوش به.

ثم قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ}.

إن ده تكملة للموضوع: اليهود والنصارى بدلوا في دينهم وحرفوه، كانوا يسألون عن النبي عليه

الصلاة والسلام، فينكروا أنهم يعرفونه، بيخبوا نعت النبي، {يَعْرِفُونَهُ} كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا

مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {البقرة: 146}.

بيجحدوا أن هو موجود في كتبهم، يخفون كثيرًا من الكتاب، ويكذبون على أتباعهم بأنهم مش

بيلاقوا الصفة بتاعته، يبدلوا في الترجمة. هؤلاء أظلم الناس، حالوا بين الناس وبين الهداية.

وهل هناك أعظم ظلم من إنسان يتحرم من هداية؟ يضل عن الجنة، ده أعظم من أن تأخذ ماله

وأعظم من أن تأخذ روحه نفسها، انك تحرمه من الهداية.

أظلم الظلم: الصد عن سبيل الله. {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ}

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}. مش بس إنهم يضلوا الناس، لأ، ده كمان عايزين يضلوا الناس

ويحاربوا دين ربنا.

يعني أنت ممكن تكتم الحق وتسكت وخلص، تقعد على جنب، لأ، هو كمان عايز يقضي على الإسلام

بالكلية، يحارب الإسلام بالكلية، يقضي على أهل الحق، يطفى نور الحق تمامًا، حتى عند أهل الحق

نفسهم: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.

الله أكبر. بص الآية جميلة، إزاي؟ {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}، تخيل واحد عايز يطفى نور

ربنا بالأفواه. لو قلنا نور الشمس بس، تخيل أهل الأرض جميعًا اجتمعوا في مكان واحد، ثم قعدوا

ينفخوا في الشمس، يحصل إيه؟ لا شيء.

عبث. تخيل بقى أحد عايز يطفى نور ربنا بغمه، هذا مثال على استحالة هذا الأمر، وأن الله ناصر

دينه لا محالة: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.

الله أكبر.

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (التوبة: 33).

سبحان الله، يعني الإنسان لما يشوف مدى سرعة انتشار الإسلام في العالم، مع ضعف إمكانيات المسلمين، وقلة الدعاة، وانعدام الدعم المالي. وعلى المقابل، قوة الحملات التبشيرية أو التنصيرية، قوة الحرب على الإسلام، المبالغ الطائلة التي تُرصد لحملات التبشير، المبالغ الطائلة التي تُنفق على النصارى، المبالغ الطائلة التي تُنفق في تشويه الإسلام، والمبالغ الطائلة التي تُنفق على المنافقين في بلاد الإسلام. عشان يشوهوا الإسلام، لو شفت وسمعت الأرقام التي تُصرف ضد الإسلام، تقول: هذا الدين لا بد أن يمحي من الوجود. في ساعات! مش هأقول لك شهور ولا سنين. قارن بين الإمكانيات، قارن بين الأعداد، مستحيل.

إنما هذه مواجهة خاسرة. واقعياً، الإسلام ينتشر كالنار في الهشيم، في أوروبا، وفي أمريكا، وفي جنوب شرق آسيا، وفي آسيا، حاجة تقول سبحان الله، يعني ما لهاش غير ربنا. يعني: إزاي الإسلام بيوصل للناس دي؟ وإزاي بيحي لهم رغبة في البحث عنه؟ وإزاي بيوصلوا له؟ وإزاي هم بيخشوا الإسلام؟ مش معقول أن الدعاة وصلوا لكل الأعداد دي. إنما هو الله، هو ربنا اللي قال كده: {وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ}.

أمال بقى لو تعبنا شوية؟ يعني مش معنى كده أروح أريح أنا؟ لأ. أنا أستحي من الله أن ينصر دينه بغيري، وأنا بعد كده يسألني: ما نصرتش الدين ليه؟

هو كده مش محتاجني، وده في معنى خطير: أنا اللي محتاج أنصر الدين، مش الدين اللي محتاجني. أنا اللي محتاج ألترم، مش الالتزام اللي محتاج لي. هو كده كده الدين منصور بي من غيري، بالدعاة، من غير الدعاة، هو منصور.

يبقى أنا بأشتغل في الدعوة مش عشان أبقى أنا الداعية المفوه اللي نصر الدين، لا، ما نصرش الدين. الدين منصور بي من غيري. أنا بأنقذ نفسي من النار.

معنى خطير يخليك تتواضع مهما كان أثرك في الدعوة، مهما كان تأثيرك على الناس، أنت بتنقذ نفسك، الدين مش محتاجك أصلاً.

{وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}.

وياذن الله، هذا الدين سيظهر على الدين كله. في الحديث: "والله ليتم الله هذا الأمر بعز عزيز أو بذل ذليل، ليتم الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على الغنم".

والله لن يترك هذا الدين بيت مدرّ ولا وبرّ إلا دخله. وهذا في آخر الزمان بعد نزول المسيح عليه السلام.

ثم قال تعالى في المقابل، لما بين، هو يحفز المسلمين بطريقة ثانية، بطريقة الأجر والثواب. يعني أنا ممكن أحفزك بعدة طرق. هتلاقي التحفيزات في سورة الصف بعدة طرق:

أولاً، التسبيح، بيان أن كل الدنيا بتستجيب، يبقى أنت لازم تستجيب معهم. تحفيز بصفة: الله العزيز الحكيم. هذا ربك، اللي أنت لو استجبت، هتبقى في صف العزيز، واستجابتك له، أنت بتستجيب للحكيم.

أو أن أحذرك من إنك ما تستجيبش وتقول: ما لا تفعل.

وطريقة أخرى بطريقة ذكر أمثلة: أمثلة للي ما استجابوش وحصل فيهم إيه، وأمثلة للي استجابوا وكيف نالوا الثناء. فكرة النموذج وفكرة القدوة.

طريقة التحفيز بالثواب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ؟} "أصلاً كلمة "تجارة" بتحسسك إنها ربحانة، كلمة جميلة على الودان. تجارة خير، هنكسب! الكلمة لوحدها حلوة: تجارة.

{تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}

مبدئياً، {تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}. لأن الإنسان بطبيعته مجبول على دفع الضرر قبل جلب النفع. لو قلت لك مثلاً: هارميك بطوبة وتفاحة، هتقول لي: لأ، أنا أوطي. لا عايز الطوبة ولا عايز التفاحة، ليه؟ لأن الإنسان بطبيعته يريد أولاً دفع الضرر، وبعد كده نتكلم في النفع.

حتى الناس العادية تقول لك: المهم ما نخشش النار، مش مشكلة، مش لازم نخش الجنة. أنا عندي استعداد أبقي تراب، بس ما أخشش النار.

لذلك ربنا يبشرنا أولاً على طول: ما تقلقش، اللي أنت خائف منه مش هيحصل. تجارة أول حاجة: تنجيكم من عذاب أليم.

نعمل إيه بعد كده؟ {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}.

ده البوابة، من غير إيمان ربنا أصلاً ما بيقبلش أي عمل.

{وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ دَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}

يا سلام! بعد كده يقول لهم: {يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ}.

أنت متخيل تجارة جميلة إزاي؟

إيه هي التجارة؟ عشان بس تفهم قد إيه ربنا جميل، والله العظيم الحياة دي جميلة.

عارفين ليه؟ لأن إحنا في صفقة رائعة. الصفقة دي: ربنا أعطاك الحياة، وأعطاك الوقت، وأعطاك المال. فالمال مال الله.

وبعدين قال لك: اديهم لي. ثاني، لو اديتهم له، قال لك: تعالى خذ بقى جائزة، هتاخذ جنات، ومغفرة، ومساكن طيبة الله.

طب ما هي أموالك؟

{وَعَاثُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ} (النور: 33).

{وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ} (الحديد: 7).

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (آل عمران: 180).

هو ربنا أصلاً اللي إداني الأموال، وبعد كده قال لي: اديني منها جزء، حتى ما قالش كله، اديني الزكاة، الصدقات. وقال لي: أنا ما بأستفدش منها حاجة، برضه ده لك.

النفقة الواجبة، اتقي ربنا، بتكسبها منين؟ بتصرفها في إيه؟ ولو في جهاد، تصرفها في الجهاد في سبيل الله. ما هو ده مالك أصلاً؟ آه، هذه هي الصفقة: أنا أعطيك مال، تخيل واحد قال لك:

أعطيك مال، وبعد كده هأطلبه منك، فأنت تديه طوعًا. فهأديك جنات. طب ما حلوة! وهأديك "نفس"، هي ملكي كده كده، وبأطلب منك أن تبذل وقتك في سبيلي، وهديك الجنة. جمال الصفقة في إيه؟ إن أصلًا الاثنين كده كده راجعين لربنا. يعني النفس راجعة لربنا، صح؟ المال راجع لربنا، كده كده. هو كده راجع لربنا، بمزاجك أو مش بمزاجك، هو راجع له. بس هي صفقة: تقول لك، لو رجعت لي بمزاجك، طوعًا، يعني بذلت نفسك لي، طلعت مالك وأنت حي، لي، أنا كده كده هأرث الأرض ومن عليها. بس ساعتها أنت اللي هتخسر. عشان كده قال:

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ } (آل عمران: 180).

ولله إيه؟ **{ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ }** فهو كده كده وارثها.

الله! صفقة جميلة قوي، يعني ربنا يديني حاجة، يقول لي: اديها لي ثاني، بمزاجك، طوعًا، راضي، محتسب، أجري عند الله، أروح أنا، أدي لك الجنات وأغفر لك ومساكن طيبة، ونصر. دي الصفقة الجميلة دي.

وكمآن، أصلًا الصفقة إن: **{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (البقرة: 286).**

يعني ما فيش تكليف شاق؟ لا. ما فيش حاجة فوق القدرات؟ كله في قدراتك عادي جدًا، وفي إعانة من الله، وإعانة من الملائكة، طب ما سهل.

طب ما حلوا! الصفقة دي جميلة.

طب المقابل إيه؟ المقابل على قد العمل؟ لأ. المقابل لا يمكن يتوصل له بالعمل.

"لن يدخل أحدكم الجنة بعمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه.

يعني المقابل أضعاف أضعاف أضعاف العمل المبذول. ده صفقة جميلة.

ده لو على قد العمل كان يبقى حلو، لأ، ده أصلًا ما فيش مقارنة بين الأجر والعمل، الأجر ضخمة جدًا مقابل عمل يسير. ليه؟ الله شكور.

طب ما حلوة التجارة دي. حلوة بس احنا ما بنعملهاش، مش عارفين ليه، مع إنها حلوة جدًا. والعقل السليم يقول: التجارة جميلة جدًا، صفقة سهلة، صفقة مربحة جدًا.

لكن الغفلة **{ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ } (المجادلة: 19).**

قال: **{ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ }.**

تلاحظ: ذكر الأموال قبل النفس، لأن الجهاد بالذات من غير مال هتعمل إيه بالنفس؟

المسلمين بص، عددهم قد إيه؟ فين المال؟ أهل غزة، أهل السودان، أعداد عندنا مسلمين كثير جدًا، فين المال؟ المال مهم جدًا في الدعوة، المال مهم جدًا في خدمة الإسلام.

الأغنياء، يا جماعة، الناس اللي معها فلوس، أنتم معكم حاجة خطيرة جدًا. مش كل ما نقول: "ابذل للإسلام" تقول لي: عايز أشتغل، عايز الدعوة، عايز أعمل، كلها حاجات عايز أعمل بـ جسمي، في مال عايزين مال في الآخر.

الناس أصحاب الأموال ممكن تنفقوا على الأعمال الدعوية؟ ممكن تنفقوا في سبيل الله، في حاجات واقفة على مال.

احنا ممكن تبقى رحلة للأطفال واقفة على مال، ممكن تبقى جوائز مسابقة قرآن واقفة على مال. أصحاب الأموال من أكثر الناس ممكن يخدموا الإسلام.

غزوة تبوك كانت هتقف على فلوس، وفي ناس ما راحوش بسبب الفلوس فعلاً. **{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ} (التوبة: 92)** لا أجد إيه؟ لا أجد مال. سيدنا عثمان أنقذ غزوة تبوك بمال، وصرف مبلغ ضخيم لتجهيز الغزوة، فنجا في اليوم ده. قال النبي: "ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم"، أصحاب الأموال.

والله معكم حاجة عظيمة، يا بختكم بالأموال لو أنفقت في سبيل الله.

{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}

{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}

، مش جنة واحدة، جنات ، من تحت قصورها ومن تحت مساكنها الأنهار.

{وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ}. جنات عدن يعني إقامة، قاعدين فيها، خالدين فيها ما حدش بيموت.

مساكن طيبة، مساكن جميلة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة. مساكن ما فيهاش مشاكل، يعني أيه طيبة؟ مسكن جميل، الجار جميل، المنظر جميل، ما فيش بقى مشاكل.

البيوت، عارف؟ بيتك مهما كان جميل، فيه مشاكل دايمًا، صيانة، النظافة، العناية، الترتيب الدائم، الخدمة، الصيانة، حاجات تبوظ. كل ما بيتك يبقى أكبر، تبقى مشاكله أكثر أصلاً، تحتاج اهتمام أكبر. فالمسكن مهما كان، مش بيطيب أوي.

يعني الجنة: مساكن طيبة، متعة فقط، لا كدر، لا تعب، ما فيش حاجة محتاجة ترتيب، ولا أغسل، ولا أمسح، ولا أنصف، ولا في سباكة بتبوظ، ولا في حيلة تقشر، ولا مشاكل، ولا صيانة. الحمد لله.

{وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ}، يعني إقامة، قاعدين بقى، **{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**.

طبعاً، تصحيح مفاهيم الفوز في القرآن.

هو ده الفوز يا جماعة. مش الفوز هو الشهادات والمناصب، ماشي دي حاجات، لو استعملناها في مرضاة الله تنفعنا، بس مش هو ده الفوز في الآخر. وإلا يبقى الفقير ما بيفوزش أبداً. يبقى الجاهل مستحيل يفوز. لا، ((رَبِّ أَشْعَثُ أَغْبَرُ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ)) أي حد دخل الجنة فاز مهما كان، وأي حد ما دخل الجنة خسر مهما كان.

{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الزمر: 15)

{فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (آل عمران: 185).

وبعد كده، لأن النفوس طبعاً اه عايزين الجنة وكل حاجة، بس ما فيش حاجة في الدنيا. النفوس طبعاً برضو ما ينفعش تتحرم من الدنيا تماماً، لأن ربنا عالم إن النفوس برضو، يعني يشق عليها إنها تبقى بس في دنيا أبداً. فوعدهم بشيء من الدنيا على فترات، كلما انصلح حالهم، قال:

{وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}

الله أكبر.

لم يقل وبشرهم، بل اختص المؤمنين. إذن الموضوع مرتبط بقوة الإيمان، مرتبط بقوة الاستجابة.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} (النور: 55). لازم إيمان وعمل صالحات. كل ما الأمة تستجيب، تبقى إيمانها قوي على مذهب أهل السنة، وتكون فيها استجابة لله وللرسول، تكون أقرب إلى الانتصار. وكل ما تخالف الشرط، خلاص.

ربنا قال: **{إِنْ تَنَصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ} (محمد: 7).** كل ما أنت تخالف خلاص، ما تقولش بقى: فين نصرة ربنا؟ وقال: **{نَصُرْ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}**.
بس مين؟ **{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}**. دعوة للاستجابة ولقوة الإيمان. ده هو النصر، لن يأتي إلا للفئة دي، مع الأخذ بالأسباب.

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ} (الأنفال: 60) كما هو معلوم. ثم قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ}**

يبقى هو ده الطريق. مش انت عايز نصر قريب؟ إزاي تنصر ربنا؟ انصر دين ربنا في نفسك أولاً، في التزامك، في استقامتك، ثم في الدعوة. خد بالك، الآية دي قالت كل اللي أنا قلت اتقال في هذه الآية: **{كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ}**، الحواريين اللي هم خواص عيسى عليه السلام. ودايمًا خواص الشخص يُسمَو الحواريين بتاعه. الحواريين، عشان كده الحور هو شدة بياض الشيء، يعني النقاوة، يقول لك: نقاوة الناس. هو الحواريين ده.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال: "يقول إن لكل نبي حواريين، وإن حواريين الزبير بن العوام". ما شاء الله. **{كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}**. هنا ليه قال إلى؟ لأنه يريد أن يضم معنى الدعوة إلى الله. وكأن الكلام من أنصاري في الدعوة إلى الله.

يبقى كده، السورة توضح: امتي أنصر ربنا؟ لما أنا الأول أبدأ بنفسي. كونوا أنصار الله. أدي الاستقامة، أول الآية تقول: **{كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ}**. يبقى دي فهمت منها استقامتي في نفسي: عقيدة سليمة، عبادة سليمة، استقامة، الحمد لله، باتقي ربنا في نفسي. خلاص كده؟
لا. بعد كده اتقال أن عيسى قال: **{مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}**، ما قالش "أنصار الله". فيقول لك ضمنت معنى زائد: وهو الدعوة. من أنصاري في الدعوة إلى الله. يبقى أنا لازم أكتمل في نفسي وأكمل غيري، اللي هو سورة العصر: **{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}**، أدي أنصار الله، **{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}**، أدي أنصاري إلى الله.

{قَالَ الْحَوَارِيُّونَ} لما اكتملت السورة عندهم: فعلا نجحوا. **{نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}**. عايزين نبقي زيهم، زي خواص عيسى عليه السلام. عشان كده قلت لك في أول السورة: استعد. عشان ما ينفعش تطلع من السورة دي وما فيش جديد. ما ينفعش. فانت ما عملتش أي حاجة في سورة الصف. عايز تطلع من سورة الصف، لازم في استجابة جديدة، في قرار هطلع به.

لو سمحت، قل لي إيه القرار طلعت به بعد سورة الصف: قرار أنت عارفه. فيه حاجة أنت ما بتستجيبش لها بقى لك مدة. يلا، في حرام أنت بقى لك مدة نفسك توب منه. ما فيش. الآية بتقول لك: **{كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ}**.

إيه اللي عملته بالآية دي؟ إيه العمل اللي ترتب عليها؟ طيب، كذلك اللي مش شغال في الدعوة إلى الله، لا بينصح حد، ولا بيدعو حد، مش لازم تبقى عندك منبر أو قناة يوتيوب.

دعوة إلى الله يعني تنصح، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تنصح أخواتك، تنصحي صاحبائك، تجمعني الأولاد تحفظيهم قرآن. فبين الدعوة في حياتنا؟ كل واحد فيكم صالح في نفسه. فبين الإصلاح؟ مش هنفلح إلا بالدعوة. تواصلوا بالحق شرط، عشان ما تخسرش.

{قَالَ الْخَوَارِيُّونَ:}: يلا نعمل زيهم، **{نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}**. تقدر تقول الكلمة دي دلوقتي وتبقى صادق فيها؟ ولا هترجع تاني لو قلتها؟

تبقى **{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}**

في الحقيقة أنا عايز النهاردة نطلع، أنا أقول: **{نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}**، وأبقى راجل في الكلمة وأبقى قدها. مش باكدب فيها، ومش بقول اللي ما بعملوش. لا، اعمل أعمال تدل على كده بس، اعمل أعمال تدل على صدقك في هذه المقالة.

{قَالَ الْخَوَارِيُّونَ:} بص، الرجولة هي دي الرجولة يا جماعة. قرار ده الرجولة. مش الرجولة إن أنا أعمل غلط. الرجولة إن أنا أعمل صح، الرجولة إن أنا أسيب الغلط. **{نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}**، يلا قولوها دلوقتي، بصدق وأنت عارف هتنصر ربنا إزاي، وأنت عارف إيه اللي هيحصل بعد السورة دي. أنا عايز أطلع من الدورة دي بقرارات، عايز أطلع بتغيير. بص آخر الدرس بيقول لك: لو ما طلعتش من الدورة دي بقرارات وتغيير، خلاصة الجزء ده: **{أَنْصَارُ اللَّهِ}**.

قال تعالى:

{فَأَمْنَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ}

في ناس آمنت بسيدنا عيسى عليه السلام، بعد ما رفع طبعًا، هو سيدنا عيسى في ناس آمنت به، وبعد كذا رفع إلى الله كما هو معلوم. ففضل فيه ناس مؤمنين به إيمان صحيح، أن هو رسول من عند الله تعالى، وأن ربنا واحد، مش ثلاثة، ولا الكلام ده. وكفرت طائفة، طبعًا الطائفة دي يدخل فيها اليهود كلهم لأنهم كفروا به كذا كذا، ويدخل فيه من بدل دين المسيح بعد كده، اللي هم قالوا إنه ابن الله أو قالوا إنه ثالث ثلاثة، أو قالوا إنه أقنوم من الأقانيم الثلاثة على اختلاف في عقائد النصارى الذين بدلوا وحرفوا بعد كده.

وفضلت فئة موحدة مستقيمة على دين المسيح إلى زمن النبي عليه الصلاة والسلام. فضلوا موجودين. النبي عليه الصلاة والسلام قال:

"إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا غَبْرًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ"

فاضل عدد محدود جدًا من أهل الكتاب ما زالوا على دين المسيح الحق. وقصة إسلام سلمان الفارسي فيها أخبار كثير ممن بقي على الحق من النصارى. **{فَأَمْنَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ}** قال تعالى:

{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}

ظاهرين يعني منتصرين. إيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين، يعني منتصرين. العلماء وقفوا هنا، قالوا: إزاي؟ لم يثبت في التاريخ أن الموحدين من النصارى انتصروا على أعدائهم. ممكن النصارى انتصروا في حاجات كثير، بس مش الموحدين. اللي انتصروا كانوا النصارى عمومًا، الذين دخلوا في التثليث، وإن المسيح ابن الله. سواء لما قسطنطين دخل النصرانية المحرفة، والرومان دخلوا النصرانية المحرفة، الرومان كانوا لهم انتصارات كثير،

ولكن هنا الكلام على الموحدين {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني إيمان صحيح ولا يعرف في التاريخ ان الموحدين من النصارى انتصروا على أعدائهم، فلذلك قال العلماء المقصود بهذه الآية بعثة محمد صلى الله عليه وسلم

ركز: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} إيدناهم إزاي؟ ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

لأن النبي عليه الصلاة والسلام هو نفسه آمن بعيسى عليه السلام، واتباعه آمنوا بعيسى عليه السلام، وكانوا على عقيدة عيسى عليه السلام الحق. وربنا نصر محمد عليه الصلاة والسلام واتباعه، فكان هذا نصرة لعيسى واتباع عيسى عليه السلام.

كقوله تعالى:

{يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ مَطَهْرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ} (آل عمران: 55)

مين اللي اتبعوه؟ محمد وأمته عليه الصلاة والسلام. {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني محمد واتباعه {عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام.

ده لو المقصود بالظهور ظهور السيف، أما لو المقصود ظهور الحجة والبرهان، فالمؤمنون دائماً ظاهرون على أعدائهم بالحجة. أي مناظرة، أي كلام في الحجة والبرهان، لازم المؤمن أكيد بينتصر طالما فاهم دينه كويس. فلو المقصود بالظهور ظهور الحجة والبرهان فالمؤمن دائماً ظاهر على عدوه بالحجة والبرهان

أما ظهور السيف والقوة، فده لم يحصل لموحيدي النصارى على مدار الزمان بعد عيسى عليه السلام، إنما حصل ببعثة النبي عليه الصلاة والسلام، وبالموحيدين من هذه الأمة الكريمة، فانتصروا على اليهود، وانتصروا على النصارى المبدلين المحرفين: بني قريظة، بني قينقاع، بني النضير، بعد كده انتصارات على الروم في المواقع المتعددة.

{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} كده خلصت السورة الجميلة الكريمة المباركة.

فين القرارات؟ فين العمل بالسورة؟ فين حفظ السورة؟ فين الصلاة بيها؟

هو ده اللي هنقول: أنت كده عملت بالآية بالعلم.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال. يا رب يتقبل منا هذه الدورة الطيبة المباركة. سبحانهك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك إليك.

السلام عليكم ورحمة الله